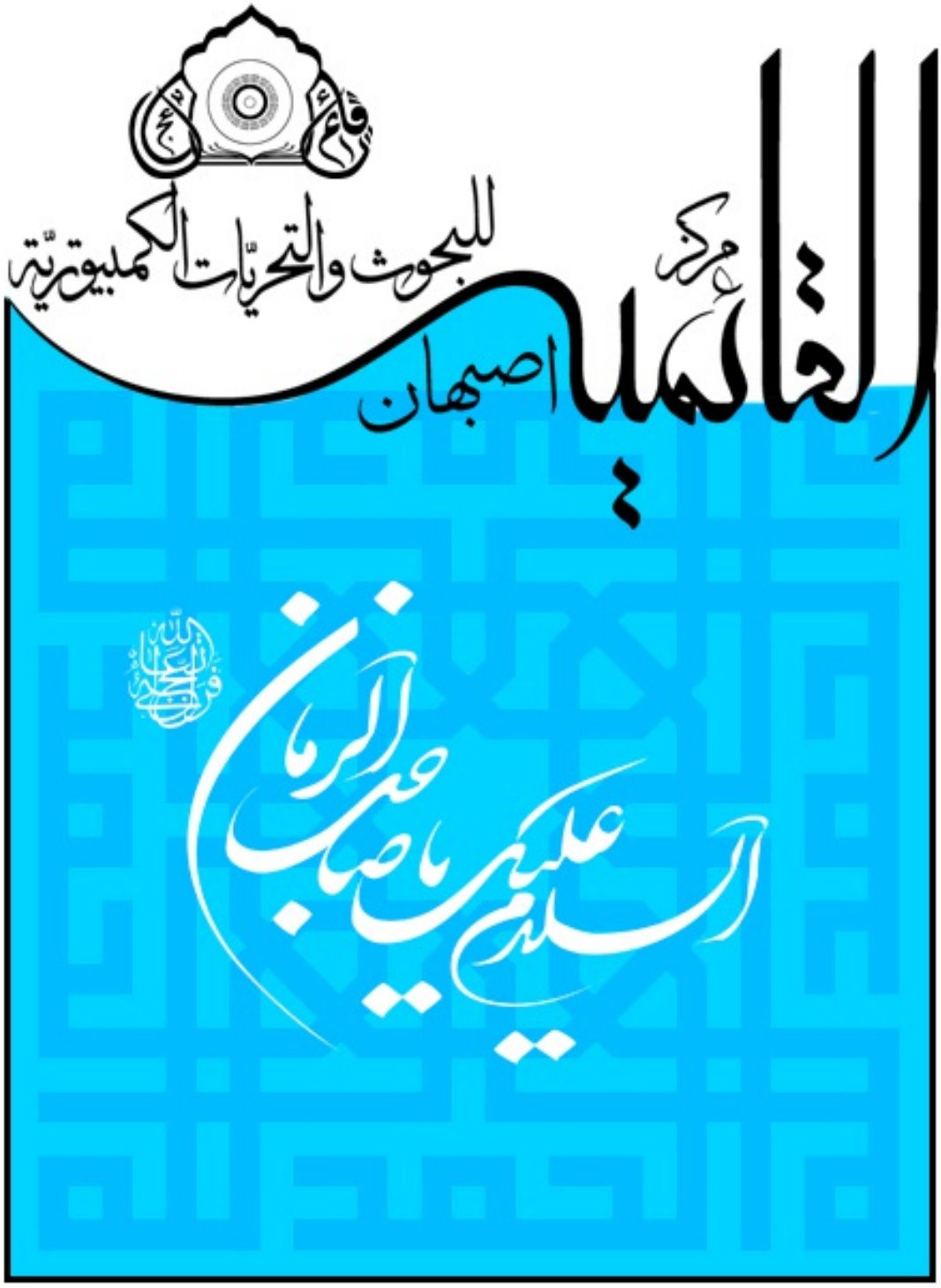

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

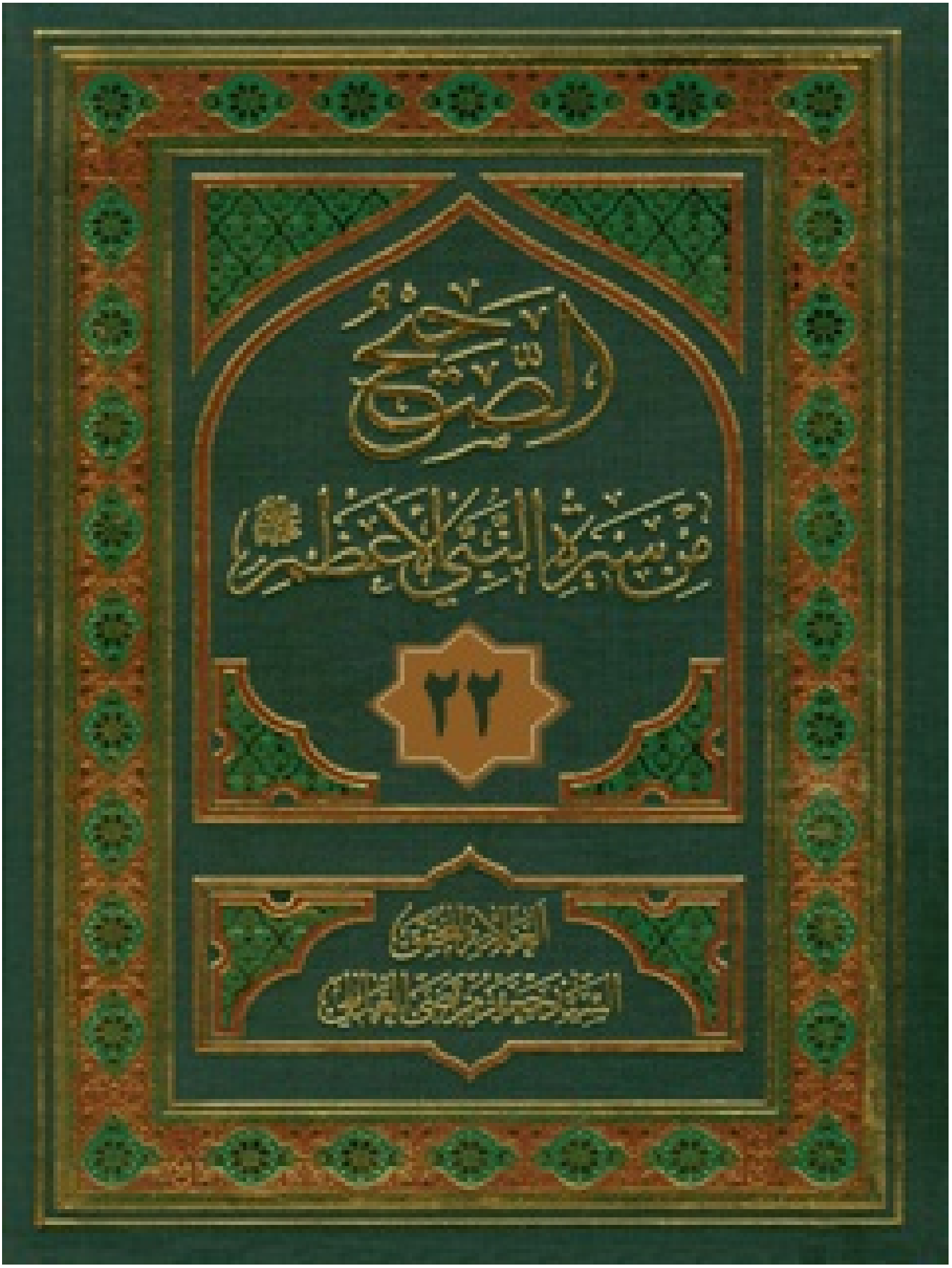
الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحيح من سيره النبى الاعظم(ص)

كاتب:

سيد جعفرمرتضى حسينى عاملى

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۲۲ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
[تتمة القسم التاسع] ----- ۱۵
الباب الثانی فتح مکة ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
الفصل الأول: هکذا تحرک من مرّ الظهران ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
الإعلان بالأمان: ----- ۱۶
هل هذا تشریف لأبی سفیان؟!: ----- ۱۷
إستجداء بعد الإستغناء: ----- ۱۸
حفظ حرم اللّه تبارک و تعالی: ----- ۱۸
وضوء و صلاة أبی سفیان: ----- ۱۸
الدعاة الجدد إلی الإسلام: ----- ۱۹
أبو سفیان یرصد کتائب الفتح: ----- ۱۹
کتائب الإسلام إلی مکة: ----- ۲۰
العباس هو المشیر أم أبو بکر؟!: ----- ۲۶
أهداف حضور العرض: ----- ۲۷
أبو سفیان یصر علی أن ما یراه (ملک): ----- ۲۷
أغدرا یا بنی هاشم؟!: ----- ۲۷
العدة و العدد: ----- ۲۸
کتائب أم قبائل: ----- ۲۸
من هؤلاء: ----- ۲۹

خالد .. غلام!!: ۲۹
اللواء و الرایة: ۳۰
الرایات السود: ۳۱
لقد عزّ عمر بعد قلة و ذلة: ۳۱
أبو سفیان یصر علی موقفه: ۳۲
و لکنه أمر حتم: ۳۲
بنو بکر أهل شؤم: ۳۴
موقف النبی صلّی اللّه علیه و آله من کلام سعد: ۳۴
یوم المرحمة و یوم عزّ قریش: ۳۵
أخذ الرایة من سعد: ۳۵
سعد لم یکن ینوی البطش بأهل مکة: ۳۶
علی علیه السّلام صاحب اللواء: ۳۶
عمر بن الخطاب یتعاطف مع قریش: ۳۷
أبو سفیان یقبّل غرز رسول اللّه «صلّی اللّه علیه و آله»: ۳۸
تأثیر المرأة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله!!: ۳۸
إیحاءات لا تجدی شیئا: ۳۹
أسلم بنا: ۳۹
الفصل الثانی: دخول مکة ۴۰
اشارة ۴۰
أدوار مخترعة للعباس رحمه اللّه: ۴۰
خوف النبی صلّی اللّه علیه و آله علی العباس: ۴۱
سهم العباس فی عکاظ .. أکذوبة أخری: ۴۳
کیف دخل النبی صلّی اللّه علیه و آله مکة؟!: ۴۴
النبی صلّی اللّه علیه و آله یقرأ سورة الفتح: ۴۷

الفتح جائزة المذنب: ۴۷
العیش عیش الآخرة: ۴۸
تواضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و تخشعه لربه: ۴۹
رایة الزبیر: ۴۹
الأمر لسعد، و الرایة لقیس: ۵۰
النساء یلطمن وجوه الخیل: ۵۰
کیفیة الدخول و الخروج من مکة: ۵۰
الفصل الثالث: القتال فی مکة ۵۱
اشارة ۵۱
خالد یقاتل فی مکة!!: ۵۱
من الخندمة إلی البحر: ۵۶
أوقف الطلب: ۵۶
کفوا السلاح إلا خزاعة: ۵۷
احصدوهم حصدا: ۵۷
المهاجرون یظنون أن خالدا قوتل: ۵۸
خالد لا یعصی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۵۸
کل الجنود لم یلقوا جنودا غیر خالد: ۵۸
قضاء اللّه خیر: ۵۹
لم یسب صلّی اللّه علیه و آله لقریش ذریة: ۵۹
الأنصاری الخائن: ۵۹
أردت أمرا، و أراد اللّه غیره: ۶۱
نهی أن یقتل من خزاعة أحد: ۶۲
شعار النبی صلّی اللّه علیه و آله فی فتح مکة: ۶۲
یتضح بعض ما نرید الإلماح إلیه کما یلی: ۶۳

فتحت مكة عنوة لا صلحا: ۶۴
إستدلالات و تأويلات: ۶۶
الشهداء من المسلمين: ۶۷
لا غنائم فى يوم الفتح: ۶۸
قريش لا تقتل صبرا و لا تغزى: ۶۹
لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء: ۷۰
هذا ما وعدنى ربى: ۷۰
الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى ۷۱
اشارة ۷۲
أين نزل النبى صلّى اللّه عليه و آله فى مكة؟!: ۷۲
هذا منزلنا يا جابر: ۷۳
الحكمة فى اختيار موضع النزول: ۷۳
النبى صلّى اللّه عليه و آله يصل الماضى بالحاضر: ۷۴
أين نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!: ۷۴
إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر: ۷۴
الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صلّى اللّه عليه و آله: ۷۶
لا ينزل النبى صلّى اللّه عليه و آله بيوت مكة: ۷۶
النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يدخل دور مكة: ۷۶
تكريم النبى صلّى اللّه عليه و آله لأم هانى: ۷۸
على عليه السّلام و أم هانى: ۷۹
الأمان .. و الجوار: ۸۱
من الذين آوتهم أم هانى؟!: ۸۲
لقاء على عليه السّلام بأم هانى: ۸۳
خوف الجبناء: ۸۳

لم تصرح أم هانی بما تطلب: ۸۳
موقف الزهراء علیها السّلام من أم هانی: ۸۳
أم هانی لا تجیر علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ۸۴
ما مثلک یجهل الإسلام: ۸۴
خوف المشرکین من عمر: ۸۴
رنهٔ إبلیس .. و حدیث نائلهٔ و ..: ۸۵
الفصل الخامس: ما جری لأبی قحافهٔ ۸۶
اشارهٔ ۸۶
إسلام أبی قحافهٔ: ۸۷
الحدیثان الأخیران: ۸۹
أبو بکر یرید طوق أخته: ۹۰
أربعهٔ أسلمواهم و آباؤهم: ۹۰
إسلام أبوی أبی بکر: ۹۱
آیات فی بر أبی بکر بأبویه: ۹۲
أبو بکر یضرب أباه: ۹۳
أسلم تسلم: ۹۴
مفارقات لا علاج لها: ۹۵
الأمانهٔ الیوم قلیل: ۹۵
إسلام أبی طالب أقر لعینیه من إسلام أبیه: ۹۵
أبو قحافهٔ أول مخضوب فی الإسلام: ۹۶
الفصل السادس: طواف النبی صلّی اللّه علیه و آله و تحطیم الأصنام ۹۷
اشارهٔ ۹۷
طواف النبی صلّی اللّه علیه و آله بالبیت: ۹۷
تحطیم الأصنام فی المسجد الحرام: ۹۷

إحالات على ما سبق: ۹۹
اشارة ۹۹
ألف: المسلمون يبتدرون وضوء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۹۹
ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا: ۹۹
ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۰۰
د: المشركون فوق الجبال ينظرون: ۱۰۰
تأسى عمر برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۰۰
استلام الركن بالمحجن: ۱۰۲
استلم الحجر ثم ركب راحلته: ۱۰۲
محاولة اغتيال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۰۳
أين كان مقام إبراهيم عليه السّلام؟!: ۱۰۴
لقد كدت تركن إليهم: ۱۰۴
صنم لكل قبيلة، و حيّ، و بيت!!: ۱۰۸
كف حصى يرمى به الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۱۰۹
على عليه السّلام يكسر أصنام الكعبة: ۱۰۹
على عليه السّلام يكسر الأصنام: ۱۱۱
تحطيم الأصنام قبل الهجرة، و يوم الفتح: ۱۱۲
لماذا التعرض للأصنام سرا؟! ۱۱۲
على عليه السّلام ينوء بثقل النبوة: ۱۱۳
هل خيّل إلى على عليه السّلام؟!: ۱۱۴
تعمل للحق، و أحمل للحق: ۱۱۴
لماذا لم يباشر النبى صلّى اللّه عليه و آله تحطيم الأصنام؟!: ۱۱۴
لو نزع دلوا من زمزم: ۱۱۵
النداء بتكسير الأصنام فى البيوت: ۱۱۵

عکرمة یکسر الأصنام: ---- ۱۱۶
الفصل السابع: النبی صلّی اللّه علیه و آله فی داخل الکعبة ---- ۱۱۶
اشارة ---- ۱۱۶
مفتاح الکعبة مع النبی صلّی اللّه علیه و آله: ---- ۱۱۶
مفتاح الکعبة أخذ قهرا: ---- ۱۱۷
إزالة الصور و التماثیل من داخل الکعبة: ---- ۱۱۹
صلاة النبی صلّی اللّه علیه و آله داخل الکعبة و خارجها: ---- ۱۲۰
النبی صلّی اللّه علیه و آله لم یدخل الکعبة إلا یوم الفتح: ---- ۱۲۲
إزالة الصور من داخل الکعبة: ---- ۱۲۲
التکبیر فی زوایا الکعبة: ---- ۱۲۳
صلاة النبی صلّی اللّه علیه و آله فی داخل الکعبة: ---- ۱۲۴
سؤال .. و جوابه: ---- ۱۲۴
أبو بکر و عمر لم یدخلا الکعبة: ---- ۱۲۵
لا نرید الحدیث عن التناقضات: ---- ۱۲۵
هذا تأویل رؤیای: ---- ۱۲۶
عثمان بن طلحة فی فتح مکة: ---- ۱۲۶
آیة: أداء الأمانات إلی أهلها: ---- ۱۲۷
لمن هذا التهدید؟!: ---- ۱۲۷
الفصل الثامن: الخطبة الأولی فی مکة ---- ۱۲۸
اشارة ---- ۱۲۸
خطبة الرسول صلّی اللّه علیه و آله فی مکة: ---- ۱۲۸
نص آخر للخطبة: ---- ۱۳۱
وقفات مع الخطبة الشریفة: ---- ۱۳۲
عتقهم دلیل فتح مکة عنوة: ---- ۱۳۲

الطلقاء .. و الخلافة: ۱۳۲
تعظیم بیت اللّه: ۱۳۳
کلکم لآدم، و آدم من تراب: ۱۳۴
السلاح فی مکة فی عام الفیل و یوم الفتح: ۱۳۵
لا ینفر صیدها!! و لا یختلی شوکها!!: ۱۳۵
الإعلان الأول: التوحید: ۱۳۶
لک بها دار فی الجنة: ۱۳۶
صدق وعده، و نصر عبده: ۱۳۷
إلا الإذخر: ۱۳۸
اجتهاد الرسول صلّی اللّه علیه و آله: ۱۴۰
کفوا السلاح إلا خزاعة عن بنی بکر: ۱۴۱
اکتبوا لأبی شاة: ۱۴۲
التبرک بالرسول صلّی اللّه علیه و آله: ۱۴۲
الفصل التاسع: مفتاح الکعبة .. و البیعة ۱۴۲
اشارة ۱۴۲
مفتاح الکعبة مع الرسول صلّی اللّه علیه و آله: ۱۴۲
مفتاح الکعبة لبنی شیبة: ۱۴۳
السقایة: ۱۴۶
توضیح أکرهت و آذیت: ۱۴۶
أعطیتکم ما ترزؤون: ۱۴۷
اللّه یأمرکم أن تؤدوا الأمانات: ۱۴۷
علی علیه السّلام لا یطلب الحجابة: ۱۴۸
طریقة جمع فاشلة: ۱۴۸
السدانة و السقایة مردودتان إلی أهلیهما: ۱۴۹

أعطینا النبوة و السقایة و الحجابة: ۱۴۹
البیعة فی فتح مکة: ۱۵۰
ما الذی أضحک عمر بن الخطاب؟!: ۱۵۲
أو تزنی الحرة؟!: ۱۵۳
إسلام هند بعد أبی سفیان بلیلة: ۱۵۴
إنی لا أصافح النساء: ۱۵۴
جرأة هند: ۱۵۵
عمر فی بیعة النساء: ۱۵۶
بیعة معاویة .. و إسلامه!!: ۱۵۷
الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات ۱۵۷
اشارة ۱۵۷
لا هجرة بعد الفتح: ۱۵۸
البیعة علی الجهاد: ۱۵۸
إن ظهر النبی صلّی اللّه علیه و آله علی مکة آمن به: ۱۵۹
إسلام العرب: ۱۶۰
أذان بلال فوق الکعبة: ۱۶۰
النبی صلّی اللّه علیه و آله لا یعود إلی مکة: ۱۶۳
إذن یخزیک اللّه: ۱۶۴
مع ما سبق: أبو سفیان و الإیمان: ۱۶۵
و هذا یؤکد لنا حقیقة هامة، و هی: ۱۶۵
الم. غلبت الروم: ۱۶۶
الفهارس ۱۶۶
اشارة ۱۶۶
۱- الفهرس الإجمالی ۱۶۷

۲- الفهرس التفصیلی ---------- ۱۶۷

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۷۳

الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص) المجلد۲۲

اشارة

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم(ص)/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت -۱۱ق -- .سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/ع۲ص۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م۷۷-۱۵۹۲۹

[تتمة القسم التاسع]

الباب الثانی فتح مكة

اشارة

الفصل الأول: هكذا تحرک من مرّ الظهران

الفصل الثانی: دخول مكة

الفصل الثالث: القتال فی مكة

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و جوار أم هانی

الفصل الخامس: ما جری لأبی قحافة

الفصل السادس: طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله و تحطيم الأصنام
الفصل السابع: النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبة
الفصل الثامن: الخطبة الأولى فى مكة
الفصل التاسع: مفتاح الكعبة .. و البيعة فى مكة
الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷

الفصل الأول: هكذا تحرك من مرّ الظهران

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹

الإعلان بالأمان:

قال أبو سفيان و حكيم بن حزام: يا رسول اللّه، ادع الناس بالأمان، أرأيت إن اعتزلت قريش و كفت أيديها آمنون هم؟
فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «نعم».
قال العباس: قلت: يا رسول اللّه!! قد عرفت أبا سفيان و حبه الشرف و الفخر، فاجعل له شيئا.
و عن أبى سلمة و يحيى بن عبد الرحمن: أن أبا بكر قال: يا رسول اللّه إن أبا سفيان رجل يحب السماع، يعنى الشرف انتهى.
فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».
فقال: و ما تسع دارى؟
زاد ابن عقبة: «و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن»- و دار أبى سفيان بأعلى مكة، و دار حكيم بأسفلها- «و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن».
فقال أبو سفيان: و ما يسع المسجد؟
قال «صلى اللّه عليه و آله»: «و من أغلق بابه فهو آمن».
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰
فقال أبو سفيان: هذه واسعة «۱».
و قال الحلبى الشافعى: «عقد «صلّى اللّه عليه و آله» فى المسجد لأبى رويحة- الذى آخى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بينه و بين بلال- لواء، و أمره أن ينادى: و من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن. أى و إنما قال ذلك لما قاله له أبو سفيان: و ما تسع دارى؟ و ما يسع المسجد»؟ «۲».
و فى نص آخر: أن العباس أخذ أبا سفيان فأباته عنده، فلما أصبح و سمع الأذان سأل العباس عنه، فأخبره، ثم أمره العباس بأن يتوضأ و يصلى ... و علمه الوضوء .. ففعل.
فلما صلى غدا به إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: يا رسول اللّه، إنى أحب أن تأذن لى إلى قومك، فأنذرهم، و أدعوهم إلى اللّه و رسوله، فأذن له.
فقال العباس: كيف أقول لهم؟! بيّن لى من ذلك أمرا يطمئنون إليه!!

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «تقول لهم: من قال: لا إله إلا اللّه وحده لا

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۸ عن ابن عقبة، و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير ۸/ ۹ و انظر المجمع ۶/ ۱۷۲ و أخرج صدره مسلم فى الجهاد باب (۳۱ و ۸۴ و ۸۶) و أبو داود فى الخراج باب (۲۵) و أحمد ۲/ ۲۹۲ و ۵۳۸ و البيهقى ۶/ ۲۳۴ و ۹/ ۱۱۷ و ۱۱۸ و ۱۷۱ و الطبرانى فى الكبير ۸/ ۹ و ابن أبى شيبة ۱۴/ ۴۷۵ و عبد الرزاق (۹۷۳۹) و الطبرانى فى الصغير ۲/ ۷۲ و الدار قطنى ۳/ ۶۰ و الطحاوى فى المعانى ۳/ ۳۲۱ و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۳۲ و ۳۷ و ۵۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱

شريك له، و شهد أن محمدا رسول اللّه، و كف يده فهو آمن، و من جلس عند الكعبة و وضع سلاحه فهو آمن».

فقال العباس: يا رسول اللّه إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو خصصته بمعروف.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

قال أبو سفيان: دارى؟

قال: دارك.

ثم قال: «و من أغلق بابه فهو آمن» «۱».

و نص آخر يقول:

و جاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأسلما و بايعاه، فلما بايعاه بعثهما رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بين يديه إلى قريش، يدعوانهم إلى الإسلام.

و قال: من دخل دار أبى سفيان- و هو بأعلى مكة- فهو آمن، و من دخل دار حكيم- و هو بأسفل مكة- فهو آمن، و من أغلق بابه و كف يده فهو آمن «۲».

و نقول:

إن فى هذه النصوص العديد من الإشارات و الدلالات، نذكر منها ما يلى:

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۲۹ عن إعلام الورى.

(۲) مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۴ و تاريخ الخميس ح ۲ ص ۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲

هل هذا تشريف لأبى سفيان؟!:

قد كان مما أعطاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لأبى سفيان: أن جعل الأمان لمن دخل داره، لأن أبا سفيان يحب التفخيم و الذكر، كما قاله العباس رحمه اللّه.

و لكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و إن كان قد أنعم لأبى سفيان بهذا الأمر و أعطاه إياه بيد، و لكنه عاد فأخذه منه باليد الأخرى، بأسلوب رصين يجعل الناس يدركون للتوّ: أنه مجرد إجراء شكلى ليس له مضمون تشريف و لا تكريم، لأنه:

۱- أعطى مثل ذلك لحكيم بن حزام أيضا.

۲- ساوى بين دخول دار أبى سفيان، و بين اللجوء إلى راية الأمان، التى جعلها مع أبى رويحة.

۳- ساوى أيضا بينه و بين أية دار فى مكة يدخلها صاحبها، و يغلق بابها على نفسه.

۴- ساوى بين ذلك و بين أن يضع الإنسان سلاحه، و يكف يده، ليكون ذلك إشارة إلى مجرد اتخاذ وضع غير قتالى.

و بذلك يتضح: أن أبا سفيان ليس فقط لم يحصل على ما أراد من الذكر و الفخر، و إنما أخذ منه ما كان قد استلبه بغير حق .. لأن المساواة بين دخول داره و بين دخول دار أى إنسان فى مكة، ثم بين ذلك و بين أن يكف الإنسان يده و يضع سلاحه فيها حط من المقام الذى جعله أبو سفيان لنفسه، و جعله كأى إنسان آخر من أهل مكة ..

و ذلك بعد أن جعله أيضا مثل حكيم بن حزام .. الأمر الذى لا يرضاه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳

أبو سفيان، و لا يقرّ به له.

و لا بد من أن يرضى ذلك ابن حزام، و ربما تذهب به الأوهام إلى أبعد من ذلك، إذا كان يذكى لديه الطموح لمنافسة أبى سفيان، أو لعدم الإقرار له بالتفرد فى الزعامة على الأقل .. و من شأن هذا أن يزعج أبا سفيان، و يؤرقه فى مضجعه أيضا.

إستجداء بعد الإستغناء:

لقد كان أبو سفيان طيلة حوالى عشرين سنة يسعى لإطفاء نور اللّه، مدّعيا لنفسه مواقع الشرف و الكرامة، متخذا من هذا الفعل المخزى و المشين سبيلا للمجد و الذكر و الفخر، و شيوع الذكر.

و لكنه بين ليلة و ضحاها أصبح يستجدى شيئا من الذكر، و ما يوجب له الفخر من نفس هذا العدو الذى لم يزل يحاربه إلى تلك اللحظة، و لو قدر على شىء من ذلك لما تردد فيه ..

فما هذه الدنيا التى تذل حتى أشد الناس حبا لها، و لا تعطيهم شيئا إلا أن يدفعوا ثمنه أعز شىء لديهم، و أغلاه عليهم؟!

حفظ حرم اللّه تبارك و تعالى:

و لسنا بحاجة إلى التأكيد على أن إعلان الأمان لأهل مكة، و كذلك سائر المواقف و السياسات النبوية فى مسيره «صلى اللّه عليه و آله» إلى مكة، تظهر بما لا مجال معه لأى شبهة و ريب: أن المطلوب هو: أن لا تراق أية قطرة دم فى حرم اللّه تبارك و تعالى ..

و لا بد من أن يقارن الكثيرون من أهل مكة و غيرهم بين هذه السياسة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴

مع صناديد قريش و كل رجالها، و بين ما فعله أهل مكة أنفسهم بالخزاعيين الأبرياء من الصبيان، و النساء، و الرجال الضعفاء. فى حين أن قريشا لو تمكنت من الحرب لأبادت هذا الجيش القادم بأكمله فى نفس بيت اللّه و حرمه ..

وضوء و صلاة أبى سفيان:

و قد أظهر النص المتقدم عن البحار عن إعلام الورى: أن أبا سفيان قد توضأ و صلى مع المسلمين.

و نقول:

إن ذلك لا مجال لقبوله، إن كان أبو سفيان على شركه إلى تلك اللحظة، كما ذكرته بعض الروايات، فإنه إنما أسلم بعد ما بات عند العباس ..

و إن أخذنا برواية البحار و إعلام الورى، و قلنا: بأنه قد أسلم ليلا، ثم سلمه النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى العباس ليبيت عنده، فلما أصبح رأى أذان المسلمين و صلاتهم، فصلى معهم .. فلا غبار على الرواية التى نتحدث عنها من هذه الجهة ..

إلا أن يقال: إنه قد بات ليلة أخرى غير الليلة التى أخذ فيها، و كان قد أسلم نهارا، و هو إنما توضأ و صلى فى صبيحة الليلة الثانية، فلا يبقى إشكال فى قولهم: إنه توضأ و صلى، حتى على القول الأول.

الدعاة الجدد إلى الإسلام:

و فى النصوص المتقدمة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعث بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام يدعوان الناس فى مكة إلى الإسلام، بل فيها: أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵

أبا سفيان نفسه قد تبرع بذلك، لكنه كان على جهل تام بما يريد قوله، فطلب أن يعلموه ما يقول للناس فى ذلك، فعلمه النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يطلب من الناس النطق بالشهادتين.

و نقول:

إن هؤلاء و هم رؤوس الشرك يمكن أن يساهموا فى إطفاء نار الحرب، و حمل الناس على ترك القتال .. لأن ذلك يحفظ أرواح الناس، خصوصا إذا كانوا من أهلهم، و عشيرتهم، أو من أحبائهم و أصدقائهم، أو من حلفائهم.

و يمكن أن يقدموا على ذلك من منطق الحفاظ على حرمة البيت و الحرم، و لأجل حفظ ماء وجههم أمام الآخرين .. لا لأجل أن للحرم قداسة حقيقة فى نفوسهم.

و لكننا لا يمكن أن نصدق: أن رؤوس الشرك يطلبون أن يكونوا دعاة للناس للدخول فى هذا الدين، إلا على أساس أنه نفاق و استغلال، لا سيما و أنهم كانوا لا يزالون يحاربون هذا الدين للحظات خلت. بل إن أبا سفيان قد ما طل و سوّف و لم يزل يقول لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إن فى النفس شيئا من الشهادة له بالرسالة. فكيف يعقل أن يتحول فى تلك اللحظة نفسها إلى داعية صادق لهذا الدين؟! و لو قيل: لعل اللّه هو الذى تصرف فى قلبه!!

قلنا: لماذا تأخر هذا التصرف إلى الآن؟!

أبو سفيان يرصد كتائب الفتح:

و لما صلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالناس الغداة، قال للعباس:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶

«خذه إلى رأس العقبة، فأقعده هناك ليراه الناس جنود اللّه و يراها».

فقال أبو سفيان: ما أعظم ملك ابن أخيك.

قال العباس: يا أبا سفيان هى نبوة.

قال: نعم «۱».

و زعموا أيضا: أنه لما توجهوا ذاهبين قال العباس: يا رسول اللّه، إنى لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه، فاردده حتى يفقه، و يرى جنود اللّه- تعالى- معك «۲».

و عن أبى سلمة و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن أبا سفيان لما ولى، قال أبو بكر: يا رسول اللّه، لو أمرت بأبى سفيان فحبس

على الطريق؟ «۳».

و نرى: أن الصحيح هو ما قاله ابن إسحاق و محمد بن عمر: من أن أبا سفيان لما ذهب لينصرف، قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» للعباس:

«احبسه بمضيق الوادى (حتى تمر عليه جنود اللّه)».

قال ابن عقبة، و محمد بن عمر: فأدركه العباس فحبسه، فقال أبو سفيان: أغدرا يا بنى هاشم؟

فقال العباس: إن أهل النبوة لا يغدرون. زاد الواقدى قوله: و لكن لى إليك حاجة.

فقال أبو سفيان: فهلا بدأت بها أولا؟

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ عن الخرايج و الجرايح، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۱۱۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۸ عن ابن عقبة.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۸ عن ابن أبى شيبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷

فقلت: إن لى إليك حاجة، فيكون أفرخ لروعى؟!

قال العباس: لم أكن أراك تذهب هذا المذهب.

و عبأ رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله» أصحابه الخ .. «۱».

و لفظ ابن عقبة: إنا لسنا بغدر، و لكن أصبح حتى تنظر جنود اللّه، و إلى ما أعد اللّه للمشركين.

قال ابن عقبة: فحبسهم بالمضيق دون الأراك إلى مكة حتى أصبحوا «۲».

كتائب الإسلام إلى مكة:

قالوا: و أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مناديا ينادى، لتصبح كل قبيلة قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رايته، و تظهر ما معها من الأداة و العدة.

فأصبح الناس على ظهر، و قدّم بين يديه الكتائب.

قالوا: و مرت القبائل على قادتها. و الكتائب على راياتها «۳».

قال محمد بن عمر: و كان أول من قدم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خالد بن الوليد فى بنى سليم و هم ألف، و يقال: تسعمائة، و معهم لواءان و راية، يحمل أحد اللواءين العباس بن مرداس، و الآخر يحمله خفاف بن

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۸ و تاريخ مدينة دمشق ج ۲۳ ص ۴۵۲.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۰ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۴ و ۱۱۸ و ۱۱۹ و ۱۲۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۸ و راجع: مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۱۹ عن ابن عقبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸

ندبة، و يحمل الراية الحجاج بن علاط- بعين مضمومة- (و عند المعتزلى:

و راية يحملها المقداد)، فلما مروا بأبى سفيان، كبروا ثلاث تكبيرات، ثم مضوا، فقال أبو سفيان: يا عباس!! من هؤلاء؟

فقال: هذا خالد بن الوليد.

(و فى نص آخر قال أبو سفيان: هذا رسول اللّه؟ قال: لا، و لكن هذا خالد بن الوليد فى المقدمة) «۱».

قال: الغلام؟

قال: نعم.

قال: و من معه؟

قال: بنو سليم.

قال: ما لى و بنى سليم!

ثم مر على أثره الزبير بن العوام فى خمسمائة من المهاجرين و أفناء العرب «۲»، و معه راية سوداء.

فلما مروا بأبى سفيان كبروا ثلاثا.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ و فى نص آخر: يا عباس! هذا محمد؟!

قال: هذا الزبير بن العوام.

قال: ابن أختك؟

قال: نعم.

---

(۱) البحار ج ۱ ص ۱۳۰.

(۲) الأفناء: الأخلاط من الناس لا يعرف من أى القبائل هم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹

ثم مرت بنو غفار فى ثلاثمائة، يحمل رايتهم أبو ذر.

و يقال: إيماء بن رحضة، فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟

قال: بنو غفار.

قال: ما لى و لبنى غفار؟

ثم مرت أسلم فى أربعمائة، فيها لواءان، يحمل أحدهما بريدة بن الحصيب، و الآخر ناجية بن الأعجم، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: أسلم.

قال: ما لى و لأسلم؟ (ما كان بيننا و بينهم ترة قط.

قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام).

ثم مرت بنو كعب بن عمرو فى خمسمائة، يحمل رايتهم بسر بن سفيان فلما حاذوه، كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو، إخوة أسلم.

قال: نعم. هؤلاء حلفاء محمد.

ثم مرت مزينة فى ألف. فيها ثلاثة ألوية، و مائة فرس. يحمل ألويتها النعمان بن مقرن، و عبد اللّه بن عمرو بن عوف، و بلال بن الحارث، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

قال: من هؤلاء؟

قال العباس: مزينة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰

قال: ما لى و لمزينة؟ قد جاءتنى تقعقع من شواهقها «۱».

ثم مرت جهينة فى ثمانمائة، فيها أربعة ألوية، يحملها أبو روعة معبد بن خالد، و سويد بن صخر، و رافع بن مكيث و عبد اللّه بن بدر، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال: جهينة.

قال: ما لى و لجهينة؟

ثم مرت كنانة بنو ليث و ضمرة، و سعد بن بكر فى مائتين، يحمل لواءهم أبو واقد الليثى، فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

فقال: من هؤلاء؟

قال العباس: بنو بكر.

قال: نعم، أهل شؤم و اللّه! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم. (زاد فى نص آخر قوله: أما و اللّه ما شوورت فيهم و لا علمته، و لقد كنت له كارها حيث بلغنى، و لكنه أمر حتم).

قال العباس: قد خار اللّه- تعالى- لكم فى غزو محمد «صلّى اللّه عليه و آله» أتاكم أمنكم، و دخلتم فى الإسلام كافة.

ثم مرت أشجع و هم آخر من مر، و هم ثلاثمائة معهم لواءان، يحمل أحدهما: معقل بن سنان، و الآخر: نعيم بن مسعود. فلما حاذوه كبروا ثلاثا.

قال أبو سفيان: من هؤلاء؟

---

(۱) تقعقع الشيء: أحدث صوتا عند تحريكه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱

قال العباس: هؤلاء أشجع.

قال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد.

قال العباس: و أدخل اللّه- تعالى- الإسلام فى قلوبهم، فهذا فضل من اللّه.

ثم قال أبو سفيان: أبعد ما مضى محمد؟

فقال العباس: لا، لم يمض بعد، لو أتت الكتيبة التى فيها محمد رأيت فيها الحديد و الخيل و الرجال، و ما ليس لأحد به طاقة.

قال: و من له بهؤلاء طاقة؟

و جعل الناس يمرون، كل ذلك يقول أبو سفيان: ما مر محمد؟

فيقول العباس: لا، حتى طلعت كتيبة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الخضراء التى فيها المهاجرون و الأنصار- و سميت الخضراء لما فيها من الحديد، و العرب تطلق الخضرة على السواد و العكس- و طلع سواد شديد، و غبرة من سنابك الخيل، و جعل الناس يمرون، كل ذلك يقول: أما مر محمد؟

فيقول العباس: لا.

و فى هذه الكتيبة: الرايات و الألوية، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء و راية، و هم فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و لعمر بن

الخطاب فيها زجل «۱» بصوت عال و هو يزعها «۲» و يقول: رويدا حتى يلحق أولكم آخركم.

---

(۱) الزجل: رفع الصوت.

(۲) وزع فلانا: زجره و نهاه. و وزع الجيش: رتب فرقه، و سواهم صفا واحدا.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲

و عند الواقدى: (فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل! من هذا المتكلم؟!

قال: عمر بن الخطاب.

فقال أبو سفيان: لقد أمر أمر بنى عدى بعد- و اللّه- قلة و ذلة.

فقال العباس: يا أبا سفيان، إن اللّه يرفع من يشاء بما يشاء. و إن عمر ممن رفعه الإسلام، و يقال: كان فى الكتيبة ألف دارع) «۱».

و يقال: ألفا دارع.

و أعطى رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله» رايته سعد بن عبادة، فهو أمام الكتيبة، فلما مر سعد براية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نادى أبا سفيان فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل اللّه قريشا.

و فى نص آخر: اليوم تستحل الكعبة «۲». الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۲ ۲۲ كتائب الإسلام إلى مكة: ..... ص : ۱۷

قال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار «۳».

فمرت القبائل، و طلع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو على ناقته القصواء. قال محمد بن عمر:- طلع- بين أبى بكر الصديق، و أسيد بن الحضير- و هو يحدثهما- فقال العباس: هذا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۴».

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۰ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۱۸- ۸۲۱.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و فى هامشه عن: ابن عبد البر فى الدرر (۲۱۶) و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۳۸ و ابن كثير فى البداية ۴/ ۲۹۰. و البحار ج ۲۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳

و فى الصحيح عن عروة: أن كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة، و معه الراية: قال: و لم ير مثلها، ثم جاءت كتيبة هى أقل الكتائب، فيهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أصحابه، و راية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مع الزبير.

قال فى العيون: كذا وقع عند جميع الرواة.

و رواه الحميدى فى كتابه: هى أجل الكتائب، و هو الأظهر انتهى «۱».

فقال أبو سفيان: لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما.

قال العباس: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة.

قال: فنعم إذا «۲».

عن العباس- رضى اللّه عنه- قال: لما بعث رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قلت لأبى سفيان بن حرب: أسلم بنا.

قال: لا و اللّه حتى أرى الخيل تطلع من كداء.

قال العباس: قلت ما هذا؟

ص ۱۳۰ و ۱۰۴ و ۱۰۷ و ۱۰۸ عن شرح النهج للمعتزلى و غيره، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۰ و ۸۱ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۱ و ۸۴.

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و ۲۶۷ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲ و ۸۳.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و فى هامشه قال: انظر المجمع ۶/ ۱۷۳.

و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۱ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۴ و ۱۱۸ و ۱۱۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴

قال: شىء طلع بقلبى، لأن اللّه لا يطلع خيلا هناك أبدا.

قال العباس: فلما طلع رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله» من هناك ذكرت أبا سفيان به، فذكره «۱».

قالوا: فلما مر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأبى سفيان، قال: يا رسول اللّه أمرت بقتل قومك؟! ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟!

قال: «ما قال»؟!

قال: كذا و كذا، و إنى أنشدك اللّه فى قومك، فأنت أبر الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «كذب سعد يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم يوم يعظم اللّه فيه الكعبة، اليوم يوم تكسى فيه الكعبة، اليوم يوم أعز اللّه فيه قريشا». و أرسل إلى سعد فعزله عن اللواء «۲».

و عند ابن إسحاق: أن سعدا لما قال ما قال، سمعه رجل من المهاجرين.

قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب.

فقال: يا رسول اللّه، أتسمع ما قال سعد؟ ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة «۳».

زاد الديار بكرى قوله: فقال «صلى اللّه عليه و آله» لعلى بن أبى طالب

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ عن الطبرانى و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۳.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۹ عن المعتزلى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۱ و ۸۲۲.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵

«عليه السلام»: أدركه، و خذ الراية، و كن أنت الذى تدخل بها «۱».

و استبعد ذلك الحافظ من عمر هنا؛ لكونه كان معروفا بشدة البأس عليهم «۲».

و عند محمد بن عمر: أن عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان، قالا ذلك لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۳».

و قال ضرار بن الخطاب الفهرى- فيما ذكره محمد بن عمر، و أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى- شعرا يستعطف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على أهل مكة، حين سمع قول سعد، قال أبو الربيع: و هو من أجود شعر قاله.

و عن جابر: أن امرأة من قريش عارضت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بهذا الشعر، فكأن ضرارا أرسل به المرأة ليكون أبلغ فى انعطاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على قريش:

يا نبى الهدى إليك لجاحى قريش و لات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الأرض و عاداهم إله السماء

و التقت حلقتا البطان على القوم و نودوا بالصيلم «۴» الصلعاء

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۹ عن المعتزلى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲.

(۴) الصيلم: السيف المصقول.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶ إن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون و البطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر و العواء

و غر الصدر «۱» لا يهم بشىءغير سفك الدما و سبى النساء

قد تلظى على البطاح و جاءتعنه هند بالسوءة السواء

إذ ينادى بذل حى قريشو ابن حرب بذا من الشهداء

فلئن أقحم اللواء و نادىيا حماة الأدبار أهل اللواء

ثم ثابت إليه من بهم الخزرج و الأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريشفقعة القاع فى أكف الإماء

فأنهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب و الغ فى الدماء

إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتا كالحية الصماء فأرسل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى سعد، فنزع اللواء من يده، و جعله إلى ابنه قيس بن سعد، و رأى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه «۲».

و فى رواية: دخل ولد سعد بلوائه حتى غرزه بالحجون «۳».

و زعموا أيضا: أن سعدا أبى أن يسلم اللواء إلا بأمارة من رسول اللّه

---

(۱) و غر الصدر: امتلأ غيظا.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷

«صلى اللّه عليه و آله»، فأرسل النبى «صلى اللّه عليه و آله» بعمامته، فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

و يقال: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمر عليا «عليه السلام»، فأخذ الراية، فذهب بها إلى مكة حتى غرزها عند الركن «۱».

و روى: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أعطى الراية للزبير إذ نزعها من سعد «۲».

زاد الديار بكرى قوله: و جعله مكان سعد على الأنصار مع المهاجرين.

و عن الزبير: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دفعها إليه فدخل بلواءين «۳».

قال الحافظ: و الذى يظهر فى الجمع: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أرسل عليا لينزعها، و أن يدخل بها «۴».

ثم خشى تغير خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه قيس، ثم إن سعدا خشى أن يقع من ابنه شىء يكرهه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فسأل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يأخذها، فحينئذ أخذها الزبير «۵».

و يؤيد ذلك: ما رواه البزار بسند على شرط البخارى عن أنس قال:

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ عن ابن عبد البر و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ عن أبى يعلى، و موسى بن عقبة.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۲.

(۵) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸

كان قيس فى مقدمة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما قدم مكة، فكلم سعد النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يصرفه عن الموضع الذى هو فيه مخافة أن يقدم على شىء فصرفه عن ذلك. انتهى «۱».

و فى نص آخر: أن أبا سفيان سعى إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» (و زاحم حتى مرّ تحت الرماح)، و أخذ بغرزه «۲»، فقبّله، و قال: بأبى أنت و أمى، أما تسمع ما يقول سعد؟ إنه يقول:

اليوم يوم الملحمةاليوم تسبى الحرمة فقال لعلى «عليه السلام»: أدركه، فخذ الراية منه، و كن أنت الذى يدخل بها، و ادخلها إدخالا رفيقا.

فأخذها على «عليه السلام»، و أدخلها كما أمر «۳».

و نقول:

قد احتوت النصوص المتقدمة أمورا عديدة ينبغى الوقوف عندها. و قد آثرنا أن نقتصر هنا على بعض منها، و هى الأمور التالية:

العباس هو المشير أم أبو بكر؟!:

يلاحظ: أن بعض الروايات المتقدمة تذكر: أن العباس هو الذى اقترح أن يرى أبو سفيان عرض جنود اللّه تعالى.

---

(۱) المصدران السابقان.

(۲) الغرز: ركاب الرجل.

(۳) مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و ۱۳۰ عن إعلام الورى، و عن مناقب آل أبى طالب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹

لكن رواية أخرى تذكر: أن أبا بكر هو المشير بذلك.

غير أننا نعلم: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن بحاجة إلى رأى أحد ..

فإذا كانا قد بادرا إلى اقتراح من هذا القبيل، فذلك يشير إلى نقص فيهما، لأنهما يخالفان بذلك قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ «۱».

و الصحيح هو: أن هذا هو قرار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لم يحتج فيه إلى أحد.

و قد صرحت بعض الروايات: بأنه بمجرد أن أعلن أبو سفيان بالشهادتين أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» العباس بأن يأخذه إلى العقبة ليراه جنود اللّه عز و جل، و يراهم.

أهداف حضور العرض:

و قد صرح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالهدف الذى كان يتوخاه من حضور أبى سفيان عرض جنود اللّه تعالى، و هو أمران:

أولهما: أن يراه الناس جنود اللّه، لتقوى بذلك عزائمهم، و يصح يقينهم بوعد اللّه تعالى لهم بالفتح و النصر، منذ الحديبية.

ثانيهما: أن يرى هو جنود اللّه، لتذل و تتطامن نفسه الأمّارة بالسوء، التى تمنيه النصر، و تدعوه إلى محاربة اللّه و رسوله، و عباده المؤمنين، و ليكبته

---

(۱) الآية ۱ من سورة الحجرات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰

اللّه تبارك و تعالى بذلك، و يشفى به صدور قوم مؤمنين طالما اضطهدهم، و ألحق بهم أنواعا من الأذايا و البلايا و الرزايا.

أبو سفيان يصر على أن ما يراه (ملك):

و حين يعبّر أبو سفيان للعباس عن انبهاره بما يرى، تراه يقول: ما أعظم ملك ابن أخيك.

فهو يزعم للعباس: بأن ما يراه إنما هو من مظاهر السلطان و الملك، و لا يريد ان يعترف للنبى «صلى اللّه عليه و آله» بالنبوة، لأنه قد يستطيع أن يصنع لنفسه ملكا يضاهيه، أو أن يكيد لهذا الملك و يسقطه، أو يسلبه ممن هو له.

أما النبوة فهى شرف لا يمكن سلبه، و لا مجال للسعى للحصول عليه؛ لأن الإختيار فيه لا يعود إليه، و لا إلى أحد يمكن الوصول إليه، بل إلى اللّه تبارك و تعالى. و أبو سفيان لم يزل محاربا له سبحانه، منتهكا لحرماته ..

و لذلك تراه يصر على توصيف كل ما يراه بأنه (ملك)، متجاهلا كل ما يراه من معجزات و كرامات لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. لأنه يرى: أن ذلك من مصلحته، كما أن مصلحته- بزعمه الفاسد- هى بإنكار النبوة، أو التشكيك فيها على الأقل.

أغدرا يا بنى هاشم؟!:

إن أبا سفيان لم يزل يصف النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأفضل الصفات، و بأنه أبر الناس و أوصلهم، و أرحمهم، و بأنه الحليم الكريم، و ..

و .. و قد عرفه الناس بأنه الوفى الذى لا يغدر، و الواضح الذى لا يمكر،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱

و الطاهر الذى لا يفجر.

و قد رفض «صلى اللّه عليه و آله» بعد عهد الحديبية أن يستجيب لطلب أبى بصير بأن لا يسلمه لأهل مكة، و قال له: «لا يصح فى ديننا الغدر» «۱».

و قد كان وفاؤه هذا معروفا لدى المشركين. و قد شهد بذلك مكرز بن حفص الذى بعثته قريش مع جماعة، ليستعلموا منه «صلى اللّه

عليه و آله» عن سبب مجيئه إلى مكة فى عمرة القضاء، فقالوا له: «و اللّه، ما عرفت صغيرا و لا كبيرا بالغدر».

إلى أن تقول الرواية: فقال مكرز: «هو الذى تعرف به البر و الوفاء» «۲».

و لكن أبا سفيان برغم هذا كله، بمجرد أن أشار إليه العباس بأن يقف لحاجة له معه، بادر لوصف جميع بنى هاشم بالغدر .. مع أن طلب الوقوف ليس فيه ما يشير إلى غدر، و لا إلى سواه.

و لكن خوف أبى سفيان قد أعاده إلى غفلته، و أيقظ فيه سوء سريرته، فتعامل مع الأمور وفق طبعه هو، لا وفق ما يعلمه من النبى «صلى اللّه عليه و آله» و من بنى هاشم ..

و الذى دل على ذلك: أنه قد برر و ستر بهذا الخوف ما صدر منه من اتهام بنى هاشم بالغدر، فإنه حين قال له العباس: لى إليك حاجة.

قال له أبو سفيان: فهلا بدأت بها أولا.

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۲۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۹۱ و فى هامشه عن الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۹۲ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۳۲۱ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲

فقلت: إنّ لى إليك حاجة، فيكون أفرخ لروعى.

العدة و العدد:

و قد تقدم: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أمر العباس بأن يوقف أبا سفيان على رأس العقبة ليراه عباد اللّه و يراهم .. ثم عبأ «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه، و أمرهم بإظهار الأداة و العدة ..

و لا يحتاج هذا الإجراء إلى بيان، فهو المنطق الذى يفهمه عبيد الدنيا، الذين يفهمون الأمور بمقاديرها، و يقومونها بأحجامها، و هيآتها المادية، لا بمضمونها و معناها الواقعى.

كتائب أم قبائل:

و قد أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» مناديا ينادى: لتصبح كل قبيلة قد أرحلت، و وقفت مع صاحبها عند رايته. ثم صارت القبائل تمر على قادتها و القبائل على راياتها ..

و السؤال هنا هو: عن السبب فى هذه التبعية التى تعتمد على التصنيف العشائرى مع أن الإسلام يرفض المنطق القبلى و العشائرى.

و نقول فى الجواب:

إن للعشائرية و القبائلية حالتين:

إحداهما: غير مضرة و لا مسيئة لأحد، و ربما تكون محبوبة و مرضية يتجاوز فى محبوبيتها درجة الإستحباب لتصل إلى الوجوب.

و لتصبح بذلك منشأ للعقوبات و المثوبات الإلهية، لأن لها دورا فى بناء الحياة، و فى تصحيح مسارها .. مثل صلة الأرحام، و قضاء حوائجهم، و قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳

حفظ الإسلام هذه الصلة و الخصوصية، و رضيها.

و لكنه نزع منها أو فقل: غيّر فيها نزعة العصبية و كرّسها فى أن تكون عصبية للحق، و للدين، و السعى لرضا اللّه تعالى، و الالتزام بأوامره فى حفظ نفس هذه الصلة أيضا.

الثانية: العصبية للعشيرة، و للنسب، و الإندفاع فى تلبية طموحات ذلك المتعصب، و أهوائه إلى حد الظلم و العدوان على الآخرين، لمجرد الإستجابة للداعى النسبى، أو العشائرى. و هذا مرفوض و مدان فى الإسلام.

و من الواضح: أن ترتيب الكتائب وفق التصنيف العشائرى هو من الصنف الأول أى أنه لا يوجب ضررا، بل هو مفيد و سديد، و يوجب تنافسا فى السعى إلى تحقيق رضا اللّه تبارك و تعالى فيما ندبهم إليه .. و هو يدفع أيضا إلى التناصر فى ساحات الجهاد، و يقلل من حجم الخسائر بين أهل الإيمان.

بل لقد كان لهذا التنظيم فائدة أخرى هامة جدا، و خصوصا فى فتح مكة .. حيث رأى أبو سفيان: كيف أن مختلف قبائل العرب، التى طالما علّق آماله على نصرها، تنضوى تحت لواء الإسلام، و تأتى لفتح بلد كان يعتبره آخر ما يمكن أن يفكر أحد بجمع الجيوش لدخوله ..

و لذلك كان أبو سفيان كلما مرت به قبيلة من تلك القبائل، على هيئتها و بعدتها القتالية، يعرب عن حيرته فى دوافع تلك القبيلة إلى أن تكون فى موقع المحارب له، ثم أن تبلغ فى عدائها له و للمشركين إلى هذا الحد، و هو أن تدخل مكة، فيقول: ما لى و لقبيلة كذا .. ثم يكرر هذا القول بالنسبة للقبيلة التى تليها .. و هكذا.

و قد يقول عن بعض القبائل: «ما كان بيننا و بينها ترة قط».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۴

و قال عن بعضها: «جاءتنى تقعقع من شواهقها».

بل هو حين مر به بنو بكر قال: أهل شؤم و اللّه، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم.

و لعل أكثر ما آلم قلبه هو: أنه قد مرت به قبائل كانت من أشد الناس عداوة لمحمد «صلى اللّه عليه و آله» .. فما الذى قلب الأمور، و كيف تغيرت الأحوال؟!

من هؤلاء:

و لكن يبقى لنا سؤال عن طبيعة أسئلة أبى سفيان للعباس عن الأشخاص و عن القبائل .. فقد كانت معرفة أبى سفيان تضاهى معرفة العباس بهم و بها، فقد كانا يعرفان خالدا و عمر بن الخطاب، و .. و .. الخ .. و يعرفان سليما و بنى بكر، و بنى أشجع الخ ..

فهل كانت أسئلة تقديرية، أم أنه كان متجاهلا فى أسئلته لا جاهلا، ليظهر للعباس أنه قد فوجئ بالأمر؟! أم أن هناك بعض الأسباب الأخرى التى لم تخطر على بالنا؟!

كل ذلك نجعله فى بقية الأماكن و لكن النتيجة واحدة على كل حال، و هى فتح اللّه تعالى لنبيه «صلى اللّه عليه و آله»، و نصره على أهل الشرك و الضلال.

خالد .. غلام!!:

و قد ورد فى الروايات المتقدمة: أن أبا سفيان وصف خالد بن الوليد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۵

بالغلام حين رآه يقود كتيبته و هو يدخل مكة «۱».

و لا ندرى ما المبرر لإطلاق هذا الوصف عليه، فقد كان عمره عاليا، و قد يكون من أتراب أبى سفيان نفسه، إن لم يكن أسن منه.

و هل يصح أن يوصف ب «الغلام» من يزعمون: أنه كان أحد أشراف قريش فى الجاهلية «۲»، و إليه كانت القبة التى كانوا يضربونها، ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش؟ «۳».

و إليه- حسب زعمهم أيضا- كانت أعنة خيل قريش فى الجاهلية «۴».

إلا إذا كان يقصد ب «الغلام» الشيخ، على اعتبار أن هذه الكلمة من الأضداد التى تطلق على الفتى الطار الشارب و الكهل «۵».

و لكن قد يقال: إنه تأويل غير مقبول؛ لأن أبا سفيان لما سمع باسم خالد قال مستفهما: «الغلام؟ قال: نعم».

فقد يفيد هذا السياق: أن هذه الكلمة مما عرف إطلاقها على خالد ..

فكأنها كانت من ألقابه لمناسبة اقتضت ذلك.

---

(۱) الإصابة ج ۱ ص ۴۱۳ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ۱ ص ۴۰۶ عن الزبير بن بكار.

(۲) الأعلام للزركلى ج ۲ ص ۳۰۰.

(۳) تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۵۴ و ج ۲۴ ص ۱۱۸ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۳۶۶.

(۴) الأعلام للزركلى ج ۲ ص ۳۰۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۲۵۴ و ج ۲۴ ص ۱۱۸ و البداية و النهاية ج ۵ ص ۳۶۶.

(۵) راجع: أقرب الموارد ج ۲ ص ۸۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۶

اللواء و الراية:

قدمنا بعض الحديث عن اللواء و الراية، و اتحادها أو عدمه، فى أوائل غزوة أحد، و ربما فى مواضع أخرى أيضا ..

و سياق الحديث فى بعض النصوص المتقدمة يشير إلى اختلافهما أيضا.

و يظهر من بعضها خلاف ذلك.

فهو يجمع بين الألوية و الرايات، فيقول عن بنى سليم: كان معهم لواءان و راية.

و أضاف المعتزلى راية أخرى أيضا.

و لكنه تحدث عن خصوص الألوية فى مواضع أخرى، فقد قال عن بنى مزينة: إن لهم ثلاثة ألوية.

و عن جهينة: إن فيهم أربعة ألوية.

و عن أشجع: كان فيهم لواءان.

و عن بنى سليم: كان معهما لواءان، و لم يذكر رايات.

و ذكر لبعض الفئات: راية أو أكثر، و لم يذكر لها لواء مثل المهاجرين، و أفناء العرب، و كذلك الحال بالنسبة لقبيلة غفار.

و كل ذلك يزيد فى إبهام الأمر بالنسبة للاصطلاح الذى جرى عليه الرواة هنا.

و لعل ذلك يعزز ما قلناه من عدم الفرق بين اللواء و الراية، و إن كان بعض الرواة قد يستنسب خصوصية فى مورد، فيبادر إلى التفريق بينهما فى تعابيره لأجلها، و إن لم يكن لها مدخلية حقيقية فى أصل المعنى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۷

الرايات السود:

و قد ذكر فيما تقدم: أن راية المهاجرين و أفناء العرب كانت سوداء ..

و قالوا أيضا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد عقد يوم حنين و يوم الفتح راية سوداء «۱».

و سيأتى أيضا عن أبى هريرة: أنه «صلى اللّه عليه و آله» دخل مكة يومئذ «و عليه عمامة سوداء، و رايته سوداء و لواؤه أسود» «۲».

و نقول:

إننا لم نجد مبررا لعقد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» راية لعمه، خصوصا بملاحظة الرواية الصحيحة التى صرحت: بأن العباس كان من الطلقاء ..

و لو أغمضنا النظر عنها؛ فإن عقد راية له معناه: أن يطبل العباسيون و يزمروا لها ما شاؤوا.

و لكانت قد حفلت كتب التاريخ بذكرها تبركا، أو تزلفا لهم!! و لم نجد لذلك أثرا، لا فى تبجحات العباسيين، و لا فى تزلفات المتزلفين.

و بالمناسبة نقول:

قد يظهر من الكميت: أن الراية التى كان المسلمون يرفعونها فى حروبهم ضد الكفار كانت سوداء، فهو يقول:

و إلا فارفعوا الرايات سوداعلى أهل الضلالة و التعدى

---

(۱) صبح الأعشى ج ۳ ص ۳۷۰ عن كتاب الحاوى الكبير للماوردى.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۸

و قد كانت راية على «عليه السلام» فى صفين سوداء أيضا «۱»، و قد خاطب صلوات اللّه و سلامه عليه حضين بن المنذر بقوله:

لمن راية سوداء يخفق ظلهاإذا قيل: قدمها حضين تقدما «۲»

لقد عزّ عمر بعد قلة و ذلة:

و قد تكلمنا فيما سبق عن مقام و موقع عمر فى الجاهلية و فى الإسلام، و ليس لنا أن نعيد ما ذكرناه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى فصل «حتى الشعب»، تحت فقرة بعنوان: «هل عز الإسلام بعمر حقا»؟!

و قد أظهرت النصوص الصريحة: أن عمر بن الخطاب لم يكن من بيوت العز و الشرف و السؤدد، بل كان فى قلة و ذلة، و كان هو فى نفسه عسيفا، أى تابعا مستهانا به.

و لكن بالإسلام ينال الناس الشرف و العزة، إلا- إذا تخلفوا عن الإلتزام بمناهجه، و عن العمل بتعاليمه .. فلا بد من ملاحظة سيرة حياتهم، و تقييمهم على هذا الأساس.

---

(۱) راجع: السيادة العربية و الشيعة و الإسرائيليات هامش ص ۱۲۶.

(۲) الغارات ج ۲ ص ۷۹۰ و ۷۹۲ و مواقف الشيعة للأحمدى ج ۱ ص ۱۲۵ و دستور معالم الحكم لابن سلامة ص ۱۹۶ و تاريخ مدينة دمشق ج ۱۴ ص ۲۹۳ و ۲۹۶ و ج ۱۶ ص ۲۱۰ و تهذيب الكمال ج ۶ ص ۵۵۶ و الإصابة ج ۵ ص ۹۳ و الأعلام للزركلى ج ۲ ص ۲۶۲ و أنساب الأشراف ص ۲۶۹ و ۳۰۷ و الأنساب للسمعانى ج ۱ ص ۴۵ و تاريخ الأمم و الملوك ج ۴ ص ۲۶ و المنتخب فى ذيل

المذيل للطبرى ص ۱۴۶ و الجمل للمفيد ص ۱۷۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۹

أبو سفيان يصر على موقفه:

و قد ذكرنا فى فصول متقدمة: كيف تعامل أبو سفيان مع ما جرى على خزاعة، حين قتلت بنو بكر و قريش طائفة من نسائها و صبيانها، و ضعفاء الرجال فيها، و نقضوا بذلك عهدهم مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

و كان رأيه جحد هذا الأمر، و إنكاره .. و سافر من مكة إلى المدينة لكى يوهم المسلمين ببراءة قريش من هذا الأمر، و حصر الأمر فيه بآحاد من بنى بكر.

و ها هو يعود ليزعم: أنه كان لما جرى على خزاعة كارها ..

و ليت شعرى إذا كان له كارها، حيث بلغه، فلما ذا سعى فى طل دماء أولئك المقتولين ظلما، و جحد أن يكون لقريش أى أثر فيه، و سافر إلى المدينة لإيهام المسلمين بهذا الأمر؟!

و لكنه أمر حتم:

و اللافت: أن أبا سفيان يعود هنا فيلقى بالمسؤولية على القدر، و يتحاشى أن ينسب إلى أولئك المجرمين القتلة أية مسؤولية عن قتل أولئك الأبرياء، فهو يقول: «و لكنه أمر حتم».

و نقول له:

إنه أمر صنعته إرادات و أيدى زعماء قريش، و زعماء بنى بكر، و لم يرحموا فيه صغيرا و لا كبيرا، و لم يجبرهم عليه أحد.

فهو لم يكن محتوما لو لا ركوبهم لخيول الهوى و العصبية، و طاعتهم للشيطان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۰

هذا .. و قد عوّدنا الأقوياء حين يضعفون و يعجزون، و كذلك الذين يستشعرون بعض القوة، ثم يظهر لهم ما هم فيه من الوهن و الفشل- عودونا- أن يبرروا ذلك بالإحالة على القدر، أو على الجبر التكوينى الإلهى، لتغطية ذلك العجز و الوهن، و التستر على ما هم فيه من فشل و خيبة ..

و قد كانت عقيدة الجبرية فى المشركين، و ورثها الناس عنهم، و ربما يكون لأهل الكتاب أيضا دور فى ترسيخها فيهم.

قال تعالى عن المشركين: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. «۱».

بل إن اليهود قد جعلوا اللّه تعالى محكوما بقدره، و مقهورا و مجبرا فيما يفعل، فقد قال سبحانه عنهم: وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ .. «۲».

و قد استخدم الحكام و أهل الأطماع هذه العقيدة لخدمة مصالحهم، و تسيير أمورهم، و حل مشاكلهم، و الخروج من بعض المآزق التى أوقعوا أنفسهم فيها.

و برروا بها إقدامهم على كثير من الأمور غير المشروعة أيضا.

ثم وضعت الأحاديث الكثيرة على لسان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لتأييد هذه العقيدة و نشرها ..

من أجل هذا و ذاك ظهرت هذه العقيدة فى مفردات كثيرة من مواقف

(۱) الآية ۱۴۸ من سورة الأنعام.

(۲) الآية ۶۴ من سورة المائدة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۱

و كلمات و تصرفات الخلفاء و الحكام، و الشخصيات المعروفة- باستثناء على و أهل بيته «عليهم السلام»- فراجع ما ينقل من ذلك عن عمر، و أبى بكر، و عائشة، و خالد بن الوليد، و معاوية، و عمر بن سعد، و المنصور و .. و .. الخ ..

و بها بررت عائشة حرب الجمل التى خاضتها ضد أمير المؤمنين «عليه السلام» «۱».

و بها برر عمر بن الخطاب بعض أعماله حتى حين مزق كتابا سجل فيه حكما فى مسألة إرثية ..

و بها برر عثمان تمسكه بالحكم إلى أن قتل.

و بها احتج معاوية لعهده بالخلافة بعده ليزيد الخمور و الفجور.

و بها برر عمر بن سعد قتله للإمام الحسين «عليه السلام».

و بها استدل خالد بن الوليد لقتل مالك بن نويرة، و من معه من المسلمين.

و بها برر معاوية و المنصور العباسى منع الناس من حقوقهم فى بيت مال المسلمين.

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه و استقصائه «۲».

---

(۱) المحاسن و المساوى للبيهقى ج ۱ ص ۴۷۱ و راجع: شواهد التنزيل ج ۲ ص ۳۸ و ۳۹ و تفسير نور الثقلين ج ۴ ص ۲۷۶ و مجمع البيان ج ۸ ص ۳۵۷ و راجع:

البحار ج ۳۵ ص ۲۲۲ و فى هامشه عن الطرائف ص ۲۰.

(۲) إن ما تقدم من أمثلة و شواهد، و من أحاديث أيضا موجود فى المصادر المختلفة بصورة متفرقة، فمن أراد أن يقف على متفرقاته و يجمع بين شتاته، فليلتقط بعضه من المصادر التالية: تأويل مختلف الحديث ص ۵ و ۶ و ۲۹ و ۴۵ و ۴۸ و ۸۲ و ۸۳ و ۱۲۸ و ۲۳۵ و ۲۳۶ و الهدى إلى دين المصطفى ج ۲ ص ۱۶۲ و ۲۷۱-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۲

و المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۱۱۹ و ۱۲۲ و ۱۸ و ج ۶ ص ۳۵۶ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۱۲ و ۹۵ و ۹۴ و ۲۳۰ و ج ۳ ص ۴۸۷ و ۴۹۲ و ۵۰۱ و ۵۲۹. و راجع: الغدير ج ۷ ص ۱۴۷ و ۱۵۴ و ۱۵۸ و ج ۸ ص ۱۳۲ و ج ۹ ص ۳۴ و ۹۵ و ۱۹۲ و ج ۱۰ ص ۳۳۳ و ۲۴۵ و ۲۴۹ و ج ۵ ص ۳۶۵ و ج ۶ ص ۱۲۸ و ۱۱۷ و نور القبس ص ۳۱ و ۲۶۶ و ۶۵ و عيون الأخبار لابن قتيبة ج ۴ ص ۶۹ و مدارك التنزيل (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ۱ ص ۴۰۱ و قاموس الرجال ج ۶ ص ۳۶ و الفتوح لابن أعثم ج ۴ ص ۲۳۹ و ربيع الأبرار ج ۲ ص ۶۴ و ۶۵ و ج ۱ ص ۸۲۱ و المعجم الصغير ج ۱ ص ۱۵۸ و ۷۴ و ۱۳۰ و ۲۵۵ و ج ۲ ص ۶۷ و ۵۵ و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ۵ ص ۱۴۸ و ۵۴۳ و ج ۷ ص ۱۶۳ و ۴۱۷ و ج ۳ ص ۷۲ و ۶۶ و كلمة الأديان الحية ص ۷۷ و ۸۰ و الإلمام ج ۶ ص ۱۱۹ و لسان الميزان ج ۱ ص ۴۴۸ و الكفاية فى علم الرواية ص ۱۶۶ و جامع بيان العلم ج ۱ ص ۲۰ و ج ۲ ص ۱۴۸ و ۱۴۹ و ۱۵۰ و ضحى الإسلام ج ۳ ص ۸۱ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۱ ص ۳۴۰ و ج ۱۲ ص ۷۸ و ۷۹ و الإمامة و السياسة ص ۱۸۳ و الأخبار الدخيلة (المستدرك) ج ۱ ص ۱۹۳ و ۱۹۷ و مقارنة الأديان (اليهودية) ص ۲۷۱ و ۲۴۹ و أنيس الأعلام ج ۱ ص ۲۷۹ و ۲۵۷ و التوحيد و إثبات صفات الرب ص ۸۰- ۸۲ و المقدمة لابن خلدون ص ۱۴۳ و ۱۴۴ و الأغانى ج ۳ ص ۷۶ و العقد الفريد ج ۱ ص ۲۰۶ و ج ۲

ص ۱۱۲ و تاريخ الأمم و الملوك (ط مطبعة الاستقامة) ج ۲ ص ۴۴۵ و بحوث مع أهل السنة و السلفية ص ۴۳ و ۴۹ عن العديد من المصادر و تذكرة الخواص ص ۱۰۴ و ۱۰۵ و تاريخ بغداد ج ۱ ص ۱۶۰ و بهج الصباغة ج ۷ ص ۱۲۰ و الدر المنثور ج ۶ و المغازى للواقدى ج ۳ ص ۹۰۴ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ۳ ص ۹۲ و ۹۳ و مصابيح السنة للبغوى ج ۲ ص ۶۷ و مناقب الشافعى ج ۱ ص ۱۷ و صحيح البخارى ج ۸ ص ۲۰۸ و المعتزلة ص ۷ و ۳۹-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۳

هذا .. و قد تصدى أمير المؤمنين و أهل البيت «عليهم السلام» و كذلك شيعتهم «رضوان اللّه عليهم» لهذه العقيدة الفاسدة، بكل ما أمكنهم .. كما تصدوا لكل فاسد وافد، و بينوا زيفه بالأدلة و بالشواهد ..

بنو بكر أهل شؤم:

و قد قال أبو سفيان عن بنى بكر، حين مروا به: «نعم، أهل شؤم و اللّه! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم».

و نقول:

إنه كلام غير سليم، و هو يستبطن نوعا من التدليس للحقيقة، و المغالطة

و ۴۰ و ۸۷ و ۹۱ و ۲۰۱ و ۲۶۵ عن المنية، و الأمل ص ۱۲۶ و الخطط للمقريزى ج ۴ ص ۱۸۱ و الملل و النحل ج ۱ ص ۹۷ و ۹۸ و العقائد النسفية ص ۸۵ و وفيات الأعيان ص ۴۹۴.

و فى «الإمام الصادق و المذاهب الأربعة» ج ۳ ص ۴۵ عن الطبرى ج ۶ ص ۳۳ و ج ۳ ص ۲۰۷ و عن الترمذى ص ۵۰۸.

و فى حياة الصحابة نقله عن المصادر التالية: كنز العمال ج ۳ ص ۱۳۸ و ۱۳۹ و ج ۸ ص ۲۰۸ و ج ۱ ص ۸۶ و صحيح مسلم ج ۲ ص ۸۶ و أبى داود ج ۲ ص ۱۶ و الترمذى ج ۱ ص ۲۰۱ و سنن ابن ماجة ج ۱ ص ۲۰۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۵۰ و ج ۶ ص ۳۴۹ و مسند أحمد ج ۵ ص ۲۴۵ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۳ و ج ۱ ص ۱۳۵ و تاريخ الأمم و الملوك للطبرى (مقتل برير) ج ۴ ص ۱۲۴ و ج ۳ ص ۲۸۱ و البداية و النهاية ج ۷ ص ۷۹.

و نقل أيضا عن: جامع البيان ج ۶ ص ۶۰ و عن تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۵۹۴ و عن أنساب الأشراف ج ۵ ص ۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۴

فيها، فلاحظ ما يلى:

أولا: إن بنى بكر لم يكونوا وحدهم حين قتلوا الأطفال، و النساء، و الضعفاء من رجال خزاعة، بل كان معهم من قريش جماعة فيهم زعماء، و كبار، و لم يكن بنو بكر ليجبروهم على اتخاذ موقفهم، بل اتخذوه بملء اختيارهم.

فما معنى: أن يعتبرهم شؤما، فضلا عن أن يجعلهم سبب غزو محمد «صلى اللّه عليه و آله» لقريش؟!

ثانيا: لو صح قول أبى سفيان هذا، فقد كان بإمكانه أن يتلافى ما حصل، بالعمل على القصاص من المجرمين، أو على الأقل أن يعطى أولئك القتلة الظالمون خزاعة دية قتلاها ..

ثالثا: لماذا ساهم هو فى التستر على مرتكبى الجريمة، و فى السعى لخداع المسلمين، و إعطائهم انطباعا خاطئا عن حقيقة ما جرى؟!

موقف النبى صلّى اللّه عليه و آله من كلام سعد:

و عن قول سعد بن عبادة: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل اللّه قريشا، نقول:

إنه مرفوض جملة و تفصيلا، بعد أن صدرت الأوامر الصارمة من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و ظهرت رغبته الأكيدة بحفظ حرمة بيت اللّه، و حرمه.

و هذا ينم عن جهل، أو عن عصبية جاهلية اعترت سعدا فى ذلك الموقف .. إلا- إذا كان يريد أن يخيف أبا سفيان، أو أنه أطلق كلماته تلك انسياقا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۵

مع مشاعره الجياشة، و انسجاما مع عواطفه الثائرة، بعد كل ما رآه من بغى و طغيان، و ظلم مارسته قريش ضد الإسلام و أهله طيلة أكثر من عشرين سنة.

و فى جميع الأحوال نقول:

إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يريد حفظ حرم اللّه و التأكيد على كرامة بيته، لأن فى ذلك حفظ الإسلام .. حتى لو أدى ذلك إلى أن يتمكن بعض الظلمة من أن يفلتوا من العقوبة التى يستحقونها فى هذه الدنيا، و لم يكن يريد حفظ أقاربه و قومه، بما هم قوم و أقارب، فقد أثبتت الأيام: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يفكر بهذه الطريقة، و لا ينطلق فى مواقفه من مثل هذه المفاهيم و المعانى.

كما أنه يريد: أن يفسح المجال للناس الذين استضعفهم أولئك المستكبرون، ليمارسوا حريتهم فى الاختيار و فى الممارسة، و أن يمنع حدوث أى شىء يؤسس لأحقاد، أو لطلب ثارات، قد تتسبب فى تفجير أوضاع خطيرة على مستقبل الدين و أهله ..

و قد نسبت بعض الروايات إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» قوله: «كذب سعد». و هى كلمة قوية و حادة، إن كان يريد أن سعدا تعمد أن يكذب.

و إن كان يريد أنه لم يصب الواقع، لاشتباه الأمر عليه، فظن أن يوم المرحمة هو يوم الملحمة، فليس فى هذه الكلمة إهانة لسعد، بل هو يريد تخطئته و حسب.

يوم المرحمة و يوم عزّ قريش:

و لا شك فى أن الرحمة الإلهية قد شملت أهل مكة بهذا الفتح الذى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۶

فرض عليهم الإسلام، و أدى إلى هيمنة أحكامه و شرائعه، التى هى محض الحق و العدل، و بها يكون لهم بلوغ درجات الكرامة و الفضل.

إنه يوم رفع الظلم، و الجبرية، و يوم إعلان الحرب على الفساد و المفسدين، و إبطال حكومة الأهواء و النزوات، و إسقاط هيمنة العصبيات و الشهوات.

و هو أيضا: يوم تعظيم الكعبة و كسوتها .. بعد أن خرجت من يد المشركين بربهم، الذين هتكوا حرمة حرم اللّه بذبح أطفال، و نساء، و ضعفاء رجال خزاعة فيه .. و تجرؤوا على اللّه بعبادة الأصنام فى بيته و الدعوة إلى الشرك به تعالى فيه ..

و هو يوم عزّ قريش التى أعلنت براءتها من الشرك، و التزامها بالإيمان باللّه، و بأنبيائه و رسله، و قبول دينه، فمنحها ذلك حصانة، و عزة، حتى لو كان إيمانها لا يزال فى مراحله الأولى، الذى يقتصر على مجرد الإعلان اللسانى، و لم يلامس بعد شغاف القلوب، و لم يتمازج مع الأرواح، و لا طبعت به النفوس.

أخذ الراية من سعد:

و لم يكن أخذ الراية من سعد يهدف إلى إهانته، أو المسّ بمقامه. و لذلك أخذت منه لكى تعطى لمن هو أولى بها منه و من كل أحد، ألا و هو على بن أبى طالب «عليه السلام»، ليدخلها إلى مكة إدخالا رفيقا، بعيدا عن أجواء الإثارة و التحدى، و الرهج «۱»، و الحركات المؤذية للناس ..

---

(۱) الرهج: الشغب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۷

و يعيدها إلى قيس بن سعد بن عبادة، ليركزها عند الحجون، لأن إعطاء الراية للولد يرضى الوالد، و يحفظ ماء وجهه، و يطمئنه إلى أن المقصود ليس هو الطعن بمقامه، و إنما تهدئة الأمور، و تبريد الأجواء.

و بذلك نستطيع أن ندرك: أن الروايات التى ذكرت أخذ الراية من سعد، لتعطى لعلى «عليه السلام»، أو لقيس بن سعد ليست متنافرة. كما أنها لا تتضمن إهانة أو حطا من مقام سعد. و إن كان محبو أبى بكر و عمر قد يرضيهم إعطاؤها هذا الطابع، لأن سعدا لا يحظى بالإحترام، و التقدير لديهم، و لا يتمتع بالحصانة التى تمنع من نسبة ذلك إليه، لأنه بنظرهم يستحق كل مهانة، لأنه نافس أبا بكر على الخلافة فى يوم السقيفة، فى حديث معروف و مشهور ..

و مما يدل على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يقصد ذلك: ما تقدم من أنه «صلى اللّه عليه و آله» نزع اللواء من يده، و جعله إلى ابنه قيس. و قد قالوا: و رأى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن اللواء لم يخرج من يد سعد، حتى صار إلى ابنه.

سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكة:

و مما يؤكد: على أن سعدا لم يكن ينوى البطش بأهل مكة، و إنما قال ما قال على سبيل التهديد و التخويف لأبى سفيان .. أو لأنه فهم أن الأمور ستؤول إلى ذلك، ما رووه: من أنه بعد أن صار اللواء إلى ولده خاف أن يقدم ولده على شىء من العنف، فطلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۸

يأخذ اللواء حتى من ولده «۱».

و أما احتمال أن يكون قد طلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يأخذ اللواء من ولده قيس بسبب انزعاجه من عزله و تولية ولده، فهو احتمال ردىء يؤدى إلى إتهام سعد فى دينه، من حيث إنه يتضمن اعتراضا منه على النبى «صلى اللّه عليه و آله».

و أما القول: بأن لا شىء يدل على أن سعدا قد خاف على ولده من أن يرتكب مخالفة فيبادر إلى الطلب من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يأخذ منه الراية أيضا.

فيقال فى جوابه: إنه يمكن أن يكون راوى الحديث قد رأى قرائن و دلالات، أعطته الانطباع بأن سعدا يريد حفظ ولده من أن يقع فى خلاف ما يريده رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

على عليه السّلام صاحب اللواء:

و لسنا بحاجة إلى إعادة التذكير بأن عليا «عليه السلام» كان صاحب لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى كل مشهد، و فى يوم فتح مكة أيضا.

و قد تقدم ذلك فى أوائل غزوة أحد.

و قد صرحت النصوص هنا: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أضاف إلى على لواء سعد بن عبادة أيضا.

غير أن ثمة من يدّعى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أعطى راية سعد

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲ و ۲۲۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ عن البزار.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۴۹

للزبير، و زعموا: أن الزبير دخل مكة بلواءين.

و هى رواية الزبيريين لصالح سيدهم و كبيرهم، بل يظهر من ملاحظة بعض الروايات: أن الزبير قد روى ذلك أيضا لنفسه، فى محاولة منه لجر النار إلى قرصه ..

غير أننا نقول:

لنفترض: أن لهذا الكلام نصيبا من الصحة، فلعل أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد أن أدخل الراية إلى مكة إدخالا رفيقا، إمتثالا لأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»- لعله- أعطاها بعد ذلك للزبير، مكتفيا هو بحمل لواء الجيش كله، حسبما ألمحنا إليه ..

فإنهم يقولون: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أمر عليا، فأخذ الراية، فذهب بها إلى مكة حتى غرزها عند الركن «۱». فلعله جعلها مع الزبير مدة يسيرة بعد ذلك إلى أن جاء قيس بن سعد، فأخذها من الزبير و أوصلها إلى الحجون.

عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش:

و اللافت هنا: أن عمر بن الخطاب الذى أظهر حرصه على قتل أبى سفيان قبل قليل، و لم يزل يظهر الشدة على المشركين، و يطالب بسفك دمهم، هو الذى سمع سعدا يقول: اليوم يوم الملحمة الخ .. فجاء إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و قال له: «يا رسول اللّه، اسمع ما قال

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۰

سعد!! ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة» «۱».

ثم تابعه على ذلك عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان «۲».

ثم دس ضرار بن الخطاب بشعره المتقدم مع امرأة لتنشده النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و هو يستعطفه فيه أيضا على أهل مكة، بعد أن سمع هو الآخر مقالة سعد بن عبادة.

فما هذا الحرص من خصوص هؤلاء على سلامة قريش من صولات سعد؟!

و لماذا يكون عمر شديدا هناك، فى حين كان واضحا لكل أحد أن المصلحة هى فى عدم التعرض لأحد من أولئك الناس، و أن الأمر فيهم لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دون سواه، ثم يكون حريصا على سلامة قريش هنا، حيث لا يوجد ما يمنع سعدا من أن تكون له فى قريش صولة إلا تدخّل النبى «صلى اللّه عليه و آله» معه لمنعه من ذلك .. مع توفر الدواعى للبطش بقريش، و كسر عنفوانها، و مجازاتها على بعض ما صدر منها من ظلم، و ما ارتكبته من جرائم فى حق سائر أهل الإيمان فى المنطقة بأسرها.

و أما استبعاد البعض: أن يكون عمر قد فعل ذلك، لكونه كان معروفا بشدة البأس عليهم «۳»، فقد تقدم فى غزوة أحد ما يفيد فى بيان عدم صحة هذا الكلام، حيث قلنا: إن هناك ما يشير إلى وجود عطف متبادل فيما بين

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

(۲) تقدمت المصادر لذلك.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۱

المشركين و بين عمر.

و أما المواقف التى كان يظهر فيها عمر شدته عليهم، فإنما هى فى المواقع التى كان يعلم أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد اتخذ قرارا بعدم التعرض لهم. و لأجل ذلك لم نجده «صلى اللّه عليه و آله» أذن له و لو مرة واحدة بإلحاق الأذى بأى فرد منهم، رغم كثرة طلبه ذلك منه «صلى اللّه عليه و آله».

أبو سفيان يقبّل غرز رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله»:

و قد أشرنا أكثر من مرة إلى مشروعية التقبيل للأنبياء و الأولياء و آثارهم، و قد ذكر فى الروايات الكثير من الشواهد و الدلالات على ذلك، و الروايات المتقدمة أظهرت سعى أبى سفيان، و مزاحمته للناس حتى مر تحت الرماح، و وصل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و أخذ بغرزه فقبله ..

و لم يمنعه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من ذلك، و لا أشار إلى أى تحفظ على هذا التقبيل، فيدخل تحت قاعدة مشروعية فعل ما سكت المعصوم عن الاعتراض على فاعله ..

و من جهة أخرى، فإن أبا سفيان الذى لم يزل يجد فى داخله إرهاصات الانتقام من النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين استكبارا منه، و ظلما و عتوا قد أصبح فى موقع المستجدى لعطفهم، و المتملق لهم، و المقبّل لغرز النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و المعلن بالمدح و الثناء عليه، فهو يقول له: أنت أبر الناس، و أوصل الناس، و أرحم الناس.

فهل يعتبر هذا الرجل، و يكف عن التآمر، و الكيد، و بث الفتن و الأحقاد؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۲

تأثير المرأة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله!!:

و قد تقدم فى بعض الروايات: أن ضرار بن الخطاب الفهرى حين سمع مقالة سعد أرسل أبياتا مع امرأة من قريش، فعارضت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بها، «فكأن ضرارا أرسل به المرأة ليكون أبلغ فى انعطاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على قريش».

و نقول:

إن هذا تفكير تافه و سخيف، يتناسب مع ذهنية المشركين الذين لا يعرفون معنى النبوة، و لا يعيشون آفاقها.

فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و إن كان إنسانا كامل المزايا الإنسانية و منها العاطفة الجياشة، و لكن عاطفته هذه تبقى خاضعة لعقله، و محكومة بالشرع و الدين، و برضا اللّه تبارك و تعالى ..

فإذا كان هذا العطف متوافقا مع الباطل، و يسخط اللّه، فإنه يتحول إلى غضب حازم، و قرار جازم لا يحابى، و لا يجامل، و لا تخالطه عاطفة، و لا عصبيات باطلة.

و إن كان متوافقا مع الحق، و مع رضا اللّه، فرضاه تعالى هو الذى يحرك النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و الحق هو الذى يهيمن على تلك الحركة.

إيحاءات لا تجدى شيئا:

و قد ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد دخل مكة و هو بين أبى بكر (الصديق) و أسيد بن حضير، و هو يحدثهما ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۳

فقال العباس لأبى سفيان: هذا رسول اللّه!!

و نقول:

إن مجرد أن يمشى النبى «صلى اللّه عليه و آله» بين هذا و ذاك لا يدل على فضيلة لأى منهما.

إلا إذا ثبت: أنه «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى طلب منهما أن يكونا معه و إلى جانبه.

و ثبت أيضا: أنه أراد تكريمهما بذلك ..

و لم يثبت أى من هذين الأمرين .. لكننا نعرف أن من المألوف أن يسعى الناس أنفسهم للتقرب من العظماء، فكيف لا يتقربون من الأنبياء؟ و لا سيما فى مثل هذا الفتح العظيم.

بل إن التحدث عن أن هذا الأمر يشير إلى خصوصية امتاز بها أبو بكر و أسيد بن حضير على من سواهما يوجب الريب فيما يدّعيه أتباع و محبو نفس هؤلاء، من تقدم لعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و سواهما على أسيد بن حضير، فكيف اختص أسيد بهذه الفضيلة دون هؤلاء، بما فيهم عمر بن الخطاب؟!

و أما قولهم: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يحدث أبا بكر، و أسيد بن حضير .. فإن كان على تقدير أن يكون أحدهما قد سأل النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن أمر مّا، فكان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يجيبه عنه، فهو مقبول ..

و أما إن كان يراد تعظيم أبى بكر و أسيد، و لو بقيمة تصغير شأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقد خاب من اعتدى و افترى على مقام النبوة الأقدس.

على أن من الجائز أن يكونا قد حشرا نفسيهما فى هذا الموقع، و بادرا إلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۴

طرح بعض الأسئلة لكى يرى الناس أن لهما من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» موقعا خاصا.

أسلم بنا:

و عن قول العباس لأبى سفيان، حين بعث النبى «صلى اللّه عليه و آله»:

أسلم بنا، نقول:

إنه لمن الغريب حقا: أن يكون ابن عبد المطلب سيد الحجاز، و شيخ بنى عبد مناف يعيش هذه التبعية الذليلة و المهينة أمام أبى سفيان، حتى إنه يعتبر إسلام أبى سفيان أساسا لإسلامه، و إسلام من هم على شاكلته من الناس .. فأبو سفيان هو المتصرف بهم، حتى فى قضايا الإيمان و الإسلام.

و يا ليت العباس كان قد تستر على هذا الضعف المهين، أو أخفى طرفا من هذه التبعية المشينة، فإن إظهارها بهذه الطريقة، و كأنها من الأمور العادية و المسلمة، حيث يقول: أسلم بنا!! فذلك يؤلم روح الإنسان الحر، و يؤذى مشاعره، لأنه يعتبر ذلك إهانة للإنسانية و استخفافا بالضمير، و تحقيرا للعقل.

و على كل حال، فإن العباس بقى على تبعيّته لأبى سفيان طيلة عشرين سنة، بل إنه حتى حين لم يعد له مناص هو و أبو سفيان من

إعلان الإسلام لم يضعف اهتمامه بحفظ أبى سفيان، و لم يفتر عن السعى فى مصالحه، و ما يرضيه .. و لم نجده متحمسا لحفظ أهل الإيمان، حتى لابن أخيه على «عليه السلام» حين اعتدى عليه المعتدون بعد وفاة النبى «صلى اللّه عليه و آله»، بمقدار عشر حماسته لأبى سفيان فى يوم الفتح .. و ذلك ظاهر لا يخفى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۵

الفصل الثانى: دخول مكة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۷

أدوار مخترعة للعباس رحمه اللّه:

هذا .. و قد رووا: عن أبى سلمة، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و عن عروة: أن العباس قال: يا رسول اللّه!! لو أذنت لى فأتيتهم- أى أهل مكة- فدعوتهم فأمنتهم، فركب العباس بغلة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الشهباء، و انطلق.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ردوا علىّ أبى، ردوا علىّ أبى، فإن عم الرجل صنو أبيه. إنى أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود، دعاهم إلى اللّه- تعالى- فقتلوه، أما و اللّه لئن ركبوها منه لأضر منها عليهم نارا».

فكره العباس الرجوع، و قال: يا رسول اللّه، إن ترجع أبا سفيان راغبا فى قلة الناس، فيكفر بعد إسلامه.

فقال: «احبسه» فحبسه.

فذكر عرض القبائل و مرورها بأبى سفيان، و فيه: فقال أبو سفيان:

امض يا عباس.

فانطلق العباس حتى دخل مكة، فقال: يا أهل مكة!! أسلموا تسلموا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۸

قد استبطنتم بأشهب بازل «۱».

و فى حديث عروة: و كفهم اللّه عز و جل- عن العباس- انتهى.

قال: ثم إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال لأبى سفيان: تقدم إلى مكة فأعلمهم الأمان «۲».

قال العباس: فقلت لأبى سفيان بن حرب: أنج ويحك، فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فخرج أبو سفيان، فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، أسلموا تسلموا، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

قالوا: قاتلك اللّه! و ما تغنى دارك؟!

قال: و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن.

فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته، فأخذت بشاربه، و قالت: أقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم.

فقال أبو سفيان: ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۳ عن ابن أبى شيبة، و الطبرانى، و تهذيب تاريخ دمشق ج ۷ ص ۲۳۶ و معانى الآثار ج ۳ ص

۳۱۵ و عن المصنف ج ۱۴ ص ۴۸۴.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۱ و راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۳۰ و راجع ص ۱۱۹ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲ و ۸۲۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۵۹

و فى نص آخر: أن أبا سفيان أقبل يركض حتى دخل مكة و قد سطع الغبار من فوق الجبال «۱»، ثم صاح: يا آل غالب، البيوت البيوت. من دخل دارى فهو آمن، فعرفت هند فأخذت تطردهم ..

إلى أن قالت الرواية: أن أبا سفيان قال لها: ويلك إنى رأيت ذات القرون، و رأيت فارس أبناء الكرام، و رأيت ملوك كندة و فتيان حمير، يسلمن (يسلمون) آخر النهار، ويلك اسكتى، فقد و اللّه جاء الحق، و دنت البلية «۲».

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نذكرها فيما يلى:

خوف النبى صلّى اللّه عليه و آله على العباس:

و بالنسبة لما ذكر من خوف النبى «صلى اللّه عليه و آله» على عمه العباس، و طلبه أن يردوه عليه، نقول:

إننا نكاد نطمئن إلى أنها رواية مفتعلة فى معظمها، فلاحظ ما يلى:

۱- كيف يرضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يذهب العباس إلى أهل مكة، و يأذن له بأن يركب بغلته .. إذ لم يكن ليركب العباس بغلة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من دون إذنه .. ثم يغير قراره مباشرة، و يطلب من الناس إرجاع العباس.

---

(۱) سطع الغبار: إرتفع.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۰ و ۱۳۱ عن المناقب، و إعلام الورى، و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۲ و ۸۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۰

فإن لم يكن ملتفتا فى بادئ الأمر إلى أن أهل مكة قد يؤذون عمه، و قد يجرى له معهم كما جرى لعروة بن مسعود حيث قتلته ثقيف حينما دعاهم إلى اللّه تعالى، فذلك يشير إلى نقص لا يصح نسبته إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» .. و إن كان قد التفت إلى ذلك و كان قرارا مصيبا، فلما ذا عدل عنه؟! و إن كان قرارا خاطئا فلما ذا اتخذه، و أصدر أمره على أساسه؟!

و هل يمكن أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» مترددا إلى هذا الحد؟

ثم ألا يوجب ذلك وهن أمره، و ضعف أثره؟

و من تكون هذه حاله، كيف يستطيع أن يجمع هذه الجموع و يحقق هذه الإنجازات؟!

۲- إن عروة بن مسعود حين دعا ثقيفا إلى اللّه لم يكن وراءه من تخشاه ثقيف و لا كان معه، عشرة آلاف مقاتل، و لا كان قد أخذ من زعمائهم من هو مثل أبى سفيان، و بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام ..

أما العباس، فكان كل ذلك متوفرا بالنسبة إليه، فلا معنى لقياس حاله بحال ابن مسعود الثقفى، الذى قتلته ثقيف ..

۳- إن واضع الرواية لم تكن لديه خبرة كافية بالتاريخ. فإن ما ذكره من خشية النبى «صلى اللّه عليه و آله» من أن يجرى على عمه مثل ما جرى على عروة بن مسعود، حيث قتلته ثقيف حين ذهب إليهم يدعوهم إلى اللّه، لا يمكن أن يصح، لأن عروة- كما صرحت به النصوص- إنما قتلته ثقيف فى سنة تسع بعد رجوع أبى بكر من الحج «۱».

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۴۷۷ عن موسى بن عقبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۱

و قد كان فتح مكة فى شهر رمضان من سنة ثمان كما هو معلوم، أو بعد حرب الطائف كما ذكره ابن إسحاق «۱». و قد كان الفتح فى شوال سنة ثمان.

و سيأتى ذلك كله مع مصادره بعد غزوة الطائف إن شاء اللّه تعالى.

۴- ما معنى: أن لا يرضى العباس أن يمتثل لأمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، حيث كره الرجوع، رغم أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمره به.

۵- ما معنى: أن يأمر أبو سفيان العباس بأن يمضى معه، فيطيعه، و يدخل معه مكة، و ذلك بعد أن رأى أبو سفيان عرض القبائل و مرورها ..

و لا يرضى بإطاعة أمر الرسول «صلى اللّه عليه و آله» له بالرجوع؟!

فهل كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» غافلا عن أن المصلحة هى فى أن يرى أبو سفيان ذلك العرض، ثم يذهب هو و العباس بعده إلى أهل مكة؟!

و لو صح ذلك، فكيف نرد على الروايات المصرحة: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر العباس- فور إسلام أبى سفيان- أن يوقفه عند العقبة، و يريه عرض القبائل؟! بل الروايات تقول: إن العباس هو الذى اقترح ذلك، فقبله منه النبى «صلى اللّه عليه و آله».

فإن هذا يعنى: أن أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» للعباس بدخول مكة، ثم تراجعه عن قراره- حسبما يزعمون- قد كان بعد العرض الذى رآه أبو سفيان، و هو ينافى قولهم: إنه رأى العرض بعد إرجاع النبى «صلى اللّه عليه و آله» للعباس ..

(۱) الإصابة ج ۲ ص ۴۷۷ عن ابن إسحاق، و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۳ ص ۱۱۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۱۱۷ عن الإكتفاء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۲

۶- لماذا يراد تضخيم دور العباس بتصوير أنه مستهدف من قبل المشركين، حتى كأن سيوفهم و رماحهم مشرعة لتغمد فى صدره و نحره، حتى ليقول عروة: «و كفهم اللّه عز و جل عن العباس». إذ متى استهدف المشركون العباس بسوء؟

۷- إن الروايات تظهر: أن أبا سفيان هو الذى دعا أهل مكة للإسراع بالاستسلام، و هو الذى أخبرهم بالأمان، ثم دخل الجيش مكة.

و لم نجد أية فرصة للعباس ليقول لأهل ذلك البلد شيئا، سوى تلك الكلمة التى يزعمون: أن أبا سفيان أمره بأن يقولها، و هى نفسها التى قالها لهم أبو سفيان أيضا.

۸- إننا لم نعهد النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» يتصرف بهذه اللهفة على العباس، أو على غيره انطلاقا من الداعى النسبى، فضلا عن أن يبرر تصرفه هذا بأمر عادى جدا. حيث يقول: «فإن عم الرجل صنو أبيه»، مع ملاحظة أن أبا لهب كان عم النبى «صلى اللّه عليه و آله» أيضا، فهل هو الآخر صنو أبيه أيضا فى مواقفه، و فى حربه له و لدينه؟!

۹- إنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يرسل العباس لدعوة أهل مكة لدينه.

بل أرسله بالأمان لهم على دمائهم و أموالهم. فهم يرونه محسنا لهم .. حتى لو خطّأوه فى دعوتهم إلى هذا الأمان. مع أنهم سوف يرون موقفه هذا هو عين الصواب.

سهم العباس فى عكاظ .. أكذوبة أخرى:

و مما يدخل فى سياق تعظيم العباس و تفخيمه، ما زعموه من أن النبى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۳

«صلى اللّه عليه و آله» لما فتح مكة أوحى اللّه إليه: إن عمك له عليك يد سابقة، و جميل متقدم، و هو ما أنفق عليك فى وليمة عبد اللّه بن جدعان، مع ما له عليك فى سائر الأزمان. و فى نفسه سهم من سوق عكاظ، فامنحه إياه فى مدة حياته، و ولده بعد وفاته.

ثم قال: ألا لعنة اللّه على من عارض عمى فى سوق عكاظ، و نازعه فيه. و من أخذه فأنا برىء منه، و عليه لعنة اللّه، و الملائكة، و الناس أجمعين.

فلم يكترث عمر بذلك، و حسد العباس على دخول سوق عكاظ، و غصبه منه «۱».

و نقول:

إن لنا على هذا النص العديد من المؤاخذات.

أولا: قال العلامة الشيخ محمد تقى التسترى ما محصله: إن مضمون هذا الحديث يدل على كذبه.

و لو كان صحيحا، فلم لم يذكر مضامينه المفيد، و المرتضى، و لم يرد فى كتاب آخر، أو خبر؟! «۲».

ثانيا: ما معنى: أن ينفق العباس على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى وليمة شخص آخر و هو عبد اللّه بن جدعان؟ فإن المفروض: أن يكون من ينفق فى الوليمة هو صاحبها، و أن لا يرضى بأن يشاركه غيره فى الإنفاق، لأن ذلك يتضمن انتقاصا من مقامه، و تشكيكا فى قيامه بما يتوجب عليه.

---

(۱) قاموس الرجال ج ۵ ص ۲۳۳.

(۲) راجع: قاموس الرجال ج ۵ ص ۲۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۴

ثالثا: ما معنى: أن يحسد عمر العباس على دخول عكاظ؟ فإن المفروض هو: أن يحسده على حصته فى ذلك السوق، لا على مجرد الدخول فيه، علما بأن الناس كلهم يقدرون على دخول سوق عكاظ، و منهم عمر نفسه؟! إلا أن يكون المقصود هو دخوله بعنوان كونه مالكا و شريكا فى جزء منه، لا مطلقا ..

و لكن لماذا لا يفصح هذا القائل عن مراده، و يورد الكلام بصورة مبهمة؟!

رابعا: هل كان ذلك السوق مملوكا لأشخاص، أم كان مجرد مكان عام واسع يجتمع به الناس، و يبيعون و يشترون، و يتناشدون الأشعار و ما إلى ذلك؟!

خامسا: قد دعا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ربه أن لا يجعل لفاسق و لا لفاجر عنده نعمة «۱». فما بالك بالمشرك؟! كما أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان لا يقبل هدية من المشرك «۲».

فذلك الدعاء يدل على أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن لأحد منهم قبل الدعاء و بعده أية يد عنده.

---

(۱) أبو طالب مؤمن قريش للخنيزى.

(۲) راجع: المستدرك للحاكم ج ۳ ص ۴۸۴ و تلخيصه للذهبى (مطبوع بهامشه) و صححاه، و مجمع الزوائد ج ۸ ص ۲۷۸ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۲۵۸ و ۲۵۹ و ۲۶۰ عنه، و عن كنز العمال، و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۸۶ و المعجم الصغير ج ۱ ص ۹ و الوسائل

ج ۱۲ ص ۲۱۶ و كنز العمال (طبعة أولى) ج ۶ ص ۵۷ و ۵۹ عن أحمد، و الطبرانى، و الحاكم، و سعيد بن منصور، و أبى داود، و الترمذى، و الطيالسى، و البيهقى، و ابن عساكر، و المصنف للصنعانى ج ۱۰ ص ۴۴۶ و ۴۴۷ و فى هامشه عن مغازى ابن عقبة، و عن الترمذى ج ۲ ص ۳۸۹ و مجمع البيان المجلد الأول ص ۵۳۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۵

و إذا كان اللّه تعالى قد مدح الأتقى حيث قال: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى «۱»، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هو الأولى بهذا المدح، لأنه المصداق الأتم لما ذكرته الآيات من أوصاف حميدة ..

فما معنى أن يكون للعباس يد عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، مما كان أنفقه عليه فى وليمة ابن جدعان، مع ما له عليه فى سائر الأزمان؟! ألم يكن العباس مشركا آنئذ و بعد ذلك إلى عشرات السنين؟!

و ألا ينافى ذلك نص الآية الكريمة التى نفت- على سبيل المدح- أن يكون لأحد عند ذلك المؤمن نعمة تجزى، فبطريق أولى أن لا يكون لأحد عند النبى «صلى اللّه عليه و آله» أية نعمة تستحق الجزاء و المكافأة؟!

كيف دخل النبى صلّى اللّه عليه و آله مكة؟!:

قالوا: لما ذهب أبو سفيان إلى مكة بعد ما عاين جنود اللّه- تعالى- تمر عليه، و اصل المسلمون سيرهم، حتى انتهوا إلى ذى طوى، فوقفوا ينتظرون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى تلاحق الناس، و أقبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى كتيبته الخضراء، و هو على ناقته القصواء، معتجرا «۲» بشق برد حبرة «۳» حمراء «۴». و قد أردف أسامة بن زيد و قد طأطأ رأسه تواضعا

---

(۱) الآية ۱۹ من سورة الليل.

(۲) اعتجر فلان بالعمامة: لفها على رأسه و ردّ طرفها على وجهه.

(۳) الحبرة: ثوب مخطط من القطن أو الكتان.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن ابن إسحاق و غيره، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۴ و المغازى ج ۲ ص ۸۲۳ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۶

للّه تعالى، و هو يقرأ سورة الفتح «۱».

و عن أنس قال: لما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» استشرفه الناس، فوضع رأسه على رحله متخشعا «۲».

و عن أبى هريرة قال: دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يومئذ و عليه عمامة سوداء، و رايته سوداء، و لواؤه أسود حتى وقف بذى طوى، و توسط الناس، و إن عثنونه «۳» ليمس واسطة رحله، أو يقرب منها تواضعا للّه عز و جل، حين رأى ما رأى من فتح اللّه تعالى، و كثرة المسلمين، ثم قال:

«اللهم إن العيش عيش الآخرة» «۴».

قال: و جعلت الخيل تمعج «۵» بذى طوى فى كل وجه، ثم ثابت و سكنت حين توسطهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۶».

و عن أنس و عمرو بن حريث: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن الحاكم و أبى يعلى، و ابن عدى فى الكامل ۴/ ۵۷۱، و انظر مجمع الزوائد ۶/ ۱۹۶ و

السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۴.

(۳) العثنون: ما نبت على الذقن و تحته.

(۴) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳. و راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۶۷ عن ابن أبى شيبة، و أحمد، و البخارى، و مسلم، و أبى داود، و الترمذى فى الشمائل، و البيهقى فى سننه، و النسائى، و راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(۵) معج الفرس: أسرع، أو سار لشدة عدوه مرة فى الشق الأيمن و مرة فى الشق الأيسر.

(۶) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن ابن سعد ۳/ ۱/ ۱۸۰ و المغازى ج ۲ ص ۸۲۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۷

دخل مكة و عليه عمامة سوداء بغير إحرام «۱».

و عن عمرو بن حريث قال: كأنى أنظر إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم فتح مكة، و عليه عمامة سوداء خرقانية، و قد أرخى طرفها بين كتفيه «۲».

و قد أشرنا أكثر من مرة إلى الإختلاف بين اللواء و الراية، و غير ذلك ..

و بالنسبة لما روى عن أبى هريرة: من أن لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أسود و رايته سوداء، فى فتح مكة .. نقول:

قد رووا عن جابر أيضا، أنه قال: كان لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم دخل مكة أبيض «۳».

و عن عائشة: «كان لواء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الفتح أبيض، و رايته سوداء، تسمى العقاب، و كانت قطعة مرط «۴» مرحل «۵»» «۶».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن أحمد، و مسلم، و الأربعة، و فى هامشه عن:

مسلم ۲/ ۹۹۰ (۴۵۱/ ۱۳۵۸) (۴۵۳/ ۱۳۵۹) و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۶۷ و ابن أبى شيبة ۸/ ۲۳۴ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن مسلم.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن الأربعة و أشار فى هامشه إلى البخارى ۷/ ۶۱۱ (۴۲۹۰) و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۴.

(۴) المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان.

(۵) المرحل: ما ينقش عليه صورة رحل الإبل.

(۶) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن ابن إسحاق، و قال فى هامشه: أخرجه أبو داود فى الجهاد باب (۷۶)، و الحاكم ۲/ ۱۰۴ و ابن أبى شيبة ۱۲/ ۵۱۴، و البيهقى ۶/ ۳۹۲. و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۴ و ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۸

و عنها أيضا قالت: دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الفتح من كداء من أعلى مكة «۱»، و خرج من أسفلها و هو ثنية كدى.

و عند الواقدى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أمر الزبير أن يدخل من كدى، و أمر خالدا أن يدخل من الليط (موضع بأسفل مكة)، و أمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء، و الراية مع ابنه قيس، و مضى «صلى اللّه عليه و آله» فدخل من أذاخر «۲».

و قالوا: دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة، و ضربت له هناك قبة «۳».

و رووا: عن ابن عمر: لما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة عام الفتح، رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فتبسم إلى أبى بكر، فقال: «يا أبا بكر كيف قال حسان»؟!

فأنشده أبو بكر قول حسان:

عدمت بنيتى إن لم تروهاتثير النقع من كتفى كداء

ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمر النساء فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ادخلوها من حيث قال حسان» «۴».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۶ عن البخارى و البيهقى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۵ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن البيهقى فى الدلائل ۵/ ۶۶ و الطحاوى فى المعانى ۴/ ۲۹۶ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۶۹

قال الصالحى الشامى: و فى الصحيح و غيره عن عروة: «أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة، و أن يغرز رايته بالحجون، و لا يبرح حتى يأتيه» «۱».

و قال فى الصحيح أيضا عن العباس: أنه قال للزبير بن العوام: يا أبا عبد اللّه ها هنا أمرك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن تركز الراية؟

قال: نعم «۲».

قال: و أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خالد بن الوليد- و كان على المجنبة اليمنى، و فيها أسلم، و سليم، و غفار، و مزينة، و جهينة، و قبائل من العرب- أن يدخلوا من الليط، و هو أسفل مكة، و أمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت «۳»، و بها بنو بكر، و بنو الحارث بن عبد مناة، و الأحابيش الذين استنفرتهم قريش «۴».

و أمّر أبا عبيدة بن الجراح على الحسّر «۵». و الحاسر فى مقابل الدارع.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و فى هامشه عن البخارى ۷/ ۵۹۸ (۴۲۸۰) و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و ۸۵ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۱ و ۸۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن البخارى ۷/ ۵۹۸.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵.

(۴) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

(۵) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن أحمد و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ و ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۰

و قال الصالحى الشامى: وقع فى الصحيح عن عروة قال: و أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، و دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من أسفل مكة من كدى، أى بالقصر «۱». و هذا مخالف للأحاديث الصحيحة.

ففى الصحيح و غيره: أن خالد بن الوليد دخل من أسفل مكة، و دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من أعلاها، و به جزم ابن عقبة، و ابن إسحاق و غير هما «۲».

و عن عبد اللّه بن رباح: أن أبا عبيدة كان على البياذقة، يعنى الرجالة «۳».

و عند ابن إسحاق و عبد اللّه بن أبى نجيح أن أبا عبيدة بن الجراح أقبل بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول اللّه «صلى

اللّه عليه و آله».

قالوا: و أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمراءه أن يكفوا أيديهم، و لا يقاتلوا إلا من قاتلهم «۴».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ ..

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ عن مسلم فى الجهاد (۸۶) و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ عن المواهب اللدنية، و المنتقى

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۷ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۱

النبى صلّى اللّه عليه و آله يقرأ سورة الفتح:

عن قراءة النبى «صلى اللّه عليه و آله» سورة الفتح حين دخوله مكة نقول:

إن هذه السورة قد نزلت فى شأن الحديبية فى ذى القعدة سنة ست «۱».

و قد قرأها النبى «صلى اللّه عليه و آله» على المسلمين، ليذكرهم برعاية الغيب لهم، و تحقق ما وعدهم به و إذا كان المشركون يتتبعون أخبار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، خصوصا ما له ارتباط بحركة الصراع معه، فلا بد من أن يكون قد تناهى إلى مسامعهم نزول هذه السورة التى تعنيهم بصورة مباشرة، و جديّة و حقيقية، لأنها تتضمن الوعد بالفتح، و بأمور أخرى هامة و حساسة جدا، و فيها ما يمسهم هم كأشخاص فى تعاملهم معه «صلى اللّه عليه و آله».

فإذا قرأ هذه السورة فى حال دخوله مكة، فإن أهل الإيمان سوف يزدادون إيمانا، و أهل الكفر و الشرك سوف يغرقون فى بحر من التأمل الذى قد ينتهى بقناعة تتكون لديهم بعدم جدوى استمرار الجحود، و بأن لا فائدة من تبييت النوايا السيئة، و لن ينتهى كيدهم و مكرهم و تآمرهم إلى أية نتيجة ..

بل إن قراءة هذه السورة فى حال دخول مكة لا بد من أن يسوق المسلمين و المشركين معا إلى ترقب تحقق سائر المضامين التى ذكرت فى آياتها

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۶۷ عن ابن إسحاق، و الحاكم، و البيهقى فى الدلائل، و الكشاف ج ۳ ص ۵۴۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۲

التى نزلت قبل سنوات، و التى حضر وقت تحققها.

و ستكون لحظات ممتعة، و لذيذة لكل أحد، و هو يرى أمرا غيبيا عرفه، و سمعه و وعاه، يتحقق أمام عينيه.

الفتح جائزة المذنب:

و قد جاء فى أول سورة الفتح قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً «۱». فليلاحظ:

أولا: إن اللّه تبارك و تعالى يقول: إن سبب هذا الفتح الذى منحه إياه، هو أنه أراد أن يغفر له ذنبه .. فهل يعقل أن يعطى المذنب

جائزة بهذه العظمة، و الأهمية و الخطورة على جرأته عليه، و على ذنب ارتكبه؟! بحيث يكون مغفرة الذنب سببا لهذه الجائزة!!

ثانيا: كيف نتصور أن يكون اللّه تعالى قد فتح لنبيه «صلى اللّه عليه و آله» ليغفر له ذنبه؟!

ثالثا: لو سلمنا: أن هذا الفتح سبب لمغفرة الذنب الصادر، فكيف يكون سببا لمغفرة الذنب الذى سوف يصدر؟!

إن هذا الأسئلة ستكون محرجة جدا إذا كان المراد بالذنب هو الجرأة على اللّه، و ارتكاب ما نهى عنه، و مخالفة أوامره. و المراد بالمغفرة الستر، و المراد بالذنب ما اعتبره المشركون ذنبا له «صلى اللّه عليه و آله»، و هو دعوته

---

(۱) الآيات ۱- ۳ من سورة الفتح.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۳

إلى الإسلام، و رفضه الشرك، و ما وقع من حروب معهم، و قتل لرجالهم و إسقاط لأطروحتهم ..

فجاء فتح مكة ليكسر شوكتهم، و يخمد نارهم، و ليدخلوا فى دين اللّه، و ليروا أن مصلحتهم تقضى بالتقرب منه «صلى اللّه عليه و آله»، و الاستفادة من الخيرات التى تهيأت لهم فى ظل الإسلام.

و أصبحوا يصرحون: بأنهم هم المخطئون و هو المصيب.

و عوضا عن توصيفه بالغادر و قاطع الرحم، و المذنب فى عيب آلهتهم و الكاذب و .. و .. الخ .. صاروا يصفونه بالوفى، و الحليم، و الكريم، و الوصول و الصادق و .. و .. الخ ..

كما أن ما كانوا يعدونه ذنبا لو فعله فى أيام شركهم، قد غفروه له، بل صاروا يعدونه حسنا و إحسانا و حقا بعد هذا الفتح العتيد.

العيش عيش الآخرة:

و قد ذكرت الروايات: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال حين دخل مكة: «العيش عيش الآخرة».

و نقول:

ربما نستفيد من هذا القول: أنه «صلى اللّه عليه و آله» يريد إفهام أهل مكة، و المسلمين الفاتحين و غيرهم: أن هذا الفتح العظيم يجب أن يقودنا قبل اتخاذ أى موقف منه إلى إجراء دراسة لنتائجه و آثاره الدنيوية و الأخروية، بهدف الموازنة فيما بينها، لكى ينصب الاهتمام على الأهم، فيحافظون عليه، و يعملون على ترشيده، و تنميته، و تقويته، و ليس لأحد أن يتلهى بالتفاهات، و القشور،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۴

و يضيع فيها، و يضيّع هذا الإنجاز العظيم أيضا ..

و قد سارع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لرسم معالم الحق و الحقيقة، و السداد و الرشاد فى هذا الفتح، و حدد المكامن الحقيقية و الراسخة و الخالدة فيه، و بيّن أنها ليست- حتما- فى هذه الحياة الدنيا، و إنما هى فى الدار الآخرة.

فإن الفتح إذا كان يفتح أبوابا لأنواع أفضل من العيش فى الدنيا، فإن الأبواب التى يفتحها للعيش الخالد و الرضى فى الآخرة، فى ظل الرضا الإلهى ستكون هى الأرقى و الأفضل ..

و هو إنما يقدم هذه المعادلة للناس من موقع النبوة المطلعة بعمق على واقع حقيقة الدنيا و الآخرة، من خلال الوحى الإلهى الذى يكشف هذه الحقائق و يبينها للأنبياء «عليهم السلام»، كأفضل ما يكون الكشف و البيان.

و قد كان لا بد من إطلاق هذا البيان لأمة تؤمن بالغيب، و لطوائف من الناس يتحفزون للخروج من أسر الشرك إلى الحرية فى رحاب التوحيد ..

فيربط على قلوب أهل الإيمان، و المعلنين بالإسلام، و يزيد فى وضوح الرؤية لأولئك الخارجين من أحضان الشرك و الجحود إلى

آفاق الإسلام الرحبة ..

تواضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تخشعه لربه:

و قد كانت تلك البيانات بالقول دروسا تحمل فى طياتها الوعى الرسالى للمفاهيم و الحقائق ..، و التربية الروحية، و الرشاد و السداد فى الفكر، و الوعى، و الاعتقاد ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۵

و قد رافقتها حالة سلوكية لا بد من أن تترك أثرها العميق على روح و فكر أهل الإيمان، و أهل الكفر و الشرك و الطغيان على حد سواء ..

إذ ربما لم يكن يخطر على بال أحد: أن تتجلى حالة الخشوع و الخضوع، و التطامن و التواضع للّه سبحانه فى هذه اللحظات بالذات، بل ربما يتوقع الناس: أن يروا هيبة الملك، و عظمة النصر، و الهيمنة و الحزم، و نظرات التصميم و العزم فى كل حركة و لفتة فى خصوص هذا الظرف الحساس، الذى يحتاج إلى إصدار الأوامر، و توزيع المهام، و إظهار القوة و الشوكة لقطع دابر أى تفكير بالتمرد، أو الغدر، أو الكيد و المكر الذكى و الخفى ..

و لكن الجميع رأوا مظهرا آخر من مظاهر العبودية للّه سبحانه، و صورة رائعة من صور الخضوع و الخشوع له، حتى إن هذا الفاتح المنتصر يطأطئ رأسه تخشعا و تواضعا إلى حد أن عثنونه يلامس واسطة رحله، أو يقرب منها، و ذلك لما رآه من الفتح، و كثرة المسلمين.

إن هذا النبى «صلى اللّه عليه و آله» و كل إنسان مؤمن واع لحقيقة إيمانه يدرك: أنه لا يكثر بالناس أمام اللّه، بل يكون أمام اللّه وحيدا فريدا، و إنما يكثر باللّه وحده لا شريك له ..

إنه يريد من اللّه تعالى أن ينصره و ينصر من معه، و لا يريد أن ينتصر بهم.

كما أنه حين دخل حرم اللّه مع هذه العساكر، إنما أراد بذلك حفظ حرمة الحرم و البيت، و منع هتك حرمته من قبل العتاة و القساة بشركهم، و كفرهم، و ظلمهم، و إفسادهم فى الأرض، و محاربتهم لدين اللّه تعالى ..

و يلاحظ هنا: أن النص المتقدم يقول: استشرفه الناس، فوضع رأسه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۶

على رحله متخشعا، أى أنه حين يستشرف الناس أحدا فإنه يشعر بأنه أصبح محط أنظارهم و ملتقى أبصارهم، و أن الخطرات و الصور تتزاحم فى داخل مخيلتهم عن مزاياه، و عن مظهره و خفاياه، و عن حجم قدراته، و سائر صفاته، فيرى لنفسه نوعا من الخصوصية، و درجة من المحورية.

و لكن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يجد نفسه أمام أنظار هؤلاء الناس، بل وجد نفسه أمام اللّه وحده، فهو يرعاه، و يراه، و يراقب حاله و مسراه، فتواضع له و تخشّع، و طأطأ برأسه و لم يكد يرفع.

راية الزبير:

و بالنسبة لبعض التفاصيل نقول:

هناك حديث عن راية كانت مع الزبير، و أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان قد أمره أن يركزها بالحجون، و لا يبرح حتى يأتيه، و نحن لا ننكر أن يكون ذلك قد حصل فعلا .. غير أننا نقول:

أولا- لا شك فى أنها ليست هى راية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» التى هى للجيش كله، فإن تلك كانت مع على أمير المؤمنين «عليه السلام» كما دلت عليه النصوص الكثيرة التى ذكرناها فى أوائل غزوة أحد.

ثانيا: إن ملاحظة النصوص تعطى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان يختار مواقع معينة ليركز فيها إحدى راياته، و لعل ذلك يهدف إلى إظهار الهيمنة على تلك المنطقة، و بسط النفوذ على ذلك المحيط، لكى لا ينتهز الفرصة أوباش الناس، أو طلاب اللبانات للعبث بأمن الناس، أو للتعدى على ممتلكاتهم، و لتكون مثابة لجند الإسلام فى تلك المنطقة، و نقطة تجمع و انطلاق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۷

و هذا يفسر لنا أمره «صلى اللّه عليه و آله» خالد بن الوليد و من معه بان يدخلوا من الليط- و هو أسفل مكة- و أن يغرز رايته عند أدنى البيوت كما ذكرته النصوص المتقدمة أيضا.

ثالثا: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أمر قيس بن سعد أن يغرز رايته فى الحجون أيضا، و أمر خالدا بغرز رايته أسفل مكة، عند أدنى البيوت، فهل ذلك يدل على ان خالدا أو قيسا كانا يحملان راية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

الأمر لسعد، و الراية لقيس:

و ثمة مفارقة أخرى تظهر فى النصوص المتقدمة، و هى: أن أحدها يقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» أمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء و الراية مع ابنه قيس «۱».

فإن الأمر إنما يصدر لصاحب الراية التى يتبعها الناس، و يتحلقون حولها، فإصدار الأمر لسعد مع كون الراية مع قيس يصبح غير ظاهر الوجه ..

و يزيد الأمر إشكالا بملاحظة ما قدمناه من أن الروايات تقول: إن عليا «عليه السلام» هو الذى أخذ الراية من سعد و ادخلها إلى مكة إدخالا رفيقا حتى غرزها عند الركن، إلا أن يكون النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد وزع الناس مرة أخرى فى داخل مكة، و أمرهم أن ينزلوا فى مواقع معينة فى أنحاء

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۸

مختلفة، فأعطى الراية لقيس ليوصلها إلى ذلك المكان، و أبقى القيادة العملية لأبيه سعد.

النساء يلطمن وجوه الخيل:

و حديث لطم النساء وجوه الخيل بخمرهن، و مطابقته لما ورد فى شعر حسان بن ثابت- إن صح- فهو من الدلائل الموجبة لرسوخ يقين أهل الإيمان، و تخفيف حدة أهل الكفر و الشرك، و تضاؤل ميلهم إلى الجحود و التحدى، أو المماطلة فى قبول الإسلام دينا ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۲ ۷۸ النساء يلطمن وجوه الخيل: ..... ص : ۷۸

فإذا أصروا على مواقفهم، و أرادوا المكر بأهل الدين و بالمؤمنين، فذلك يكون من موجبات خزيهم، و بوار حجتهم ..

كيفية الدخول و الخروج من مكة:

قال الحلبى بعد أن ذكر أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دخل مكة يوم الفتح من أعلاها، أى من «كداء»، و خرج من أسفلها: «و بهذا

استدل أئمتنا على أنه يستحب دخول مكة من الأولى، و الخروج من الثانية» «۱».

و نقول:

إن هذا الاستدلال غير مقبول:

أولا: إن هذا الدخول و ذلك الخروج لا يدل بمجرده على الاستحباب، إذ لعله أمر اقتضته أحوال عسكرية، أو طبيعة التركيبة السكانية، أو طرقات ذات خصوصيات تفرض الدخول من هنا، و الخروج من هناك.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۷۹

نعم لو علمنا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يأخذ أى شيء بنظر الاعتبار، سوى مراعاة ما يستحب له فى الأحوال العادية ..

و سلمنا: أن هناك استحبابا فيما يرتبط بكيفية أو بطريق الدخول و الخروج من مكة، كان للحكم بالاستحباب وجه ..

ثانيا: إذا كان الدخول مستحبا من نقطة بعينها، فلما ذا أمر «صلى اللّه عليه و آله» الكتائب الأخرى بالدخول إلى مكة من جهات أخرى لا يستحب الدخول منها؟! و هل يمكن أن يأمرهم بمخالفة المستحب؟! و ما ذا لو كانوا يريدون رعاية الحكم الاستحبابى، ثم جاء أمره لهم بمخالفة المستحب؟!

ثالثا: سيأتى: أن عروة يروى- كما فى صحيح البخارى «۱»-: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دخل من أسفل مكة، فكيف جزم هؤلاء باستحباب دخولها من أعلاها؟!

---

(۱) راجع صحيح البخارى و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۸۱

الفصل الثالث: القتال فى مكة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۸۳

خالد يقاتل فى مكة!!:

و قالوا: إن صفوان بن أمية و عكرمة بن أبى جهل، و سهيل بن عمر، دعوا إلى قتال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و جمعوا أناسا بالخندمة (و هو جبل بمكة)، و ضوى إليهم ناس من قريش، و ناس من بنى بكر، و هذيل، و لبسوا السلاح، يقسمون باللّه لا يدخلها محمد عنوة أبدا.

و كان رجل من بنى الديل، يقال له: جماش بن قيس بن خالد، لما سمع بدخول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» جعل يصلح سلاحه.

فقالت له امرأته (و كانت قد أسلمت سرا): لمن تعدّ هذا؟

قال: لمحمد و أصحابه.

قالت: و اللّه، ما أرى يقوم لمحمد و أصحابه شيء.

قال: و اللّه إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم، فإنك محتاجة إليه.

قالت: ویلک، لا تفعل، و لا تقاتل محمدا. و اللّه لیضلن عنک رأیک لو قد رأیت محمدا، و أصحابه.

قال: سترین. ثم قال:

إن یقبلوا الیوم فما لی علهذا سلاح کامل و ألّه

و ذو غرارین سریع السله الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲۲،ص:۸۴

ثم شهد الخندمة مع صفوان، و سهیل بن عمرو، و عکرمة، فلما دخل خالد بن الولید من حیث أمره رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» وجد الجمع المذکور، فمنعوه الدخول، و شهروا له السلاح، و رموه بالنبل، و قالوا: لا تدخلها عنوة.

فصاح فی أصحابه، فقاتلهم، و قتل منهم أربعة و عشرون رجلا من قریش، و أربعة من هذیل «۱».

و قالوا: أصیب من المشرکین قریب من اثنی عشر أو ثلاثة عشر، و انهزموا أقبح الانهزام، حتی قتلوا بالحزوّرة، و هم مولون فی کل وجه.

و انطلقت طائفة منهم فوق رؤوس الجبال، و أتبعهم المسلمون «۲».

و جعل خالد یتمثل بهذه الأبیات، و هو یقاتل خارجة بن خویلد الکلبی:

إذا ما رسول اللّه فینا رأیته کلجة بحر نال فیها سریرها

إذا ما ارتدینا الفارسیة فوقهاردینیة یهدی الاصم خریرها

رأینا رسول اللّه فینا محمدالها ناصرا عزت و عز نصیرها «۳»

---

(۱) سبل الهدی و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ عن ابن إسحاق، و الواقدی، و السیرة الحلبیة ج ۳ ص ۸۳، و راجع: المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۵ و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۸۳.

(۲) سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۸ عن ابن إسحاق، و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۶.

(۳) سبل الهدی و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ و المغازی للواقدی ج ۲ ص ۸۲۶.

الصحیح من السیرة النبی الأعظم، مرتضی العاملی ،ج۲۲،ص:۸۵

و کان شعار المهاجرین من أصحاب رسول اللّه «صلی اللّه علیه و آله» یوم فتح مکة، و حنین، و الطائف: یا بنی عبد الرحمن. و شعار الخزرج: یا بنی عبد اللّه.، و شعار الأوس: یا بنی عبید اللّه «۱».

و جعل أبو سفیان بن حرب و حکیم بن حزام یصیحان: یا معشر قریش، علام تقتلون أنفسکم؟! من دخل داره فهو آمن، و من وضع السلاح فهو آمن، فجعل الناس یقتحمون الدور، و یغلقون علیهم، و یطرحون السلاح فی الطرق، حتی یأخذه المسلمون «۲».

و رجع جماش منهزما حتی انتهی إلی بیته، فدقه، ففتحت له امرأته، فدخل و قد ذهبت روحه، فقالت له: أین الخادم الذی وعدتنی؟ ما زلت منتظرة لک منذ الیوم- تسخر منه.

فقال: دعی هذا عنک، و اغلقی علیّ بابی، ثم قال:

إنک لو شهدت یوم الخندمةإذ فر صفوان و فر عکرمة

و أبو یزید کالعجوز المؤتمةو استقبلتهم بالسیوف المسلمة

یقطعن کل ساعد و جمجمهضربا فلا تسمع إلا الغمغمة

لهم نهیت خلفنا و همهمهلم تنطقی فی اللوم أدنی کلمة «۳» و أقبل الزبیر بمن معه من المسلمین حتی انتهی إلی الحجون، فغرز

---

(۱) سبل الهدی و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۸ عن ابن هشام و السیرة الحلبیة ج ۳ ص ۸۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۶.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۷ و ۸۲۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۸۶

الراية عند منزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و لم يقتل من المسلمين إلا رجلان من أصحاب الزبير، أخطآ الطريق، فسلكا غيره فقتلا. و هما كرز بن جابر الفهرى، و حبيش الكعبى «۱».

و زعم بعضهم: أنهما كانا مع خالد بن الوليد فشذّا عنه فقتلا «۲».

و مضى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فدخل مكة من أذاخر، فلما ظهر على أذاخر، نظر إلى البارقة «۳» مع فضض «۴» المشركين، فقال: «ما هذه البارقة؟! ألم أنه عن القتال»؟

قالوا: يا رسول اللّه، خالد بن الوليد قوتل و لو لم يقاتل ما قاتل، و ما كان يا رسول اللّه ليعصيك، و لا يخالف أمرك.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «قضاء اللّه خير» «۵».

و صرح الديار بكرى: بأن المهاجرين هم الذين قالوا له «صلى اللّه عليه و آله»: نظن أن خالدا قوتل، و بدئ بالقتال، فلم يكن بد أن يقاتل من قاتله «۶».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۳ ص ۲۲۹.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳ عن الإكتفاء.

(۳) البارقة: السلاح.

(۴) الفضض من الشيء: ما تفرق منه.

(۵) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۸ و ۲۲۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۶ و ۸۲۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

(۶) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۸۷

و فى المنتقى: و كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد «۱».

و عن أبى هريرة قال: لما كان يوم فتح مكة، و بشت «۲» قريش أوباشا لها و أتباعا، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، و إن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا. فرآنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: «يا أبا هريرة».

قلت: لبيك.

قال: «اهتف بالأنصار، و لا يأتينى إلا أنصارى».

قال: ففعلت ما أمرنى به، فأتوه، فقال: «انظروا قريشا و أوباشهم فاحصدوهم حصدا» (حتى توافونى بالصفا. أى دخلوا من أعلى مكة) «۳» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى.

فانطلقنا فما أحد يوجه إلينا شيئا، و ما منا أحد يريد أحدا منهم إلا أخذه. (أو قال: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه) «۴».

فجاء أبو سفيان بن حرب، فقال: يا رسول اللّه، أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «من دخل دار أبى سفيان فهو

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

(۲) بشّت: جمعت جموعا من قبائل شتى.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنية، و المنتقى عن أحمد و مسلم و النسائى عن أبى هريرة.

(۴) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۴ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنية و المنتقى عن أحمد، و مسلم، و النسائى عن أبى هريرة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۸۸

آمن، و من ألقى السلاح فهو آمن».

فألقى الناس سلاحهم «۱».

و قالوا: و وجه «صلى اللّه عليه و آله» اللوم على خالد، و قال له: قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟!

قال: هم يا رسول اللّه بدأونا بالقتال، و رمونا بالنبل، و وضعوا فينا السلاح، و قد كففت ما استطعت، و دعوتهم إلى الإسلام و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فأبوا، حتى إذا لم أجد بدا من أن أقاتلهم قاتلتهم، فظفرنا اللّه بهم، فهربوا فى كل وجه.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: كف عن الطلب.

قال: قد فعلت.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: قضاء اللّه خير.

و قال «صلى اللّه عليه و آله»: كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر إلى صلاة العصر، فحبطوهم ساعة، و هى الساعة التى أحلت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۹ و ۲۳۰ عن أحمد، و مسلم، و البيهقى، و غيرهم، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و ۸۴ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنية، و المنتقى عن أحمد، و مسلم، و النسائى عن أبى هريرة.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۴ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۹ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳. و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و ۲۳۴ و عن موارد الظمآن للهيثمى (۱۶۹۹) و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۷ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۴ ص ۴۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۸۹

و كان «صلى اللّه عليه و آله» نهى أن يقتل من خزاعة أحد «۱».

قال الديار بكرى: «أما خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة، فلقيه قريش و بنو بكر و الأحابيش، فقاتلوه، فقتل منهم قريبا من عشرين رجلا، و من هذيل ثلاثة أو أربعة، و انهزموا، و قتلوا بالحزوّرة، حتى بلغ قتلهم باب المسجد، و هرب فضيضهم حتى دخلوا الدور، و ارتفعت طائفة منهم على الجبال، و اتبعهم المسلمون بالسيوف، و هربت طائفة منهم إلى البحر، و إلى صوب اليمن» «۲».

و روى الطبرانى عن ابن عباس: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خطب فقال: إن اللّه عز و جل حرم هذا البلد «۳». فبينما هو كذلك قيل: هذا خالد يقتل.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: قم يا فلان .. الى آخر الحديث التالى ..

و قال الديار بكرى: دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قدم خالد بن الوليد، فأنا لهم شيئا من قتل، فجاء رجل من قريش، فقال: يا رسول اللّه، هذا خالد بن الوليد قد أسرع فى القتل.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله» لرجل من الأنصار عنده: يا فلان.

قال: لبيك يا رسول اللّه.

قال: ائت خالد بن الوليد، قل له: إن رسول اللّه يامرك أن لا تقتل

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۹.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ و ۸۳.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۹ و المعجم الكبير ج ۱۱ ص ۴۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۰

بمكة أحدا.

فجاء الأنصارى، فقال: يا خالد إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يأمرك أن تقتل من لقيت.

فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا من مكة.

فجاء إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» رجل من قريش، فقال: يا رسول اللّه، هلكت قريش، لا قريش بعد اليوم.

قال: و لم؟!

قال: هذا خالد لا يلقى أحدا من الناس إلا قتله.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: ادع لى خالدا.

فلما أتى إليه خالد، قال: يا خالد، ألم أرسل إليك أن لا تقتل أحدا؟!

قال: بل أرسلت إلى أن أقتل من قدرت عليه.

قال: ادع لى الأنصارى.

فدعاه له، فقال: ألم آمرك أن تأمر خالدا أن لا يقتل أحدا؟!

قال: بلى. و لكنك أردت أمرا و أراد اللّه غيره، فكان ما أراد اللّه ..

فسكت «صلى اللّه عليه و آله»، و لم يقل للأنصارى شيئا، و قال: يا خالد!

قال: لبيك، يا رسول اللّه!

قال: لا تقتل أحدا.

قال: لا «۱».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ عن شفاء الغرام، و المعجم الكبير ج ۱۱ ص ۴۸ و مجمع الزوائد ج ۳ ص ۲۸۴ و ج ۷ ص ۳۴ و عن الأوسط للطبرانى ص ۱۵۴-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۱

و نقول أخيرا:

روى الكلينى، عن على بن إبراهيم، عن أبيه، و القاسانى جميعا عن الأصفهانى، عن المنقرى، عن فضيل بن عياض، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم فتح مكة لم يسب لهم ذرية، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن «۱».

و لنا مع ما ذكر العديد من الوقفات، و إليك بعضها:

من الخندمة إلى البحر:

الخندمة: جبل معروف بمكة، يقع خلف جبل أبى قبيس، و يمتد منه إلى المعلّاة على طول شعب على، و شعب عامر.

فلو صح ما زعموه: من أن جماعة من أهل مكة قد تصدوا لخالد، فنقول:

۱- المفروض هو: أن يواجههم خالد بما يردعهم، و يبطل حركتهم، و مقاومتهم. و أما أن يلاحقهم بعد هزيمتهم إلى الحزوّرة، ثم يمتد قتلهم حتى باب المسجد، و إلى الجبال، حتى يضطر بعضهم إلى الهرب إلى البحر، و إلى صوب اليمن .. فهذا لا مبرر له على الإطلاق ..

۲- إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كان قد نهى خالدا عن القتال.

و لامه على فعله هذا، و قال له: لم قاتلت، و قد نهيت عن القتال؟!

و عن الدر المنثور للسيوطى ج ۳ ص ۲۷۱ و ۲۷۲ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۳ و ۸۴.

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۶ و فى هامشه عن الكافى ج ۳ ص ۳۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۲

فاعتذر له: بأنهم هم بدأوا بالقتال ..

و لكنه عذر غير مقبول، إذ إن بدأهم له بالقتال لا يمنعه من أن يراجع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى أمرهم ..

۳- إن ظاهر الكلام الذى جرى بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و بين خالد يدل على أن خالدا كان لا يزال يلاحقهم و يطلبهم ليقتلهم حتى تلك اللحظة، و لذلك قال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: كف عن الطلب.

و احتمال بعض الإخوة أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد قال له ذلك، لاعتقاده- و لو على ظاهر الأمر- باستمراره فى طلب أهل مكة ليقتلهم إلى تلك اللحظة لا مجال لقبوله. فإن الأمر بالكف عن الشىء ظاهر بأنه مستمر فى فعله، و يطلب منه الكف عنه، كما أنه لا مجال للقول بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد اعتقد بذلك- بأنه لا يزال يطلبهم- فنهى خالدا عن ذلك، مع كون اعتقاده «صلى اللّه عليه و آله» مخالفا للواقع .. فإن ما يعتقده النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو عين ما يحصل و يجرى.

و لا يمكن أن يعتقد بما هو خطأ. كما أن احتمال أن يكون «صلى اللّه عليه و آله» قد علم بأن خالدا قد كف عن طلبهم، لكنه أمره بالكف كى لا يكون ترك الأمر به ذريعة لخالد فى استئناف الطلب .. مرفوض أيضا، إذ كان ينبغى أن يقول له: لا تطلبهم بعد الآن، لا أن يقول له: كف عن الطلب الذى قلنا: إن ظاهره هو أنه كان لا يزال يطلبهم فعلا كما أوضحنا ..

۴- ما معنى قول خالد: إنه دعاهم إلى الإسلام، و أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس؟! هل كان هذا من المهمات التى أوكلت إليه أيضا؟!.

۵- إذا كان أبو سفيان زعيم مكة يأمر الناس بالإستسلام، فما معنى أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۳

يبادر أوباش من الناس لقتال هذه الألوف التى جاءتهم على حين غفلة منهم؟!

و هل يمكن أن يفكر أوباش من الناس بإحراز أى نصر على عشرة آلاف مقاتل؟! و هم على غير استعداد، و لا سيما مع ذلك النداء الذى صدر لهم من أهم زعيم فى مكة، و معه بديل بن ورقاء الزعيم الخزاعى، و حكيم بن حزام، و هو زعيم أيضا فى قريش، فضلا عن العباس؟!

أوقف الطلب:

و الأعجب من ذلك: أن بعض النصوص المتقدمة تعطى: أن خالدا كان لا يزال يلاحق الفارين فى الجبال، و الشعاب، حتى حين طلبه النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و طالبه بما فعل؛ فقد قال له «صلى اللّه عليه و آله»:

أوقف الطلب.

و نعتقد: أن هذا التصرف من خالد يتضمن جرأة غير عادية .. فإنه بالرغم من إقدامه على مخالفة نهى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن القتال، و رغم إحساسه بتغيظ النبى «صلى اللّه عليه و آله» مما يجرى، و إحضاره للمساءلة، يتابع نشاطه العسكرى المخالف لإرادة و توجيهات رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ليحقق أكبر قدر ممكن من أهدافه التى توخاها من مباشرة ذلك القتال .. و كأنه يرى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يعلم بحقيقة ما يجرى من خلال إعلام اللّه تعالى له!!

كفوا السلاح إلا خزاعة:

ثم إننا لا نكاد نحتمل صحة ما زعموه من أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۴

طلب من جيشه أن يكفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر، و ذلك لما يلى:

۱- لقد كانت سياسة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى دخول مكة هى أن يدخلها بعنفوان يضع حدا لاستكبار المستكبرين فيها و يمنعهم من التفكير بالمقاومة، مع حرص شديد و تصميم أكيد على عدم إراقة أى نقطة دم فيها، و ذلك حفاظا منه على حرمة بيت اللّه و حرمه .. فكيف يمكن أن نتصوره يسمح لخزاعة بأن تنفذ مذبحة فى بنى بكر فى نفس حرم اللّه و فى جوار بيته؟!

۲- إن السماح لخزاعة بالفتك ببنى بكر ينافى الأمان الذى أعطاه النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مكة، حيث لم يستثن منه بنى بكر ..

۳- من هم الخزاعيون الذين سمح لهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بقتل بنى بكر؟ هل هم خزاعيو مكة، أم خزاعيون جاؤوا معه؟

۴- لماذا سمح لخزاعة بقتل بنى بكر، و لم يسمح لها بقتل قريش، التى شاركت بنى بكر فى المجزرة التى ارتكبت فى حق الخزاعيين .. و قريش هى التى أرسلت زعيمها أبا سفيان إلى المدينة ليدلس الأمر على المسلمين، و يضيع دماء المظلومين!!

۵- لقد أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأن ينادى فى الناس: من ألقى سلاحه فهو آمن، أو دخل بيته، أو كان تحت راية أبى رويحة الخ .. فهل سمع هؤلاء الناس هذا النداء، و أصروا على القتال و حمل السلاح؟!

و إذا كانوا أصروا على ذلك، فلما ذا يهربون إلى البحر و إلى اليمن؟!

و إذا كانوا قد ألقوا سلاحهم، فلما ذا يلاحقونهم بالقتل إلى الحزوّرة، و المسجد، و إلى البحر، أو إلى اليمن؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۵

احصدوهم حصدا:

و أغرب من ذلك كله، ما زعمه أبو هريرة: من أنه «صلى اللّه عليه و آله» طلب منه أن يهتف بالأنصار، و لا يأتيه إلا أنصارى، فجاؤوه، فأمرهم أن يحصدوا قريشا و أوباشهم حصدا، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى.

قال أبو هريرة: فما نشاء نقتل أحدا منهم إلا قتلناه.

و نحن لا نشك فى أن هذا من المكذوبات المتناهية فى الجرأة و الوقاحة.

فأولا: إن هذا لا يتلاءم مع إعلانه «صلى اللّه عليه و آله» بالأمان لكل من دخل داره و أغلق بابه، و دخل المسجد، و دار أبى سفيان، و ابن حزام، و من يلتجى إلى راية أبى رويحة، و من ألقى سلاحه، فهل يريد منهم أن يلقوا سلاحهم ليحصدهم الأنصار حصدا؟!

أو هل كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» غادرا؟! و العياذ باللّه. أو هل كان قاسيا إلى هذا الحد؟!

ثانيا: لم نسمع أن الأنصار فتكوا بقريش، أو قتلوا منهم، بل سمعنا أن خالدا فعل ذلك، و خالد من المهاجرين، و لم يكن الأنصار معه، بل كان معه بنو سليم.

ثالثا: هل صحيح أن النبى الكريم، و الوصول، و الرحيم و الحليم كان يتعامل وفق المنطق القبائلى و العشائرى و العنصرى، فيحرض الأنصار على قريش، و أوباشها، حيث يطلب أن لا يأتيه إلا أنصارىّ؟!

و ما معنى: أن يأمرهم بالإطباق على قريش كما تطبق إحدى اليدين على الأخرى؟!

رابعا: إذا كان الأمر كذلك، فلما ذا لم يقتل أحد من الذين حرضوا على

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۶

قتل خزاعة، مثل صفوان، و عكرمة، و سهيل بن عمرو؟! و كيف أفلتوا من يد الأنصار؟ و كيف يلوم «صلى اللّه عليه و آله» خالدا على ما فعل؟! و لماذا يسأله عن ذلك؟! أو لماذا يسأل عن شأن تلك البارقة التى رآها؟! ألم يكن هو الذى أمر بها و أثارها؟! كما يزعمون!!

المهاجرون يظنون أن خالدا قوتل:

لقد صرحت بعض النصوص: بأن المهاجرين أجابوا النبى «صلى اللّه عليه و آله» بأنهم يظنون أن خالدا قوتل.

و هذا معناه: أنهم لم يحضروا ما جرى، و لا تحققوا منه بأى من وسائل التحقق، بل أطلقوا كلامهم على سبيل التخمين و الحدس.

و السؤال هو: إذا كان المهاجرون لا يعرفون أزيد مما يعرفه أى إنسان آخر لم يحضر الواقعة، فلما ذا يتصدون للدفاع عن خالد؟! و لماذا لم يجب النبى «صلى اللّه عليه و آله» أحد من غير المهاجرين؟!

بل إن قوله «صلى اللّه عليه و آله»: ألم أنه عن القتال؟ يعطى: أنه كان قد رتب الأمور بنحو ينمع أهل مكة من أن يفكروا فى أى حركة قتالية، فإن كان ثمة من قتال، فهو يتوقع أن يكون مصدره أولئك الذين نهاهم عنه.

و معنى ذلك: أنه سيكون قتالا عدوانيا، قد عصى فيه أمر رسول اللّه، و خولفت به تعليماته ..

خالد لا يعصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و أما قولهم عن خالد: و ما كان ليعصيك، و لا يخالف أمرك، فهو غير ظاهر الوجه، فإن خالدا كان حديث عهد بالإسلام، و لم يتعمق الإيمان بعد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۷

فى داخل نفسه، و لا ظهرت دلائل انقياده التام لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و قد أظهرت الوقائع اللاحقة: أنه كان من أعظم الناس جرأة على مخالفة أوامر اللّه و رسوله، فراجع ما صنع ببنى جذيمة فى عهد النبى «صلى اللّه عليه و آله»، ثم ما صنعه بعد ذلك بمالك بن نويرة، حيث قتله، و زنى بزوجته فى نفس ليلة قتله، كما ألمحنا إليه أكثر من مرة.

كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد:

و يبقى السؤال يراود ذهن كل عاقل عن السر فى أن جميع تلك الحشود التى دخلت مكـة، و هى أكثر من عشـرة أضـعاف التسع مائة الـذين كانوا بقيادة خالد، لم تواجه أية مشـكلة، و لم يلقوا أى مسـلح. ألا يضع ذلك علامة اسـتفهام على زعمهم القائل: إن هذه الثلة اليسيرة وقفت لتتحدى الذى يرفده عشرة أضعافه من المقاتلين الذين يتدفقون على مكة من كل جهة؟!

قضاء اللّه خير:

و لاـ يمكننا أن نقتنع بأن النبى الكريم «صـلى اللّه عليه و آله» قـد أنحى باللائمـة على قضاء اللّه تعالى، و اعتبره هو المسؤول عما جرى فى أمر عصى اللّه فيه بمخالفة أمر رسوله «صلى اللّه عليه و آله» ..

و قد تضمنت هذه المعصية: هتك حرمة الحرم، و قتل أناس كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أعطاهم الأمان ..

و هل يصـح وصف ذلك كله: بأنه خير، و بأنه قضاء من اللّه، الذى يريد أن يوحى بأنه تعالى هو الذى فعله، أو أنه هو الذى قضاه على الأقل؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۸

و لم يقتصـر الأـمر على مجرد مهاجمـة أولئـك النـاس، بـل تجـاوز ذلك إلى ملاحقتهم حتى قتلوا على باب المسـجد، و اتبعوهم إلى الجبال، بل لقد اضطروا الى الهرب إلى البحر، و إلى التفكير بالهرب إلى اليمن ..

و قد كان من الوضوح بمكان: أن المقاومة لهجوم خالد و صـحبه كانت فى غاية الضـعف، كما تشـير إليه رواية أبى هريرة، التى يقول فيها: «فما نشاء أن نقتل أحدا منهم إلا قتلناه ..».

بل ذكر أبو هريرة فى روايته المتقدمـة ما يـدل على أن الذين قصدوهم بالقتل لم يقاوموا أصـلا، فقد قال: «فانطلقنا فما أحد يوجه إلينا شيئا، و ما منا أحد يريد أحدا منهم إلا أخذه ..».

فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إن المشركين كانوا هم البادئين بالقتال؟!

بل إن الروايـة التى ذكرت: أن ذلك الأنصارى قـد أبلغ خالدا بعكس ما أمره رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» لهى خير دليل على أن المبادرة لقتل الناس فى مكة كانت من خالد نفسه ..

و لكنهم عوضا من تقبيـح فعل خالد، برؤوه من جرمه و ألقوا المسؤولية على رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»، و اتهموه بذلك الفعل القبيح، الذى ظهر قبحه من نفس نهى النبى «صلى اللّه عليه و آله» للمسلمين عن فعله ..

لم يسب صلّى اللّه عليه و آله لقريش ذرية:

و حين نقرأ فى تلك الرواية المتقدمة عن أبى عبد اللّه الصادق «عليه السلام» حول ما يرتبط بسيرة على «عليه السلام» فى أهل الجمل:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۹۹

«كانت السـيرة فيهم من أمير المؤمنين على «عليه السـلام» ما كان من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى أهل مكة يوم فتح مكة، فإنه لم يسب لهم ذرية، و قال: من أغلق بابه فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، الخ ..» «۱».

فقد دلت هذه الرواية: على أن سياسته «صلى اللّه عليه و آله» فى أهل مكة يوم الفتح هى الكف عنهم، و هذا لا يتلاءم أبدا مع دعواهم أنه قال للأنصار: «احصدوهم حصدا» كما أن ذلك يدل على أن مكة قد فتحت عنوة، لا صلحا.

الأنصارى الخائن:

و عن قصة ذلك الأنصارى الذى زعمت الرواية: أنه لم يكن أمينا فى إبلاغ أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى خالد .. نقول:

إن لنا على تلك الرواية ملاحظات عديدة هى:

۱- لماذا لم يعاقب النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذلك الأنصارى على فعله الذى أدى إلى إزهاق أرواح كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» الذى لا ينطق عن الهوى يريد حفظها؟!

كما أنه قد كان سببا فى سل السيوف، و إراقة الدماء فى حرم اللّه تعالى، و فى جوار بيته، و إنما اكتفى «صلى اللّه عليه و آله» بالسكوت، فلم يوجه لذلك الكاذب على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لو كلمة تأنيب أو تخطئة على أقل تقدير، و قد كان من المناسب جدا أن يذكّره بقوله «صلى اللّه

---

(۱) الكافى ج ۵ ص ۱۲ و راجع البحار ج ۲۱ ص ۱۳۶ عنه.

عليه و آله»: فمن كذب علىّ عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار «۱».

---

(۱) راجع المصادر التالية: الكافى ج ۱ ص ۶۲ الإعتقادات فى دين الإمامية للصدوق ص ۱۱۸ و الخصال ص ۲۵۵ و تحف العقول ص ۱۹۳ و شرح أصول الكافى ج ۲ ص ۳۰۵ و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۲۷ ص ۲۰۷ و (ط دار الإسلامية) ج ۱۸ ص ۱۵۳ و مستدرك الوسائل ج ۹ ص ۹۱ و ۹۲ و ۹۳ و ج ۱۷ ص ۲۸۸ و ۳۴۰ و كتاب سليم بن قيس ص ۱۸۱ و شرح الأخبار ج ۱ ص ۲۲۸ و ج ۲ ص ۲۷۷ و كتاب الغيبة للنعمانى ص ۸۱ و المسترشد ص ۲۳۲ و الإستنصار للكراجكى ص ۱۱ و الإحتجاج للطبرسى ج ۱ ص ۳۹۳ و ج ۲ ص ۲۴۶ و العمدة لابن البطريق ص ۲۲۴ و الطرائف لابن طاووس ص ۴۵۴ و الصراط المستقيم ج ۳ ص ۱۵۶ و ۲۵۸ و عوالى اللآلى ج ۱ ص ۱۸۶ و وصول الأخيار إلى أصول الأخبار للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملى ص ۱۶۷ و كتاب الأربعين للشيرازى ص ۳۰۹ و البحار ج ۲ ص ۱۶۱ و ۲۲۵ و ۲۲۹ و ج ۳۴ ص ۱۶۹ و ج ۳۶ ص ۲۷۳ و ج ۳۷ ص ۲۲۳ و ج ۵۰ ص ۸۰ و كتاب الأربعين للماحوزى ص ۲۴۱ و النص و الإجتهاد ص ۵۲۱ و جامع أحاديث الشيعة ج ۱ ص ۱۵ و ۱۴۲ و ج ۱۳ ص ۵۷۹ و مستدرك سفينة البحار ج ۹ ص ۸۰ و مكاتيب الرسول ج ۲ ص ۷۶ و مسند أحمد ج ۴ ص ۲۵۲ و ج ۵ ص ۴۱۲ و صحيح مسلم ج ۱ ص ۸ و سنن الترمذى ج ۴ ص ۲۶۸ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۴ ص ۷۲ و شرح مسلم للنووى ج ۱ ص ۶۵ و مجمع الزوائد ج ۱ ص ۱۴۸ و المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۱۰۹ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۶ ص ۲۰۴ و ۲۰۵ و الآحاد و المثانى للضحاك ج ۵ ص ۳۴۴ و ۳۵۲ و السنن الكبرى للنسائى ج ۲ ص ۴۴۴ و المعجم الكبير للطبرانى ج ۳ ص ۱۸ و الجامع الصغير ج ۱ ص ۲۶ و ۳۵۷ و كنز العمال ج ۳ ص ۶۲۵ و ج ۵ ص ۱۲۶ و ج ۱۰ ص ۲۲۲ و ۲۳۱ و تذكرة الموضوعات للفتنى ص ۶ و فيض القدير ج ۱ ص ۱۷۱ و ج ۲ ص ۶۰۴ و تفسير القرطبى ج ۱-

۲- إن ما فعله ذلك الأنصارى، من شأنه أن يجرّئ الناس على مخالفة أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و تبديل أوامره و نواهيه بأضدادها .. و ذلك يفتح الباب أمام مفاسد كبيرة و خطيرة.

۳- قد رأينا: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد تبرأ مما صنعه خالد ببنى جذيمة، فلما ذا لم يتبرأ من الكاذب، و من الكذب الذى نسبه ذلك الأنصارى إليه؟! و الذى أدى إلى سفك الدماء فى حرم اللّه تعالى، و كان «صلى اللّه عليه و آله» يريد حفظها.

۴- و اللافت هنا: أن هذا الأنصارى الذى تسبب بإزهاق أرواح العشرات من الناس فى حرم اللّه تعالى، لم يستطع التاريخ أن يفصح لنا عن اسمه، أو عن اسم قبيلته على الأقل، بل اكتفى بوصفه بأنه «أنصارى».

۵- و يزيد الأمر إبهاما، و إثارة للشبهة: أن هذه الرواية قد ذكرت رقما يزيد على ضعف العدد الذى ذكرته سائر الروايات .. لأنها تقول: إن الذين قتلوا بسبب كذبة هذا الأنصارى هم سبعون رجلا.

۶- هل نستطيع أن نفهم ما جرى على أن هذا النوع من الروايات يقصد به الطعن فى الأنصار، و إظهار أنهم قد ظلموا قريشا و أهل مكة، و تعاملوا معهم من منطلق الحقد و الضغينة؟!

- ص ۳۲ و تفسير الثعالبى ج ۱ ص ۱۳۹ و الأحكام لابن حزم ج ۲ ص ۱۹۷ و طبقات المحدثين بأصبهان ج ۳ ص ۲۳۴ و تاريخ مدينة دمشق ج ۴۲ ص ۲۲۲ و ج ۶۴ ص ۳۷ و الموضوعات لابن الجوزى ج ۱ ص ۸۱ و ۸۷ و ۸۸ ذكر أخبار إصبهان ج ۲ ص ۶ و أعيان الشيعة ج ۱ ص ۱۱۴ و ج ۸ ص ۱۲۸ و كشف الغمة ج ۱ ص ۳۴۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۲

فكل ما يجرى على الأنصار بعد ذلك- كما حصل فى وقعة الحرة، و سواها- يصبح مبررا، و تقل بشاعته، و لا يعود مستهجنا.

أردت أمرا، و أراد اللّه غيره:

و الغريب فى الأمر: أن يستدل ذلك الأنصارى على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بقوله: أردت أمرا، و أراد اللّه غيره، و ذلك:

۱- لأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يمكن أن يريد أمرا يخالف ما يريده اللّه تبارك و تعالى، فهو لا يريد إلا ما يرضى ربه، و لا يفعل و لا يقول إلا ما أذن اللّه تعالى له بفعله و قوله، على قاعدة: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۱».

و هو «صلى اللّه عليه و آله» مسدد من اللّه، و مؤيد بتأييداته.

۲- ثم إن قتل الناس فى حرم اللّه لم يرده اللّه تعالى بلا ريب، فلا يصح نسبته إليه، بل أراده أولئك العصاة لأوامر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و الكاذبون عليه، الذين توعدهم اللّه بالعذاب الأليم فى نار جهنم.

۳- و لو فرضنا: أن ذلك الأنصارى أصاب فى استدلاله هذا، لكان ينبغى أن يلتفت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى هذا الدليل قبل كل أحد، و لكان ذلك يمنع النبى «صلى اللّه عليه و آله» من توجيه الأسئلة لخالد حول ما اقترف، و من مطالبة الأنصارى بمبرراته التى استند إليها فيما فعل ..

---

(۱) الآيتان ۳ و ۴ من سور النجم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۳

۴- هل سكت النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين قال له الأنصارى ذلك عن قناعة بما قاله هذا الكاذب على الرسول «صلى اللّه عليه و آله»، أم أن سكوته كان لأجل عجزه عن مواجهة الحجة بالحجة، و الدليل بالدليل؟! أم أن ذلك السكوت كان احتجاجيا، يريد به الإعراض عن ذلك الكاذب، و الدلالة على عدم جدوى النقاش معه فى هذا الأمر؟! بل قد تكون مواصلة النقاش معه فيه مضرة، و لها آثار سلبية على المسلمين، و ربما على غيرهم أيضا ..

قد يقال: إن الإحتمال الأول هو الأوفر حظا من بين سائر الإحتمالات.

و لكننا نقول:

إن هذا الإحتمال هو الأسوأ و الأكثر ضررا من حيث إنه يشير إلى غفلة النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن أمر يعرفه سائر الناس العاديين .. كما إنه يشير إلى جهل النبى «صلى اللّه عليه و آله» حتى بمثل هذا الأمر البديهى.

و إذا كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يصدر و لا يورد، و لا يأمر و لا ينهى إلا وفق ما يريده اللّه تعالى، فإن الأمر يصبح أكثر

إشكالا، لأنه يؤدى إلى نسبة هذه العظائم إليه سبحانه، تعالى اللّه عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا.

نهى أن يقتل من خزاعة أحد:

و قد صرحت النصوص التى ذكرناها: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» نهى أن يقتل من خزاعة أحد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۴

و نقول:

قد يقال: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» نهى عن القتال و القتل مطلقا، سواء لخزاعة أو لغيرها .. و أعطى الأمان لجميع أهل مكة باستثناء أشخاص بأعيانهم، سيأتى الحديث عنهم؛ لأنهم قد ارتكبوا جرائم لا مجال للعفو عنها .. فلا خصوصية لخزاعة هنا، و لا معنى لحصر الكلام فيها.

و يمكن أن يجاب: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد عمم الأمان ليشمل خزاعة و جميع أهل مكة، ثم خص خزاعة بالذكر، لأنها كانت داخلة فى عقد النبى «صلى اللّه عليه و آله» و عهده، كما ظهر مما جرى فى الحديبية .. فلهم أمان الحلف، بالإضافة إلى الأمان الذى يشملهم مع أهل مكة ..

فخزاعة: لا يصح قتال أحد منها حتى لو بادر إلى حمل السلاح و القتال، فيجب مراعاة حاله، و تحاشى قتله، و مراجعة النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى أمره، لأن لخزاعة أحكاما تختلف عن أحكام سائر مشركى مكة المحاربين، و قد اصبحوا الآن أسرى فى أيدى المسلمين، يحكم فيهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» بما يقتضيه حالهم ..

و أما خزاعة: فليسوا محاربين كمشركى مكة، بل هم حلفاء، و لهم عهد و عقد.

و حتى لو اتفق و وقع القتل على أحد منهم، و لو عن غير قصد، فلعلهم ممن تشملهم أحكام الديات أيضا.

شعار النبى صلّى اللّه عليه و آله فى فتح مكة:

روى الكلينى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۵

نصر، عن معاوية بن عمار، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال:

شعارنا: «يا محمد، يا محمد».

و شعارنا يوم بدر: «يا نصر اللّه إقترب، إقترب».

و شعار المسلمين يوم أحد: «يا نصر اللّه إقترب».

و يوم بنى النضير: «يا روح القدس أرح».

و يوم بنى قينقاع: «يا ربنا لا يغلبنك».

و يوم الطائف: «يا رضوان».

و شعار يوم حنين: «يا بنى عبد اللّه، [يا بنى عبد اللّه]».

و يوم الأحزاب: «حم، لا يبصرون (أو لا ينصرون)».

و يوم بنى قريظة: «يا سلام أسلمهم».

و يوم المريسيع، و هو يوم بنى المصطلق: «ألا إلى اللّه الأمر».

و يوم الحديبية: «ألا لعنة اللّه على الظالمين».

و يوم خيبر، يوم القموص: «يا على آتهم من عل».

و يوم الفتح: «نحن عباد اللّه حقا حقا».

و يوم تبوك: «يا أحد يا صمد».

و يوم بنى الملوح: «أمت، أمت».

و يوم صفين: «يا نصر اللّه».

و شعار الحسين «عليه السلام»: «يا محمد».

و شعارنا: «يا محمد» «۱».

---

(۱) الكافى ج ۵ ص ۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۶

و سند الحديث صحيح.

و روى أيضا:

أن شعار المسلمين يوم بدر: «يا منصور أمت».

و شعار يوم أحد للمهاجرين: «يا بنى عبد اللّه، يا بنى عبد الرحمن».

و للأوس: «يا بنى عبد اللّه» «۱».

و نقول:

كنا قبل سنوات قد كتبنا بحثا حول «نقش الخواتيم لدى الأئمة صلوات اللّه و سلامه عليهم» ..

و قد بدا واضحا: أن ما كانوا ينقشونه عليها متوافق مع طبيعة المرحلة التى يمرون بها، و التحديات التى تواجههم.

و هذه العبارات المختارة لتكون شعارا فى هذه الحرب أو تلك تشير إلى نفس هذا الأمر، و تؤكد على هذه الحقيقة ..

و لو أردنا أن نشرح هذا التوافق و الإنسجام فيما بين الشعار و بين ما يراد له أن يدل عليه و يشير إليه لاحتجنا إلى عشرات الصفحات، و لكان علينا أن ندّخر المزيد من الوقت و الجهد فى إيضاح هذه المعانى و بيان هذه الدلالات.

فلا محيص لنا عن الإكتفاء هنا بلمحة عابرة عن بعض ما يرمى إليه الشعار الذى اختير ليوم فتح مكة فقط، و هو:

«نحن عباد اللّه حقا حقا»، فنقول:

---

(۱) الكافى ج ۵ ص ۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۷

يتضح بعض ما نريد الإلماح إليه كما يلى:

۱- لقد كان مشركو مكة و جبابرتها، و عتاتها، و رموز الظلم و الكيد و التعدى على حرمات اللّه فيها، يحاربون اللّه و رسوله، و يهتكون حرمة بيت اللّه، و ينتهكون حرمة الحرم. ثم هم يدّعون أنهم سدنة البيت، و أولياؤه، و حماة الحرم و أبناؤه.

و قد رد اللّه تعالى ذلك عليهم، فقال: وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ «۱».

و لنا حول موضوع البيت و ولايته حديث ذكرناه فى كتابنا «دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام»، و لعلنا نحتاج لإيراد موجز عنه فيما يأتى من مطالب إن شاء اللّه تعالى ..

۲- إن الكعبة بيت اللّه، و الحرم المكى حرم اللّه، و لا بد من أن تتجلى فى هذه الأماكن المقدسة، و المشاعر المعظمة عبودية الإنسان لربه بكل أبعادها، و مختلف تجلياتها.

و خير من يجسد هذه العبودية هم المؤمنون باللّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، و لا يشركون به شيئا، فإن الشرك ينقص من مقام العبودية هذا ..

بل هو يصرفها إلى غير اللّه تبارك و تعالى إلى حد التمحض فى ذلك الغير ..

و لأجل ذلك اختار «صلى اللّه عليه و آله» بيان هذه الحقيقة، و إسقاط هذه المغالطة التى يمارسها المدّعون لها كذبا و زورا ..

---

(۱) الآية ۳۴ من سورة الأنفال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۸

۳- إن اختيار العبودية لتكون أول مفهوم يطرح فى هذه المناسبة يؤكد على أن هذا الفتح العظيم لم يخرج هؤلاء الفاتحين عن حالة التوازن، و لم يدفعهم للتصرف بكبرياء، و لم يوجب لديهم حالة من الغرور و الادّعاء لأنفسهم فوق ما تملكه من قدرات. بل زادهم ذلك تواضعا، و خضوعا له، و استسلاما لإرادته و مشيئته تعالى، تماما كما يستسلم كل عبد لسيده، و ليس لأهوائهم و نزواتهم.

۴- إن هذا يعطى الآخرين الذين اساؤوا و آذوا نفحة من الشعور بالطمأنينة، و بالأمل و السكينة، من حيث أنهم سيفهمون أن القرار بشأنهم لن يكون عشوائيا، تتحكم فيه النزوات، و الأهواء و العصبيات، بل هو قرار إلهى، و حكم ربانى .. فإذا أصلحوا علاقتهم باللّه، و تابوا و عادوا إلى الالتزام بأوامره و زواجره، و إذا اعتقدوا: أنه غفور رحيم، و قوى عزيز، و أنه الغفور التواب و .. و .. فإن بإمكانهم أن يأملوا قبول توبتهم، و النظر إليهم بعين الرحمة و المغفرة ..

فيكون نفس هذا الشعار الذى نادى به المسلمون فى فتح مكة دعوة لأهلها إلى قبول الحق، و الدخول فى دين اللّه و التوبة و الإستغفار، و طلب الرحمة ..

كما إنه شعار يتضمن إنذارا لهم بضرورة التخلى عن المكابرة و الجحود .. لأن ذلك سوف يعرضهم لغضب اللّه و سخطه، و ستجرى عليهم و فيهم أحكامه و شرائعه، وفق سنن العدل، و على أساس قاعدة:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۰۹

أَحْصاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ .. «۱». و قاعدة: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ «۲».

فتحت مكة عنوة لا صلحا:

و قد زعموا: أن مكة فتحت صلحا، و به قال الشافعى «۳».

فلما واجههم ما أثبته التاريخ من قتل خالد ثمانية و عشرين رجلا من قريش و هذيل كما ذكرته الروايات أو سبعين من أهل مكة كما فى رواية أخرى قالوا: إن هذه المقاتلة التى وقعت لخالد لا تنافى كون مكة فتحت صلحا، لأنه صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة.

و أما قوله: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن» فهو من زيادة الإحتياط لهم فى الأمان.

و قوله: احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال، و لم يقع قتال، و من ثم قتل خالد من قاتل من الكفار.

و إرادة على كرم اللّه وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتهما أخته أم هانىء كما سيأتى لعله تأول فيهما شيئا، أو جرى منهما قتال له.

و تأمين أم هانىء لهما، من تأكيد الأمان الذى وقع للعموم.

---

(۱) الآية ۶ من سورة المجادلة.

(۲) الآيتان ۷ و ۸ من سورة الزلزلة.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۰

فلا حجة فى كل ما ذكر على أن مكة فتحت عنوة كما قاله الجمهور.

و قيل: أعلاها فتح صلحا: أى الذى سلكه أبو هريرة و الأنصار، لعدم وجود المقاتلة فيه، و أسفلها الذى سلكه خالد فتح عنوة لوجود المقاتلة فيه «۱».

و نقول:

إن ذلك غير صحيح، بل فتحت عنوة، و نستند فى ذلك إلى ما يلى:

أولا: إن نفس إعطاء الأمان لأهل مكة، إن دخلوا المسجد، أو بيوتهم، أو غير ذلك يدل على أنهم قد قهروا بدخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» بلدهم، و أن معارضتهم سوف تنتهى إلى استرجاع هذا الأمان، و استمرار حالة الحرب.

ثانيا: قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مكة: ما ترون أنى صانع بكم؟!

قالوا: أخ كريم، و ابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فإن قوله: ما ترون أنى صانع بكم يدل على أنه هو الذى يقرر مصيرهم، و يصنع بهم ما يشاء، بعد أن أصبحوا فى يده بعد الفتح. و لو كان ثمة صلح، فإن بنود الصلح و شروطه هى التى تحدد ذلك، و لا يبقى لأحد طرفى الصلح أى خيار فى مصير الطرف الآخر ..

ثالثا: لم يرد فى أى نص تاريخى: أن ثمة صلحا بين النبى و بين أحد من

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۱

أهل مكة، فالقول بحصول شىء من ذلك ما هو إلا تخرص و رجم بالغيب.

رابعا: إن اعتبارهم طلقاء فى قوله «صلى اللّه عليه و آله»: اذهبوا فأنتم الطلقاء، يدل على أنه قد أسرهم، ثم أطلق سراحهم، فإن الطليق هو الأسير إذا أطلق و لم يسترق «۱».

خامسا: إن مما يشير إلى ذلك أيضا: ما رواه الحسين بن محمد الأشعرى، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبى حمزة الثمالى قال: قلت لعلى بن الحسين «صلوات اللّه عليهما»: إن عليا «عليه السلام» سار فى أهل القبلة بخلاف سيرة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى أهل الشرك.

قال: فغضب ثم جلس، ثم قال: سار و اللّه فيهم بسيرة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الفتح، إن عليا «عليه السلام» كتب إلى مالك و هو على مقدمته يوم البصرة بأن لا يطعن فى غير مقبل، و لا يقتل مدبرا، و لا يجهز على جريح، و من أغلق بابه فهو آمن «۲».

و على «عليه السلام» إنما انتهى إلى هذه النتيجة بعد أن انتصر عليهم فى ساحات القتال و النزال، و أصبحوا فى يده، و كذلك الحال بالنسبة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

إستدلالات و تأويلات:

۱- بالنسبة للاستدلالات المذكورة آنفا نقول:

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵.

(۲) الكافى ج ۵ ص ۳۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۹ عنه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۲

قد استدل القائلون بفتح مكة صلحا: بأن ما جرى فى مر الظهران يعتبر صلحا.

و نقول:

أولا: قد ذكرنا فيما تقدم: أن أبا سفيان قد اعتقل من قبل أولئك الذين أرسلهم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و حدد لهم مكانه بدقة .. و لم يذكر التاريخ و لو كلمة واحدة عن أية مفاوضات جرت بين أبى سفيان و بين رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حول دخول مكة عنوة أو صلحا، أو عدم دخولها.

ثانيا: إن أبا سفيان بعد أن أعلن إسلامه، لم يكن يصح أن يعتبر نفسه مسلما، ثم أن يعتقد بأن له الحق فى أن يصالح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أو أن يفاوضه فى شأن مكة، أو فى شأن غيرها ..

ثالثا: إن إهدار دم جماعة ممن ارتكبوا جرائم فى حق الدين و أهله، ما هو إلا قرار نبوى خالص، و قد كانت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان فى جملة الذين أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمهم. و لم يكن أبو سفيان ليرضى بقتل زوجته، أو بقتل عكرمة بن أبى جهل، أو صفوان بن أمية و غيرهم، بل هو ينقض ألف صلح و عقد و عهد من أجل حفظهم، فكيف يعقد صلحا تكون نتيجته قتل كثير من أصفيائه و أحبته؟!

۲- بالنسبة للتأويلات التى ذكروها نقول:

ألف: ادّعى القائل بفتح مكة صلحا: بأن الأمان الذى أعطاه «صلى اللّه عليه و آله» لمن دخل المسجد، أو دار أبى سفيان، أو أغلق بابه، أو ألقى سلاحه، أو لجأ إلى راية أبى رويحة .. قد أعطى لهم زيادة فى الإحتياط.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۳

و هو كلام غير دقيق.

فأولا: إن معنى هذا الأمان هو أن من لم يفعل ذلك، فلا أمان له، و سيكون التعامل معه على أنه محارب، يجوز قتله و أسره، و يحل ماله.

ثانيا: لو كان الأمان قد أعطى زيادة فى الإحتياط، لكان من الضرورى أن ينادى بالأمان العام أولا، ثم يخصص ذلك و يقول: و خصوصا من دخل المسجد، أو ألقى سلاحه، أو أو الخ .. مع أن ذلك لم يحصل، إذ لم يناد أحد بشىء من ذلك.

ب: و زعموا: أن ما نسب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» من أنه قال للأنصار: احصدوهم حصدا، محمول على من أظهر من الكفار القتال، و لم يقع قتال .. و لذلك قتل خالد من قاتله من الكفار.

و نقول:

إننا و إن كنا قد ناقشنا النص المذكور بما دل على عدم صحته، غير أننا نزيد هنا:

أولا: إن هذا الحمل تبرعى، ليس فى النص المذكور أية إشارة إليه.

ثانيا: إن النصوص تشير إلى أن من قتلهم خالد لم يكونوا قد أظهروا القتال حسبما تقدم.

ثالثا: لقد كان الأولى بهؤلاء أن يقفوا عند عبارة «احصدوهم حصدا»، ليؤكدوا كذبها من حيث إنها لا تتناسب مع النهج النبوى، و السلوك الإيمانى .. و قد عرفنا أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كانت تذهب نفسه حسرات على قومه، و كان يدعو لهم بالهداية، حتى و هم يقاتلونه.

و لم يكن يريد سحقهم و استئصالهم، بل كان كل همه «صلى اللّه عليه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۴

و آله» منصرفا إلى كسر شوكتهم، و إسقاط مقاومتهم، ثم العمل على إقناعهم بالإسلام، ثم إيصال الإسلام إلى كل من لهم به صلة نسب، أو مصلحة، أو صداقة، أو غيرها ..

ج: و ذكروا: أن سعى على «عليه السلام» لقتل الرجلين اللذين اجارتهما أم هانى، لعله لأجل أنه تأول بهما شيئا، أو جرى منهما قتال. و تأمين أم هانى لهم من تأكيد الأمان الذى جرى للعموم ..

و نقول:

سيأتى الحديث عن هذه القضية عن قريب، و نكتفى هنا بما يلى:

أولا: صرح الحلبى: بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان قد أهدر دم هذين الرجلين اللذين أجارتهما، و هما: الحارث بن هشام، و زهير بن أبى أمية «۱». فلم يكن على «عليه السلام» متأولا فى أمرهما شيئا خلاف ما نص عليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

ثانيا: ما زعمه: من أن تأمين أم هانى لهما قد جاء تأكيدا للأمان العام، لا يصح، إذ لماذا لا تحتج أم هانى على على «عليه السلام» بذلك الأمان العام لتحرجه به، بلا حاجة إلى أن تشتكيه إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»؟!

يضاف إلى ذلك: أنه لا يوجد أى نص يشير إلى وجود ذلك الأمان العام المزعوم، بل قد تقدم أن تحديد النبى «صلى اللّه عليه و آله» المسجد، و دار أبى سفيان و .. و .. لتكون مواضع الأمان، ينفى وجود أمان عام.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۱ و راجع ص ۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۵

الشهداء من المسلمين:

قالوا: «و استشهد من المسلمين ثلاثة نفر، دخلوا فى أسفل مكة، و أخطأوا الطريق، فقتلوا» «۱».

و نقول:

إنه يبدو لنا: أن هذه النصوص، و أمثالها تشتمل على نوع من التضليل، و ذلك:

أولا: لأن الذى دخل من أسفل مكة هو خالد بن الوليد «۲»، و خالد هو الذى قاتل أهل مكة حين دخل، و قتل منهم العشرات، فإذا كان هؤلاء الثلاثة قد قتلوا فى أسفل مكة، فهذا يعنى: أنهم قتلوا مع خالد بالذات، حين دافعه أهل مكة عن أنفسهم، إذ لا يعقل أن يقتل منهم ما يقرب من ثلاثين قتيلا، و يلاحقهم خالد و من معه إلى المسجد، و إلى الجبال، بل لقد هرب بعضهم إلى جهة اليمن كما تقدم، ثم لا تكون منهم أية مقاومة، و لا

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۳ عن إعلام الورى، و الأنوار العلوية للنقدى ص ۲۰۲ و إعلام الورى ج ۱ ص ۲۲۶ و ۲۲۷.

(۲) راجع: المصنف لابن أبى شيبة ج ۸ ص ۵۳۳ و شرح معانى الآثار ج ۳ ص ۳۱۵ و كنز العمال ج ۱۰ ص ۵۲۷ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۳۲ و ۲۳۸ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۵۰ و ۵۶۰ و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۷۴ و الطبقات الكبرى ج

۷ ص ۳۹۵ و الثقات ج ۲ ص ۴۹ و معجم البلدان ج ۵ ص ۲۸ و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ۲ ص ۳۳۴ و عن السيرة النبوية لابن هشام ج ۴ ص ۸۶۵ و عيون الأثر ج ۲ ص ۱۹۱ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۷ و معجم ما استعجم ج ۱ ص ۱۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۶

يقتل و لا يجرح أحد ممن كان مع خالد.

و الذى نراه هو: أن ثمة تزويرا رخيصا يهدف إلى إيقاع الناس فى الغلط و الاشتباه، فإن محبى خالد بعد أن ظهر لهم أن خالدا قد خالف أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قتل من قتل من الناس بغير رضا و لا رخصة منه «صلى اللّه عليه و آله»، بل مع وجود منعه و نهيه .. خافوا أن يجعل قتل هؤلاء الثلاثة على عهدة خالد، و بتسبيب منه .. فأبعدوهم عنه.

ثم رووا: أنه دخل من أعلى مكة، و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دخل من أسفلها حسبما تقدم، لكى تتعارض الروايات، و يأتى أهل الخير ليجمعوا بينها، بما يبعد الشبهة عن خالد، أو يوجب الشبهة فى حقيقة ما ارتكبه، أو ما كان سببا فيه.

ثانيا: إننا لا نرى مبررا لضلال هؤلاء الثلاثة لطريقهم، و لا لقتلهم بسبب ذلك، فإنه إن كان خالد قد دخل من أسفل مكة فقد كانوا معه، و لا مجال لأن يضلوا الطريق عنه دون سواهم، و هم فى ضمن جيش يعد بالمئات و الألوف، و إن كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى دخل من أسفلها فقد كانوا معه، و فى حمايته، فلما ذا يقتلون؟! و كيف؟!

لا غنائم فى يوم الفتح:

عن عبيد بن عمير قال: قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى يوم فتح مكة: لم تحل لنا غنائم مكة «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن الواقدى و مسند أحمد ج ۶ ص ۴۶۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۷

و عن يعقوب بن عتبة قال: لم يغنم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من مكة شيئا، و كان يبعث السرايا خارجة من الحرم، و عرفة، و الحل، فيغنمون و يرجعون إليه «۱».

و نقول:

قد يقال: إن هذا يدل على أن مكة قد فتحت صلحا، إذ لو فتحت عنوة لحلت غنائمها ..

و نجيب:

أولا: إن مكة قد فتحت عنوة، لكن العنوة لا تعنى لزوم وقوع قتال و قتلى، بل الفتح عنوة هو ما يكون بالقهر و القوة، و بالرغم و الهيمنة السلطوية. و ذلك حاصل فى فتح مكة .. لكن النبى «صلى اللّه عليه و آله»- حفظا منه لحرمة بيت اللّه و حرمه- منع المقاتلين من مباشرة أى عمل قتالى إلا بإذنه، و قتل الناس الذى صدر من خالد كان معصية لأوامر الرسول «صلى اللّه عليه و آله» فى هذا المجال.

على أن نفس أن يهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دم حوالى عشرين شخصا، و قد قتل بالفعل عدد منهم .. يدل على أنه كان يتصرف من موقع الفاتح المنتصر، لا من موقع المصالح، الذى يفرض شروطه على الطرف الآخر .. إذ لم يكن المشركون ليرضوا بقتل عدد من كبار زعمائهم و أصحاب القرار فيهم، و لا يمكن أن يسجلوا ذلك فى بنود صلح مع من يطالب بقتلهم.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن الواقدى، و التنبيه و الإشراف ص ۲۳۳ و راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ۱۶ ص ۷۷ و ۲۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۸

ثانيا: إنه لا مانع من أن يكون لمكة خصوصية فى أحكام الجهاد و الفتح، فتكون غنائمها حراما حتى لو فتحت عنوة. و قد تبينت

خصوصية مكة فى كثير من الأحكام.

قريش لا تقتل صبرا و لا تغزى:

عن مطيع بن الأسود قال: سمعت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول يوم فتح مكة: «لا يقتل قريشى صبرا بعد اليوم إلى يوم القيامة» «۱».

و عن أبى حصين الهذلى قال: لما قتل النفر الذين أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بقتلهم سمع النوح عليهم بمكة، و جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: فداك أبى و أمى، البقية فى قومك.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «لا يقتل قريشى صبرا بعد اليوم».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۵۷ عن مسلم، و قال فى هامشه: أخرجه مسلم فى الجهاد باب ۳۳ حديث (۸۸)، و الدارمى ۲/ ۱۹۸ و الحميدى (۵۶۸).

و الطبرانى فى الكبير ۷/ ۸۸ و أحمد ۳/ ۴۱۲، و الطحاوى فى المعانى ۳۲۶ و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۷۹ و ابن أبى شيبة ۱۲/ ۱۷۳، ۱۴/ ۹۰ انتهى.

و راجع: مسند أحمد ج ۴ ص ۳۱۳ و الأدب المفرد ص ۱۷۸ و الفايق فى غريب الحديث ج ۳ ص ۴۳۶ و الثقات ج ۲ ص ۵۳ و تهذيب التهذيب ج ۶ ص ۳۰۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۵۱ و السيرة النبوية لابن كثير ج ۳ ص ۵۸۱ و النهاية فى غريب الحديث ج ۳ ص ۳۶۵ و لسان العرب ج ۱۵ ص ۱۲۴ و مسند الحميدى ج ۱ ص ۲۵۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۱۹

قال محمد بن عمر: يعنى على الكفر «۱».

عن الحارث بن مالك، (و يقال له: ابن البرصاء)، قال: سمعت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول: «لا تغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة على الكفر» «۲».

و عن الحارث أيضا، قال: سمعت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يقول يوم فتح مكة: «لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة ..».

قال العلماء: معنى قوله: «لا تغزى» يعنى على الكفر «۳».

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نأخذ بظاهر هذا الكلام، بل لا بد من تأويله إن أمكن، أو الحكم عليه بالسقوط و البطلان، و اعتباره مجعولا لأهداف رخيصة، تتناقض مع التشريع الإلهى و مع التوجيه الربانى ..

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۶۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۵۷ عن الواقدى.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۵۷ عن الواقدى، و فى هامشه عن: المغازى للواقدى ۲/ ۸۶۲ و ابن سعد ۲/ ۱/ ۹۹، و الطبرانى فى الكبير ۳/ ۲۹۲ و ابن أبى شيبة ۱۴/ ۴۹۰ و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۷۵ انتهى.

و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۳ و الطبقات الكبرى ج ۲ ص ۱۳۷ و أسد الغابة ج ۱ ص ۳۴۶ و غريب الحديث ج ۳ ص ۱۹۰ و النهاية فى غريب الحديث ج ۳ ص ۳۶۵ و لسان العرب ج ۱۵ ص ۱۲۴.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن أحمد، و الترمذى، و صححه، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۰

لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء:

و قد يقال: إن المقصود الإخبار عن أن الشرك و الكفر لن يدخل مكة، و لن يسيطر عليها، بحيث يحتاج إخراجه منها إلى غزوها، و ليس المقصود إنشاء تحريم غزوها حتى مع عودتها للكفر، فإن ذلك يعنى: القبول بسيطرة الكفر عليها، و هو أمر مرفوض جملة و تفصيلا.

و لو فرض لزوم الرضى به، فليس من المصلحة الجهر بمثل هذا الأمر، و لا سيما بالنسبة لأهل مكة الذين كان معظمهم لا يزال على الشرك و الكفر، أو أنه أعلن الإسلام نفاقا، بعد أن غلب أهل مكة على أمرهم بدخول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة على تلك الحال القوية، التى لا قدرة لهم على مواجهتها.

و لا بد من أن يكون هذا المعنى هو المراد أيضا بقوله «صلى اللّه عليه و آله»- فيما رووه عنه-: «لا يقتل قرشى صبرا بعد اليوم» يعنى: على الكفر.

و يزيد الأمر وضوحا إذا علمنا: أنه لو أريد الأخذ بالإحتمال الآخر، و هو:

أن تكون قريش فى منأى عن القتل صبرا، فإننا نصبح أمام محذورين مهمين:

أحدهما: أن إعلانا من هذا القبيل يدخل فى سياق تغذية روح العنصرية، التى رفضها الإسلام جملة و تفصيلا، إنسجاما منه مع حكم العقل، و قضاء الفطرة، و مع ما قررته الآيات الكريمة التى تقول: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ «۱».

مع ملاحظة: أن القرشية أو غيرها من مثيلاتها من الخصوصيات مثل

---

(۱) الآية ۱۳ من سورة الحجرات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۱

العرق و اللون، ليست من الأمور الإختيارية التى يمكن اعتبارها حيثية يصح إناطة التشريعات المرتبطة بالأعمال بها ..

الثانى: إنه لا شك فى أن المرتد عن فطرة محكوم بالقتل من الناحية الشرعية، سواء كان قرشيا أو غير قرشى. و هو إنما يقتل صبرا، و لم يقل أحد: أن هذه الكلمة قد ألغت هذا الحكم، مع أنه من موارد القتل على الكفر لمن هو من قريش أيضا.

هذا ما وعدنى ربى:

عن عبد اللّه بن مغفل قال: رأيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم فتح مكة على ناقته، و هو يقرأ سورة الفتح، يرجّع صوته بالقراءة.

قال معاوية بن قرة: لو لا أن يجتمع الناس حولى لرجّعت كما رجّع عبد اللّه بن مغفل، يحكى قراءة النبى «صلى اللّه عليه و آله».

قال شعبة: فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟

قال: ثلاث مرات «۱».

و عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الفتح: «هذا ما وعدنى ربى» ثم قرأ: إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ «۲»» «۳».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ عن البخارى فى التفسير، و فضائل القرآن، و التوحيد، و المغازى، و عن مسلم فى الصلاة، و

النسائى، و الحاكم، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۷.

(۲) الآية ۱ من سورة النصر.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ عن الطبرانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۲

قالوا: و نزل يوم فتح مكة: وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً «۱».

فارتجت مكة من قول أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً» «۲».

و نقول:

۱- قد تحدثنا عن بعض ما يرتبط بقراءته «صلى اللّه عليه و آله» سورة الفتح عن قريب، فلا ضرورة للإعادة، فنحن نكتفى بما ذكرناه هناك ..

۲- بالنسبة إلى ما ادّعوه فى ترجيعه «صلى اللّه عليه و آله» فى قراءة السورة المذكورة نقول:

إنه لا شك فى أنه ترجيع لا يصل إلى حد ما نراه من ترجيع غنائى يقوم به القراء فى زماننا، و قد وصف ابن قتيبة لنا قراءة بعض قراء زمانه، و إذ بها تشبه ما نراه فى هذا الزمان.

فقد قال فى معرض حديثه عن حمزة بن حبيب الزيات، و هو أحد القراء السبعة:

«.. هذا إلى نبذه فى قراءته مذاهب العرب، و أهل الحجاز لإفراطه فى المد، و الهمز و الإشباع، و إفحاشه فى الإضجاع و الإدغام. و حمله المتعلمين على المركب الصعب، و تعسيره على الأمة ما يسر اللّه.

و قد شغف بقراءته عوام الناس و سوقهم، و ليس ذلك إلا لما يرونه من

---

(۱) الآية ۸۱ من سورة الإسراء.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۴ عن تفسير القمى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۳

مشقتها، و صعوبتها ..

إلى أن قال: و رأوه عند قراءته مائل الشدقين، دارّ الوريدين، راشح الجبينين، توهموا: أن ذلك لفضيلة فى القراءة، و حذق فيها.

و ليس هكذا كانت قراءة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا خيار السلف، و لا التابعين، و لا القراء العالمين، بل كانت قراءتهم سهلة رسلة» «۱».

و قد تحدثنا فى موضع آخر عن موضوع التغنى بالقرآن، و أن ذلك ليس فقط لم يثبت عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بل النصوص تثبت خلافه ..

۳- إن الآيات القرآنية التى نزلت، و التى رددها المسلمون حتى ارتجت مكة، تبين: أن المعيار عند صاحب هذا الفتح هو انتصار الحق على الباطل، و ليس المهم فتح البلاد، و امتلاك أزمّة الأمر و النهى فى العباد، و لا أى شىء آخر من أمور الدنيا .. إلا إذا كان يقوى هذا الحق و يحميه، و يزهق الباطل و يضعفه، و يبطل أى حركة فيه ..

---

(۱) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ۵۸- ۶۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۵

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۷

أين نزل النبى صلّى اللّه عليه و آله فى مكة؟!:

روى عن ابن عباس أنه قال: دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة يوم الإثنين «۱».

و عن أبى جعفر قال: كان أبو رافع قد ضرب لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قبة بالحجون (أى عند شعب أبى طالب) من أدم، فأقبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى انتهى إلى القبة، و معه أم سلمة، و ميمونة زوجتاه «۲».

و عن أسامة بن زيد أنه قال: يا رسول اللّه! أنّى تنزل غدا؟ تنزل فى دارك؟

قال: «و هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار»؟

و كان عقيل ورث أبا طالب هو و أخوه طالب، و لم يرثه جعفر و لا

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ عن الواقدى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و راجع: مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۸

على، لأنهما كانا مسلمين، و كان عقيل و طالب كافرين، أسلم عقيل بعد «۱».

و عن أبى هريرة: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «منزلنا إن شاء اللّه تعالى- إذا فتح اللّه- بخيف بنى كنانة، حيث تقاسموا على الكفر».

يعنى بذلك: المحصب.

و ذلك أن قريشا و كنانة تحالفت على بنى هاشم و بنى المطلب أن لا يناكحوهم و لا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

و عن أبى رافع قال: قيل للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: ألا تنزل منزلك من الشعب؟

فقال: «و هل ترك لنا عقيل منزلا»؟

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ و ۲۳۱ و قال فى هامشه: أخرجه البخارى ۳/ ۵۲۶ فى الحج (۱۵۸۸) (۳۰۵۸، ۴۲۸۲، ۶۷۶۴)، و مسلم فى الحج (۴۳۹، ۴۴۰) و أبو داود حديث (۲۰۱۰) و فى الفرائض باب (۱۰) و ابن ماجة (۲۷۳۰) و الطحاوى فى معانى الآثار ۴/ ۴۹، و أحمد ۵/ ۲۰۲ و الدار قطنى ۳/ ۶۲.

و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۱ ق ۱ ص ۷۹ و المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۱۵ و ج ۱۰ ص ۳۴۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ عن البخارى و أحمد، و قال فى هامشه: أخرجه البخارى (۴۲۸۴) (۱۵۸۹)، و مسلم فى الحج (۳۵۵) و البيهقى فى الدلائل ۵/ ۹۳ و أحمد ۲/ ۲۶۳، ۳۲۲، ۳۵۳، و الطبرانى فى الكبير ۱۱/ ۶۲ و انظر مجمع الزوائد ۳/ ۲۵۰.

و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۲۹

و كان عقيل قد باع منزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و منزل إخوته من الرجال و النساء بمكة، فقيل لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:

فانزل فى بعض بيوت مكة غير منازلك.

فأبى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و قال: «لا أدخل البيوت».

و لم يزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا، و كان يأتى المسجد لكل صلاة من الحجون «۱».

و عن عطاء: لما هاجر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى المدينة لم يدخل بيوت مكة، فاضطرب بالأبطح، فى عمرة القضية، و عام الفتح، و فى حجته «۲».

هذا منزلنا يا جابر:

عن جابر- رضى اللّه عنه- قال: كنت ممن لزم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فدخلت معه يوم الفتح، فلما أشرف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من أذاخر، و رأى بيوت مكة، وقف عليها، فحمد اللّه و أثنى عليه، و نظر إلى موضع قبته، فقال:

«هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت قريش علينا فى كفرها».

قال جابر: فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة: «منزلنا إذا فتح اللّه علينا مكة فى خيف بنى كنانة، حيث تقاسموا على الكفر».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ عن الواقدى و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۹.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۰

و كنا بالأبطح، و جاه شعب أبى طالب، حيث حصر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و بنو هاشم ثلاث سنين «۱».

و نقول:

إننا هنا نشير إلى الأمور التالية:

الحكمة فى اختيار موضع النزول:

قال الصالحى الشامى:

«الحكمة فى نزول النبى «صلى اللّه عليه و آله» بخيف بنى كنانة، الذى تقاسموا فيه على الشرك، أى تحالفوا فيه على إخراج النبى «صلى اللّه عليه و آله» و بنى هاشم إلى شعب أبى طالب، و حصروا بنى هاشم و بنى المطلب فيه، كما تقدم ذلك فى أبواب البعثة، ليتذكر ما كان فيه من الشدة، فيشكر اللّه تعالى على ما أنعم عليه من الفتح العظيم، و تمكنه من دخول مكة ظاهرا على رغم من سعى فى إخراجه منها، و مبالغة فى الصفح عن الذين أساؤوا، و مقابلتهم بالمن و الإحسان، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء» «۲».

غير أننا نقول:

إن الأمر لا يقتصر على ما ذكر آنفا، فهناك أمور أخرى نشير إليها فى الفقرات التالية:

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۰ عن الواقدى و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۲۳ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۸.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۱

النبى صلّى اللّه عليه و آله يصل الماضى بالحاضر:

قد عرفنا فيما سبق: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد نزل فى نفس الموقع الذى حصره فيه أهل الكفر هو و سائر بنى هاشم، حينما تظاهروا عليه و عليهم بالإثم و العدوان، و قد مكثوا فيه حوالى ثلاث سنوات يقاسمون الآلام، و لا يقدرون على الاتصال بأحد من الناس، إلا- خفية، و قد منع الناس من إقامة أية صلة بهم، حتى صلة البيع و الشراء لأبسط الأشياء، فضلا عن منعهم الناس من مجالستهم، و من التزوج منهم، و التزويج إليهم، و ما إلى ذلك.

و ها هو «صلى اللّه عليه و آله» قد عاد إلى مكة، و معه أكثر من عشرة آلاف مقاتل .. و أصبح محاصروه بالأمس هم أسراه، و طبيعى أن يتوقعوا محاصرتهم من قبله، جزاء لهم على ما كسبت أيديهم.

نعم، لقد أصبح من لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه، أو يقيم معه أية صلة و لو عابرة، موضع الحفاوة و التكريم، و التبجيل و التعظيم، و يتلهف الناس للاقتراب منه، و التماس البركة به، و بكل شىء ينسب إليه، و يتمنون أن تشملهم منه نظرة أو لفتة، حتى لو كانت عابرة ..

بل إن أعداءه بالأمس، الذين تشهد تلك الشعاب التى نزل فيها على شدة ظلمهم له، و بغيهم عليه، يتوافدون إليه فى نفس المكان الذى اضطهدوه فيه بالأمس، لتقديم فروض الولاء، و التفنن فيما يزجونه إليه من مدح و ثناء. فيتذكرون ما ارتكبوه فى حقه، و فى حق الشيوخ و الأطفال و النساء من صحبه و أهله، فهل يخجلون من أنفسهم؟! أو هل يندمون؟! و هل يتوبون إلى اللّه و يستغفرون؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۲

و هل يفيدهم ذلك فى إعادة النظر و المقارنة بين ما كانوا عليه، و ما آلت أمورهم إليه؟! فيضعون الأمور فى نصابها، و يتأكد لديهم أن اللّه هو الراعى، و الحامى، و المدبر لنبيه، و المعين و الناصر لعباده و أوليائه ..

أين نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!:

و قال الصالحى الشامى أيضا:

«لا مخالفة بين حديث نزوله «صلى اللّه عليه و آله» بالمحصب، و بين حديث أم هانئ: أنه «صلى اللّه عليه و آله» نزل فى بيت أم هانئ. لأنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يقم فى بيت أم هانئ، و إنما نزل به حتى اغتسل و صلى، ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته عند شعب أبى طالب. و هو المكان الذى حصرت فيه قريش المسلمين قبل الهجرة كما تقدم» «۱».

إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر:

و عن إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر نقول:

إن هذا الكلام لا يمكن أن يصح:

أولا: لأننا قدمنا فى هذا الكتاب الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد على إيمان أبى طالب «عليه السلام» .. و قد كتب فى إثبات إيمانه عشرات المؤلفات، بأقلام العلماء من السنة و الشيعة، بالإضافة إلى بحوث كثيرة جدا كتبت حول هذا الموضوع.

ثانيا: إن المسلم يرث الكافر بلا ريب، و لكن الكافر لا يرث المسلم،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۳

فعلى «عليه السلام» يرث أبا طالب، لأنهما كانا مسلمين، و لا يرثه عقيل لأنه كان كافرا حين موت أبى طالب المؤمن .. فراجع كتابنا: «ظلامة أبى طالب»، ففيه بعض ما يفيد فى هذا المجال.

إن قلت: لعلهم قد جروا فى هذا الإرث على أحكام الجاهلية و قوانينها ..

قلت:

ألف: إن الذين ذكروا هذا الأمر لا يقصدون بكلامهم أحكام الجاهلية.

ب: لم يكن لأهل الجاهلية أحكام و قوانين فى هذا الأمر، بل كان هناك ظلم و تعد على المؤمنين، فلو فرضنا: أن عقيلا كان قويا بحيث استطاع أخذ أموال النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على و جعفر «عليهما السلام»، فهل كان قويا إلى حد أنه يأخذ حصة أخواته و أخيه طالب، الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد، حسب قول هؤلاء الرواة؟!

و لماذا رضى سائر أقارب النبى «صلى اللّه عليه و آله» و على و جعفر «عليهما السلام» بتسلط خصوص عقيل على أموال أبيه، و على أموال ابن عمه- أعنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»- دونهم.

ثالثا: إن عقيلا- لم يبع خصوص ما ورثه هو من أبيه، بل باع أيضا منزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و منزل إخوته من الرجال و النساء، كما صرحت به النصوص المتقدمة.

فإن كان على و جعفر «عليهما السلام» قد أسلما، و سلمنا جدلا أنهما لا يرثان- و سلمنا على مضض أيضا بموت أبى طالب على الشرك- فإن رسول

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۴

اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن من ورثة أبى طالب .. فلما ذا يبيع عقيل أملاكه، و لماذا رضى العباس من عقيل بأن يفعل ذلك، و العباس أقرب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» منه، فكيف لم يعترض عليه؟!

كما أن أم هانى أخت على «عليه السلام» كانت هى و أخواتها- كما يزعمون- على الشرك أيضا، فلما ذا باع عقيل منزلها و منازل و رباع أخواتها؟! و لماذا باع منزل طالب أيضا؟!

فلما ذا لم يمنعوه من إتمام هذا البيع، و لماذا تركوا أهل مكة يشترون من هذا البائع ما ليس له؟!

رابعا: كان بإمكان النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن ينزل فى أحد بيوت مكة على سبيل العارية، أو الشراء، فلما ذا لم يفعل ذلك؟!

بل لقد كان يمكنه أن ينزل فى بيت عمه العباس، أو فى أى بيت آخر من بيوت المؤمنين الذين كانوا فى مكة، و ما أكثرهم!! و سيدخل ذلك عليهم السرور بلا ريب.

و قد نزل على أبى أيوب حين هاجر «صلى اللّه عليه و آله» إلى المدينة مدة شهر أو أشهر أو سنة.

خامسا: إن قول الرسول «صلى اللّه عليه و آله»: «لا أدخل البيوت» ثم لم يدخل بيتا أبدا لا فى عمرة القضاء، و لا فى عام الفتح، و لا فى حجة الوداع، يشير إلى أن الأمر ليس لأجل عدم وجود بيت ينزل فيه، بل هو يتعدى ذلك ليكون قرارا إلهيا نبويا، و قد بدا بمثابة قاعدة يلتزم بها ..

و أما دخوله بيت أم هانى فلم يكن دخول سكنى، بل دخول تكريم لها و لأخيها على «عليه السلام».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۵

الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صلّى اللّه عليه و آله:

إن الحديث المتقدم عن اختيار موضع نزوله «صلى اللّه عليه و آله» فى مكة يدل على أن القرار بذلك لم يكن وليد ساعته، بل يدخل ضمن خطة كانت قد رسمت منذ وقت طويل، حيث إنه «صلى اللّه عليه و آله» كان قد أخبر جابرا بذلك فى المدينة، قبل مدة، فلما سمعه جابر يذكر ذلك فى مكة تذكّر ما كان فى المدينة.

و إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» لا ينطق عن الهوى، و لا يفعل إلا ما يريده اللّه سبحانه، و يرضاه، فالنتيجة هى أن ذلك لا بد من أن يكون من مفردات السياسة الإلهية فى تربية أهل الإيمان، و تقديم العبر و العظات للناس جميعا، مؤمنهم و كافرهم، فيقيم الحجة على الكافر ليكبته بها، و يرسخ يقين المؤمن ليسعده به، و يبعث فيه نفحة أخرى من الوعى للحقائق و يثبته بالقول الثابت و الصادق.

لا ينزل النبى صلّى اللّه عليه و آله بيوت مكة:

كأن هؤلاء الناس حين يذكرون امتناع النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن النزول فى بيوت مكة، يريدون الإيحاء بأن السبب فى ذلك: أنه لم يكن له «صلى اللّه عليه و آله» بيت ينزل فيه، لأن عقيلا كان قد باع الرباع و المنازل.

و الحقيقة هى: أن هذا يدخل فى سياق تزوير الحقائق الذى طالما شاهدناه فى المواضع المختلفة .. إذ عدم وجود بيت يملكه النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا- يعنى أن يتخذ قرارا بعدم دخول أى بيت من بيوت مكة، و لو كضيف على عمه العباس إن لم يكن يريد شراء بيت فيها .. تماما كما جرى له

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۶

«صلى اللّه عليه و آله» حينما هاجر إلى المدينة، فإنه نزل على أبى أيوب الأنصارى .. و بقى عنده شهرا، أو سبعة أشهر، أو سنة «۱».

و لنفترض: أن عقيلا- قد باع البيوت، لكن أم هانى كان لها بيت تسكن فيه، و بيت عمه العباس لا يزال على حاله، و لم يبعه عقيل، و كذلك بيوت سائر بنى هاشم. ألم يكن يمكنه أن ينزل فى أحدها؟! ألم يكن العباس و غيره من المؤمنين الذين كانوا فى مكة، و ما أكثرهم، فى غاية اللهفة لنيل هذا الشرف العظيم؟! و هو نزول النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى بيوتهم، و إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» قد أكرم أم هانى، فأكل عندها .. فلما ذا لا يكرمها بالنزول فى بيتها أياما يسيرة؟!

فإن كانت لا تزال على شركها، و لا يريد أن تكون لها منة عليه، فلما ذا أكل و صلى و اغتسل عندها؟! «۲» ألا يدل ذلك على أنها كانت مسلمة؟!

و الخلاصة: إن ذلك كله يدل على أن ما يذكرونه من الاستناد إلى ما فعله عقيل من بيع البيوت و الرباع لم يكن هو السبب فى اتخاذ هذا القرار.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يدخل دور مكة:

و فى سياق آخر نقول:

بالنسبة لما تقدم: من أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لا يدخل دور مكة، لا فى الفتح و لا فى عمرة القضاء، و لا فى حجة الوداع: فقد روى عن

(۱) راجع: البدء و التاريخ ج ۴ ص ۱۷۸ و وفاء الوفاء ج ۱ ص ۲۶۵ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۶۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۷

الإمام الصادق «عليه السلام» أنه كره المقام بمكة، و ذلك أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أخرج عنها، و المقيم بها يقسو قلبه «۱».

و روى أيضا عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: «إذا قضى أحدكم نسكه فليركب راحلته، و ليلحق بأهله، فإن المقام بمكة يقسى القلب» «۲».

و عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نهى أهل مكة أن يؤاجروا دورهم، و أن يعلقوا عليها أبوابا. و قال:

سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ «۳».

و فى حديث آخر: لم يكن ينبغى أن يصنع على دور مكة أبوابا، لأن للحاج أن ينزل فى دورهم فى ساحة الدار، حتى يقضوا مناسكهم.

و إن أول من جعل لدور مكة أبوابا معاوية» «۴».

و عن جعفر بن عقبة، عن أبى الحسن الرضا «عليه السلام»: إن عليا «عليه السلام» لم يبت بمكة بعد أن هاجر منها حتى قبضه اللّه عز و جل إليه.

قال: قلت: و لم ذلك؟

(۱) البحار ج ۹۶ ص ۸۰ و سفينة البحار ج ۸ ص ۹۲ و ۹۳ و عن علل الشرائع ص ۴۴۶.

(۲) البحار ج ۹۶ ص ۸۱ و سفينة البحار ج ۸ ص ۹۳ و عن علل الشرائع ص ۴۴۶.

(۳) الآية ۲۵ من سورة الحج. و الحديث فى سفينة البحار ج ۸ ص ۹۳ عن قرب الإسناد و البحار ج ۹۶ ص ۸۱ عن قرب الإسناد ص ۶۵.

(۴) البحار ج ۹۶ ص ۸۲ عن علل الشرائع ص ۳۹۶ و سفينة البحار ج ۸ ص ۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۸

قال: يكره أن يبيت بأرض هاجر منها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و كان يصلى العصر و يخرج منها و يبيت بغيرها «۱».

و لسنا بحاجة إلى التذكير: بأن امتناع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من المبيت بمكة لم يكن استجابة لحنق شخصى فرض عليه هذا القرار، بل هو- كما أشرنا إليه- قرار يرضاه اللّه و يريده، و هو من مظاهر طاعة اللّه سبحانه .. و قد كان «صلى اللّه عليه و آله» قد ذكر هذا القرار و هو فى المدينة قبل الفتح، و قد ذكره مرة أخرى فى مكة ..

و فى جميع الأحوال نقول:

إن التحدى الذى واجهه الرسول الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن لشخصه، إنما هو لنبوته و لرسوليته، و لذلك أخرج من مكة.

و حين فتح مكة، فإن أهلها انقادوا له لأنه قوى، لا مجال لمقاومته، و لم تقبل قلوبهم نبوته و رسوليته، إلا على سبيل الإقرار اللسانى .. و لذلك احتاج إلى أن يتألفهم على هذا الدين، و يصبر على الكثير من الأذايا و البلايا التى أوصلوها إليه بنحو أو بآخر. و كان كثير

منهم يتخذ سبيل النفاق، فهو يظهر الإسلام، ثم يكيد له و لأهله الحقيقيين المخلصين.

أى أن محمدا «صلى اللّه عليه و آله» كرسول، لم يدخل مكة بعد .. بل ما جرى هو مجرد نسيم هب على مكة، لا بد من العمل على أن يتحول إلى ريح تقل سحابا ثقالا بماء الحق و الصدق الذى ينعش الأرواح، و تحيا به النفوس ..

---

(۱) سفينة البحار ج ۸ ص ۹۳ عن علل الشرائع ص ۳۹۶ و عن عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۸۴ و البحار ج ۹۶ ص ۸۲ عنهما.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۳۹

فدخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى منازل يستولى عليها أولئك الذين حاربوه لربما يستتبع الكثير من التخمينات و الحيثيات التى تثير مخاوف أهل مكة و شكوكهم، و لكنه إذا لم يدخل منزلا، و اكتفى بخيمة تنصب له، فإن ذلك سوف يطمئنهم إلى أن هذا النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يريد المقام فى البلاد و لا يرغب فى الهيمنة على العباد، و إنما يريد أن يفسح الطريق أمام الناس للتعرف على الإسلام، و أن يمنع أعداءه من التعرض له بفنون من المكر و الكيد ليمنعوه من الوصول إلى العقول و القلوب ..

إنه لا يريد أموالا، و لا بلادا، و لا دارا، و لا عقارا، بل يريد لهم العيش الرغيد و السعيد فى بلادهم و ديارهم، و بين أهلهم، فهو حتى فى أحرج ساعة تواجههم، يقدم لهم الدليل تلو الدليل على أنه لا مطمع له بشىء من دنياهم، و أنه يتعامل معهم بالإنصاف، و بالرحمة، و الإيثار، لا بمنطق المنتصر الحانق الذى يتعامل بالنقمة، و يريد أخذ الثار.

تكريم النبى صلّى اللّه عليه و آله لأم هانى:

عن ابن عباس قال: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لأم هانئ يوم الفتح: «هل عندك من طعام نأكله»؟

قالت: ليس عندى إلا كسر يابسة، و إنى لأستحى أن أقدمها إليك. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۲ ۱۳۹

تكريم النبى صلى الله عليه و آله لأم هانى: ..... ص : ۱۳۹

فقال: «هلمّى بهنّ» فكسّرهنّ فى ماء.

و جاءت بملح فقال: «هل من أدم»؟.

فقالت: ما عندى يا رسول اللّه إلا شىء من خل.

فقال: «هلميه»، فصبّه على الطعام، و أكل منه، ثم حمد اللّه، ثم قال:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۰

«نعم الأدم الخلّ، يا أم هانئ لا يفقر بيت من أدم فيه خلّ» «۱».

و نقول:

ما أروع و أجمل هذا التكريم النبوى العفوى، و ما أجلّ هذه المبادرة للإعلان عن صافى المودة، و جميل الوفاء و الإخاء لامرأة فاضلة و نبيلة، يريد أن يعلن للناس كلهم، و للأجيال اللاحقة، بعظيم احترامه و تقديره لها و لفضلها و نبلها، فيخصها بشرف لم ينله أحد من رجالات مكة و عظمائها، فيدخل منزلها، و يصلى و يأكل عندها .. و يعاملها بعفوية ظاهرة، و مودة طافحة بالإجلال و التعظيم، و المودة و التكريم ..

و قد تجلت وحدة الحال فى قوله «صلى اللّه عليه و آله» لها: هل عندك من طعام نأكله؟!

و لم يكن لديها إلا كسر يابسة من خبز، و إلا شىء من خلّ، جعله «صلى اللّه عليه و آله» إداما .. ثم أثنى على هذا الإدام، و بيّن أن له قيمة كامنة فى عمق ذاته، فقال: «نعم الإدام الخل».

ثم شفع ذلك ببشارة نبوية، من شأنها أن تدخل السرور و الرضا على قلب هذه المرأة الجليلة، فقال: «يا أم هانى، لا يفقر بيت من أدم

فيه خلّ».

على عليه السّلام و أم هانى:

و فى الروايات حديث عن إجارة أم هانى لرجلين من المشركين، و قبول النبى «صلى اللّه عليه و آله» ذلك منها. و نحن نذكر أولا هذه النصوص، ثم

---

(۱) مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۶ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ عن الطبرانى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۱

نشير إلى بعض ما يمكن أن يقال حولها، فنقول:

بلغ عليا «عليه السلام»: أن أم هانى بنت أبى طالب آوت ناسا من بنى مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، و قيس بن السائب، (و عند الواقدى عبد اللّه بن ربيعة)، فقصد «عليه السلام» نحو دارها مقنّعا بالحديد، فنادى:

«أخرجوا من آويتم».

فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى، خوفا منه.

فخرجت إليه أم هانئ- و هى لا تعرفه- فقالت: يا عبد اللّه، أنا أم هانئ، بنت عمّ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أخت على بن أبى طالب، إنصرف عن دارى.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «أخرجوهم».

فقالت: و اللّه لأشكونّك إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فنزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته، و قالت:

فديتك، حلفت لأشكونك إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فقال لها: «إذهبى، فبرى قسمك، فإنه بأعلى الوادى».

قالت أم هانئ: فجئت إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» و هو فى قبة يغتسل، و فاطمة «عليها السلام» تستره، فلما سمع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كلامى، قال: «مرحبا بك يا أم هانئ و أهلا».

قلت: بأبى أنت و أمى، أشكو إليك ما لقيت من على «عليه السلام» اليوم.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «قد أجرت من أجرت».

فقالت فاطمة «عليها السلام»: «إنما جئت يا أم هانئ تشتكين عليا

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۲

«عليه السلام» فى أنه أخاف أعداء اللّه و أعداء رسوله»؟!

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «قد شكر اللّه لعلى «عليه السلام» سعيه، و أجرت من أجارت أم هانئ، لمكانها من على بن أبى طالب» «۱».

و عند الواقدى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن حين تكلمت أم هانئ مع فاطمة «عليها السلام» ..

ثم جاء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأجار لأم هانى من أجارت، ثم طلب من فاطمة «عليها السلام» أن تسكب له غسلا، فاغتسل، ثم صلى ثمان ركعات «۲».

و عن الحارث بن هشام قال: لما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة، دخلت أنا و عبد اللّه بن أبى ربيعة دار أم هانئ، ثم ذكر:

أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أجاز جوار أم هانئ.

قال: فانطلقنا، فأقمنا يومين، ثم خرجنا إلى منازلنا، فجلسنا بأفنيتها لا يعرض لنا أحد، و كنا نخاف عمر بن الخطاب، فو اللّه إنى لجالس فى ملاءة مورّسة «۳» على بابى ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عدة من المسلمين، فسلم و مضى.

و جعلت أستحى أن يرانى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و أذكر رؤيته

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۱ و ۱۳۲ عن إعلام الورى و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۹ و ۸۳۰.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۰.

(۳) مورسة: مصبوغة بلون أحمر.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۳

إياى فى كل موطن مع المشركين، ثم أذكر بره و رحمته و صلته، فألقاه و هو داخل المسجد، فلقينى بالبشر، فوقف حتى جئته فسلمت عليه، و شهدت بشهادة الحق، فقال: الحمد للّه الذى هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام.

قال الحارث: فو اللّه ما رأيت مثل الإسلام جهل «۱».

و عن أم هانئ- رضى اللّه عنها- قالت: لما كان عام يوم الفتح فرّ إلىّ رجلان من بنى مخزوم فأجرتهما، قالت: فدخل علىّ علىّ فقال: أقتلهما.

قالت: فلما سمعته يقول ذلك أغلقت عليهما باب بيتى، ثم أتيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو بأعلى مكة، فلما رآنى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رحّب و قال: «ما جاء بك يا أم هانئ».

قالت: قلت: يا رسول اللّه، كنت أمنت رجلين من أحمائى، فأراد على «عليه السلام» قتلهما.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «قد أجرنا من أجرت».

ثم قام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى غسله، فسترته فاطمة «عليها السلام»، ثم أخذ ثوبا فالتحف به، ثم صلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ثمان ركعات سبحة الضحى «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۴۹ و ۱۵۰ عن الواقدى و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۱ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ و فى هامشه عن صحيح مسلم (صلاة المسافرين) (۸۲) و عن أبى داود (۲۷۶۳) و عن مسند أحمد ج ۶ ص ۳۴۱ و ۳۴۲ و ۳۴۳ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۷۵ و مستدرك الحاكم ج ۴ ص ۴۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۳ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۴

لكن فى الحلبية و غيرها: فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين، و فاطمة ابنته تستره بثوب، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟

إلى أن قال: و فى الرواية الأولى: فلما اغتسل أخذ ثوبه و توشح به، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى.

ثم أقبل على، فقال: مرحبا يا أم هانى، ما جاء بك؟.

فأخبرته الحديث.

فقال: «أجرنا من أجرت الخ ..» «۱».

و قيل: إن الرجلين هما: الحارث بن هشام، و زهير بن أمية بن المغيرة «۲».

و عنهما: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» اغتسل يوم فتح مكة فى بيتها، و صلى ثمان ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف

منها، غير أنه يتم ركوعها و سجودها «۳».

و أطلقوا على صلاته هذه اسم «صلاة الفتح». و كان الأمراء يصلونها إذا فتحوا بلدا. و لا يفصل بينهما. و تصلى بغير إمام.

قال السهيلي: و لا يجهر فيها بالقراءة «۴».

و سموها أيضا صلاة الضحى، و صلاة الإشراق، و قد اختلفوا فى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

(۲) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۱ و ۲۳۲ عن البخارى، و البيهقى، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ عن المواهب اللدنية، و البخارى.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۵

أمرها بين منكر و مثبت. فراجع «۱».

و عن معاوية بن وهب، قال: لما كان يوم فتح مكة ضربت على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خيمة سوداء من شعر بالأبطح، ثم أفاض عليه الماء من جفنة يرى فيها أثر العجين، ثم تحرى القبلة ضحى، فركع ثمان ركعات، لم يركعهما رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قبل ذلك و لا بعد «۲».

و أما الحديث عن أنها «رحمها اللّه» قد ذهبت إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل و فاطمة «عليها السلام» تستره «۳». و يؤيده ما روى عنها: من أن أبا ذر ستره لما اغتسل «۴». فيحمل على أن ذلك قد تكرر منه. و يحتمل أن يكون نزل فى بيتها بأعلى مكة، و كانت هى فى بيت آخر فى مكة، فجاءت إليه فوجدته يغتسل الخ .. «۵».

و نقول:

إننا نعلق على ما تقدم بما يلى:

الأمان .. و الجوار:

تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد اعلن بالأمان لأهل مكة، و عين مواضع يلجأ إليها المستأمنون، مثل: المسجد، و دار أبى سفيان، و راية

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۳ فإنه ذكر شطرا من اختلافاتهم فى هذا الأمر.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۵ عن الكافى ج ۱ ص ۱۲۵ و ۱۲۶.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۸ عن مسلم.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۸ عن ابن خزيمة

(۵) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۶

أبى رويحة، و إلقاء السلاح، و دخول الإنسان داره و إغلاق بابه، و ما إلى ذلك ..

و لكننا نقرأ هنا: أن عليا «عليه السلام» يلاحق هذين الرجلين إلى دار أخته أم هانى ليقتلهما.

و نقرأ أيضا: أن أم هانى قد أجارتهما، و لكن عليا «عليه السلام» لم يقتنع منها بذلك، حتى قبل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه جوارها ..

فالإعلان السابق لا يشير إلى وجود حرب و قتال، بل هناك أمان و سلام.

و حادثة على «عليه السلام» و أم هانئ تدل على: أن حالة الحرب كانت قائمة، و أن الحاكم هو أعرافها و قوانينها .. فكيف نوفق بين هاتين الحالتين المتخالفتين؟!

و يمكن أن نجيب بما يلى:

أولا: لماذا لم يلجأ هذان الرجلان إلى أى من تلك المواضع التى حددها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لطالبى الأمان؟!

ألا يدل ذلك: على أنهما كانا فى حالة قتالية، احتاجا إلى الخروج منها إلى جوار أم هانى؟!

ثانيا: إننا نعرف مدى طاعة على «عليه السلام» لأوامر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و مدى دقته فى تنفيذها مما جرى فى خيبر، حيث قال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: اذهب و لا تلتفت.

فسار «عليه السلام» قليلا ثم وقف و لم يلتفت، و سأل النبى «صلى اللّه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۷

عليه و آله»: علام أقاتلهم؟! الخ .. «۱».

فملاحقته لهذين الرجلين يدل على: أنهما كانا محاربين، و يدل على ذلك أيضا ثناء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على على «عليه السلام»: «قد شكر اللّه سعيه، و أجرت من أجارت أم هانى لمكانها من على» «۲».

و عند الحلبى: «قد آمنا من آمنت، و أجرنا من أجرت، فلا نقتلهما» «۳».

ثم هو يقول: «فلا نقتلهما». و هو تعبير يشير إلى أن التصميم على قتلهما كان من قبل النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه.

من الذين آوتهم أم هانى؟!:

ذكرت بعض الروايات: أن الرجلين اللذين آوتهما أم هانى هما الحارث بن هشام، و زهير بن أبى أمية.

و بعضها ذكرت: الحارث و عبد اللّه بن ربيعة.

و ذكرت ثالثة: الحارث، و قيس بن السائب.

---

(۱) صحيح البخارى (ط محمد على صبيح بمصر) ج ۵ ص ۱۷۱ و صحيح مسلم ج ۷ ص ۲۱ و مسند أحمد ج ۵ ص ۳۳۳ و الخصائص للنسائى ص ۶ و حلية الأولياء ج ۱ ص ۶۲ و السنن الكبرى ج ۹ ص ۱۰۷ و تذكرة الخواص ص ۲۴ و أسد الغابة ج ۴ ص ۲۸ و مشكاة المصابيح (ط دهلى) ص ۵۶۴ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۱۸۴ فما بعدها و ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسى) ص ۷۴ و راجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ۲ ص ۱۸۴ و ۱۸۸.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۱ و ۱۳۲ عن إعلام الورى.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۸

و الظاهر: أنها «رحمها اللّه» آوت الجميع، و ربما كان معهم غيرهم أيضا و ذلك لرواية الطبرسى المتقدمة، التى تقول: «آوت ناسا من بنى مخزوم، منهم الحارث الخ ..».

لقاء على عليه السّلام بأم هانى:

و اللافت هنا: أن عليا «عليه السلام» يأتى إلى دار أخته مقنعا بالحديد، و لا يعرّف أخته بنفسه فى بادئ الأمر، و لكنه لا يقتحم الدار، و لعله لأنه لا يريد أن يروع أخته، بل ينادى من خارج الدار: أخرجوا من آويتم!!

فخرجت إليه أخته، فلم يبادر إلى تعريفها بنفسه، بل تركها تعرّف هى بنفسها، بأنها بنت عم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و أخت على «عليه السلام»، ثم تأمره بالانصراف عن دارها ..

و لكن عليا «عليه السلام» لا يزال مصرا على موقفه، و يعيد النداء:

أخرجوهم.

فلم تضعف، و لم تتراجع، بل قالت له: و اللّه، لأشكونك إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و فى هذه اللحظة ينزع على «عليه السلام» المغفرة عن رأسه، فعرفته أخته، فجاءته تشتد حتى التزمته.

فنلاحظ: أن عليا «عليه السلام» قد أجرى الأمور على طبيعتها، و فى أية حالة أخرى، و فى أى بيت أو شخص آخر، و هو «عليه السلام» رغم أنه كان يواجه أخته لم يتراجع عن أداء واجبه الشرعى مراعاة لها، أو انسياقا مع عاطفته تجاهها، كما أنه أراد لها أن تبر بقسمها الذى أطلقته.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۴۹

و هى ترى أنها محقة فى إعطائها الأمان لأولئك المشركين فلم يمنعها من ممارسة حقها فى الدفاع عنهما، بل كان هو الذى دلها على مكان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالتحديد، و طلب منها أن تذهب إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و تشكوه عنده، ليأتى القرار بالعفو من مصدره الأساس، و هو رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». و بذلك يسقط التكليف عن أمير المؤمنين بصورة تلقائية ..

خوف الجبناء:

لقد أظهرت بعض الروايات المتقدمة: مدى خوف أولئك الظالمين من سيف عدل على «عليه السلام»، رغم أن عددهم كان وافرا، حتى جعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى خوفا من رجل واحد، و لم يجرؤوا على الخروج إلى ساحة المواجهة؟

فبماذا قوى على «عليه السلام» عليهم؟! أليس بإيمانه الراسخ باللّه، و اعتزازه و ثقته بربه و دينه؟! و عزوفه عن زخارف هذه الدنيا؟! و طلبه لما عند اللّه الذى هو خير و أبقى؟!

لم تصرح أم هانى بما تطلب:

و فى رواية الطبرسى: أن أم هانى لم تصرح لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بما تشكوه من على «عليه السلام»، بل هى بمجرد أن ذكرت له: أنها لقيت من على «عليه السلام» أمرا شديدا عليها، قال لها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «قد أجرت من أجرت».

ألا يشير إلى أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان عارفا بتفاصيل ما يجرى، من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۰

دون حاجة إلى إخبار أحد؟! كما أن فيه إشارة لأم هانى بأن تثق بالغيب، و تيقن بأنه «صلى اللّه عليه و آله» يستمد معرفته من الوحى الإلهى، الذى يسدده و يرعاه ..

موقف الزهراء عليها السّلام من أم هانى:

و لم تكن الزهراء «عليها السلام» بصدد تأنيب أم هانى لشكواها عليا «عليه السلام»، و إنما أرادت أن تطمئن إلى سلامة أهداف أم هانى من هذه الشكوى، و أنها لم تكن بصدد الدفاع عن أعداء اللّه، و لا لأنه أخاف أعداء اللّه، بل هى تسعى كما يسعى أخوها على «عليه السلام» إلى دفع شر أولئك الأشرار بأقل قدر ممكن من الخسائر.

و إنما قلنا ذلك: لأننا نعلم أن أم هانى المؤمنة باللّه، و التى تلجأ إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لا يمكن أن تشتكى ناصر رسول اللّه و من يخيف أعداءه و أعداء اللّه.

و قد كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أوضح لها: أن عليا «عليه السلام» يسعى إلى رضا اللّه تعالى، فكان أن تصرفت بنحو لم يغضب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بل هى قد فعلت ما هو حقها، و المتوقع منها ..

أم هانى لا تجير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و النقطة التى تحتاج إلى بيان هى: أن أم هانى لم تجر أولئك المشركين لتحميهم من قرار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و حكمه فيهم.

بل أجارتهم لتحميهم من سائر المقاتلين حتى يصلوا سالمين إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ثم يكون هو الذى يحكم فيهم بما يرضى اللّه سبحانه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۱

و الشاهد على ما نقول: شكواها لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه.

و لكنّ أبا سفيان حين ذهب إلى المدينة يطلب تأكيد عهد الحديبية بعد نقضه طلب من الزهراء «عليها السلام» أن تجير بين الناس، لأنه أراد ذلك منها ليحمى به أولئك القتلة للنساء، و الصبيان، و الضعفاء من حكم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فيهم.

فهو جوار ضد حكم و قرار رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى الظالمين و الناكثين .. و ليس لحمايتهم من الناس إلى أن يصلوا إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليكون هو الحاكم فيهم.

ما مثلك يجهل الإسلام:

و ذكروا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد قال للحارث بن هشام: «ما مثلك يجهل الإسلام».

و يبدو أنهم أرادوا بهذا الكلام التنويه برجاحة عقل الحارث، و سلامة تفكيره، و سداد رأيه، باعتبار ثناء حظى به على لسان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من بين الكثير من أقرانه.

غير أننا نرى: أن هذا الكلام لا يقصد منه الثناء عليه بقدر ما يقصد به تقريعه، و تأنيبه على اتباعه لأهوائه، و على ضعفه أمام شهواته و انقياده لميوله و رغباته، و ترك ما يحكم به عقله، و ما ترشده إليه فطرته، و تقوده إليه الدلائل الظاهرة، و الحجج القاهرة ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۲

خوف المشركين من عمر:

و قد تحدث الحارث بن هشام: بأنه بعد أن أجاز النبى «صلى اللّه عليه و آله» جوار أم هانى، خرج أولئك النفر إلى منازلهم، و جلسوا بأفنيتها، لا يعرض لهم أحد، لكنهم كانوا يخافون من عمر .. ثم مر بهم عمر فى نفر من المسلمين، فسلم و مضى ..

و نقول:

إن هـذا الثناء التبرعى على عمر قد يفهم هنا على أنه ذم له، من حيث دلالته على أن عمر يتطفل على الناس، و يبادر إلى أذيتهم، حتى مع علمه بـأن رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» قـد أجـاز جوار بعض الناس فيهم، فهو إذن إنسان متهور، لا يبالى بما يصـدر عنه، و لا يراعى أبسط قواعـد التعامل الصـحيح و الموزون حتى مع رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» .. أو أن ذلك كان على الأقل هو الانطباع الشائع فيهم عن عمر بن الخطاب.

رنة إبليس .. و حديث نائلة و ..:

عن ابن عباس قال: لما فتح رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» مكة رنّ «۱» إبليس رنـة، فاجتمعت إليه ذريته، فقال: إيأسوا أن تردّوا أمة محمد إلى الشرك بعد يومكم هذا، و لكن أفشوا فيها- يعنى مكة- النوح و الشعر «۲».

و قيل: إنه رن ثلاث رنات: رنة حين لعن، فتغيرت صورته عن صورة

---

(۱) رنّ: صوّت و صاح.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ عن أبى يعلى، و أبى نعيم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۳

الملائكة، و رنة حين رأى رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» يصلى قائما بمكة، و رنة حين افتتح «صلى اللّه عليه و آله» مكة، فاجتمعت ذريته فقال: إيأسوا أن تردوا أمة محمد إلى الشرك الخ .. «۱».

و عن مكحول: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما دخل مكة تلقته الجن يرمونه بالشرر، فقال جبريل «عليه السلام»: تعوّذ يا محمد بهؤلاء الكلمات:

«أعوذ بكلمات اللّه التامات التى لا يجاوزهن بر و لا فاجر، من شـر ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها، و من شر ما بث فى الأرض، و ما يخرج منها، و من شر الليل و النهار، و من شر كل طارق يطرق إلا بخير، يا رحمن» «۲».

و عن ابن أبزى قال: لما فتح رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» مكة جاءت عجوز حبشية شمطاء، تخمش وجهها، و تدعو بالويل، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «تلك نائلة، أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبدا» «۳».

و نقول:

ألف: أما بالنسبة للحديث عن رنة إبليس، فقد ورد فى ذيله: أن إبليس قال لذريته: إيأسوا من أن تردوا أمة محمد إلى الشرك، و لكن أفشوا فيها- يعنى مكة- النوح و الشعر.

و نحن نشك فى صحة ذلك، إذ ليس فى النوح و الشعر ما يصلح لأن

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۱ و ۸۴۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ عن ابن أبى شيبة.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ عن البيهقى فى دلائل النبوة ج ۵ ص ۷۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۴

يكون بـديلا- حسب منطق إبليس لعنه اللّه- عن الشـرك باللّه، مهما بالغنا فى الحديث عما يوجبه الشـعر من الفساد و الإفساد، فلذلك نقول:

إن الصـحيح هو ما روى عن الإمام الباقر «عليه السـلام»: إن إبليس رن أربع رنات: يوم لعن، و يوم أهبط إلى الأرض، و يوم بعث النبى

«صلى اللّه عليه و آله»، و يوم الغدير «۱».

و هذا الحديث هو الأولى بالصحة، و الأقرب إلى الاعتبار، فإن يوم الغدير قد جعل إبليس ييأس من طمس الحق، لأن ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» هى سبب بقاء هذا الدين، و بها تمت النعمة على الخلق، حسبما نصت عليه الآيات الكريمة، فراجع كتابنا: «الغدير .. و المعارضون» ففيه بعض ما يفيد فى هذا الموضوع.

ب: بالنسبة لحديث رمى الجن للنبى «صلى اللّه عليه و آله» بالنار حين دخول مكة، فنزل جبرئيل و علّم النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يتعوذ بكلمات اللّه التامات، نقول:

روى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يعوّذ الحسنين، فيقول: أعيذكما بكلمات اللّه التامات، من كل شيطان و هامة، و من كل عين لامة.

و كان إبراهيم يعوذ بها إسماعيل و إسحاق «عليهم السلام» «۲».

على أن هذه الرواية إنما رويت عن مكحول، الذى لم يكن فى زمان

---

(۱) البحار ج ۳۷ ص ۱۲۱ عن قرب الإسناد ص ۷.

(۲) البحار ج ۴۳ ص ۲۸۲ عن حلية الأولياء، و سنن ابن ماجة، و السمعانى فى الفضائل.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۵

رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلما ذا لم يروها صحابة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أنفسهم؟

فلعلهم كانوا قد شاهدوا ذلك بأنفسهم، لكى يصفوا لنا الجن، و أشكالهم، و سماتهم!! و لنعرف إن كان الشرر قد أصاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أم لم يصبه؟!

و بعد .. فيا ليتهم ذكروا لنا كيف انصرف الجن عنه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و هل تصدى أحد من المسلمين لهم حتى أجبرهم على الإنصراف؟! أم أن تلك العوذة التى جاءه بها جبرئيل «عليه السلام» هى التى أوجبت انصرافهم؟!

ج: و أما حديث مجيء نائلة فى صورة عجوز شمطاء (عريانة)، فقد ذكروا نفس هذا الحديث بالنسبة للعزى أيضا.

و ذكروا: أن خالدا ضربها بسيفه فقطعها نصفين فماتت.

و يذكرون مثل ذلك أيضا: عن مناة، و أن سعيد بن زيد قتلها أيضا ..

و قد ناقشنا هذه القضية فى قصة قتل العزى، و طرحنا العديد من الأسئلة التى لن تجد لها جوابا مقنعا و مقبولا ..

على أننا نستغرب: أن لا يكون حديث نائلة قد تداولته الرواة، و نقله لنا العشرات ممن حضروا و شاهدوها، و هى عارية. و هو أمر لافت للأنظار، مثير للفضول .. و كان من المناسب أيضا أن يذكروا لنا بعض صفاتها، و تركيبتها الجسدية، فإن للجن أحوالا تختلف عن أحوال الإنس لا محالة ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۷

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۵۹

إسلام أبى قحافة:

عن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت: لما كان عام الفتح، و نزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذى طوى، قال أبو قحافة لابنة له- قال البلاذرى: اسمها أسماء، و قال محمد بن عمر تسمى: قريبة- كانت من أصغر ولده: يا بنية، أشرفى بى على أبى قبيس- و قد كف بصره- فأشرفت به عليه.

فقال: أى بنية!! ماذا ترين؟

قالت: أرى سوادا مجتمعا كثيرا، و أرى رجلا يشتد بين ذلك السواد مقبلا و مدبرا.

فقال: ذلك الرجل الوازع «۱»، ثم قال: ما ذا ترين؟

قالت: أرى السواد قد انتشر و تفرق.

فقال: و اللّه إذن انتشرت الخيل، فاسرعى بى إلى بيتى.

فخرجت سريعا حتى إذا هبطت به الأبطح لقيتها الخيل، و فى عنقها طوق لها من ورق، فاقتلعه إنسان من عنقها.

---

(۱) الوازع: الموكّل بإصلاح الصفوف فى الحرب.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۰

فلما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المسجد، خرج أبو بكر بأبيه يقوده، و كان رأس أبى قحافة ثغامة «۱»، فلما رآه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه»؟

فقال أبو بكر: يا رسول اللّه، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه.

فأجلسه بين يدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فمسح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» صدره، و قال: أسلم تسلم، فأسلم.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشدكم باللّه و الإسلام طوق أختى، فو اللّه ما جاء به أحد. ثم قال الثالثة فما جاء به أحد.

فقال: يا أخية، احتسبى طوقك، فو اللّه إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل «۲».

و قال البلاذرى: و رمى بعض المسلمين أبا قحافة فشجه، و أخذت قلادة أسماء ابنته، فأدركه أبو بكر و هو يستدمى، فمسح الدم عن وجهه «۳».

و روى البيهقى بسند جيد قوى، عن ابن وهب قال: أخبرنى ابن جريج، عن أبى الزبير، عن جابر: أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبى قحافة،

---

(۱) الثغام: شجر أبيض الزهر واحدته: ثغامة. يقال: صار الرأس ثاغما. أى أبيض.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۲ و ۲۳۳ عن الواقدى، و أحمد و الطبرانى، و البيهقى، و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۹۵ و الرياض النضرة ج ۱ ص ۶۵ و ۶۶ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۸ و ۸۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۲۴ و ۸۲۵ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۲ و ۹۵ و تاريخ مدينة دمشق ج ۳۰ ص ۲۳ و مسند أحمد ج ۶ ص ۳۴۹.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۱

فأتى به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلما وقف به على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: غيروه، و لا تقربوه سوادا «۱».

و روى مسلم عن جابر نحوه، لكنه لم يذكر من الذى جاء بأبى قحافة «۲».

قال ابن وهب: و أخبرنى عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هنأ أبا بكر بإسلام أبيه «۳».

و عن أنس قال: كأنى أنظر إلى لحيـة أبى قحافـة كأنه ضـرام عرفـج «۴» من شـدة حمرته، فقـال رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله»: «لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه»- تكرمة لأبى بكر- «۵».

و عن أنس أيضا قال: جاء أبو بكر بأبيه أبى قحافة إلى رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» يوم فتـح مكـة يحمله حتى وضـعه بين يديه، فقال لأبى بكر:

«لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه»- تكرمة لأبى بكر-.

---

(۱) سـبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و دلائـل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۹۶ و المسـتدرك على الصحيحين ج ۳ ص ۲۴۴ و تلخيص المستدرك للذهبى (مطبوع معه) نفس الجزء و الصفحة. و مسند أحمد ج ۶ ص ۳۴۹ و الرياض النضرة ج ۱ ص ۶۵ و ۶۶.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ عن مسلم، و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۹۵.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۴۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۸.

(۴) العرفج: شجر صغير سريع الإشتعال بالنار. و هو نبات الصيف.

(۵) المستدرك على الصحيحين ج ۳ ص ۲۴۵ و تلخيص المستدرك للذهبى بهامشه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۲

فأسلم و رأسه و لحيته كالثغامة، فقال: غيروهما.

قال قتادة: هو أول مخضوب فى الإسلام «۱».

و الثغامة: نبت أبيض الثمر و الزهر، يشبه بياض الشيب.

و فى نص آخر: غيروا السواد، و لا تتشبهوا باليهود و النصارى.

و فى رواية: اليهود و النصارى لا يصبغون، فخالفوهم «۲».

و عند ذلك قال أبو بكر للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: و الذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب أقر لعينى من إسلامه، و ذلك أن إسلام أبى قحافة كان أقر لعينك «۳».

عن محمـد بن عمر بن سالم، بن الجعابى، عن أبى شـعيب عبـد اللّه بن الحسن الحرانى، عن جده أحمد بن أبى شـعيب، عن محمد بن سلمة، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لأبى بكر: لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه.

و روى الحاكم أيضا: عن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن أبى بكر: أنه

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۳ عن أحمد، و ابن حبان.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۸ و فيه أحاديث أخرى عن الخضاب.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۸ و راجع: الإصابة ج ۴ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۴ ص ۶۹ و حياة الصحابة ج ۲ ص ۳۴۴ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۴ عن الطبرانى، و البزار، و مسند أحمد ج ۱ ص ۱۳۱ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۴ ص ۱۴۲ و ۹۵ و نصب الراية ج ۶ ص ۲۸۱ و ۲۸۲ و المصنف للصنعانى ج ۶ ص ۳۹ و الحاكم و صححه على شرط الشيخين، و عن أبى يعلى، و أبى بشر سفويه فى فوائده، و عمر بن شبّة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۳

«صلى اللّه عليه و آله» قال له: هلا تركت الشيخ حتى آتيه.

فقلت: بل هو أحق أن يأتيك.

فقال: إنا لنحفظه لأيادى ابنه عندنا «۱».

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هى:

الحديثان الأخيران:

إننا نبدأ بالحديثين الأخيرين، حيث نلاحظ ما يلى:

أولا: قال الذهبى معقبا على رواية أبى بكر: «القاسم لم يدرك أباه، و لا أبوه أبا بكر» «۲».

و هذا صحيح، فإن محمدا ولد عام حجة الوداع سنة عشر من الهجرة، و توفى أبوه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

كما أن محمد بن أبى بكر توفى سنة ۳۸ ه، و توفى ولده القاسم سنة ۱۰۸ ه أو ۱۰۹ ه «۳» و هو ابن سبعين سنة، أو اثنتين و سبعين، فيكون قد ولد سنة وفاة أبيه، أو نحوها.

و قال ابن سعد: إن القاسم قد توفى سنة ۱۱۲ ه و عمره سبعون سنة،

---

(۱) المستدرك على الصحيحين ج ۳ ص ۲۴۴ و تلخيص المستدرك للذهبى بهامش نفس الجزء و الصفحة و مجمع الزوائد ج ۹ ص ۵۰ عن البزار.

(۲) تلخيص المستدرك ج ۳ ص ۲۴۴.

(۳) صفة الصفوة ج ۲ ص ۹۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۴

فيكون عمره حين وفاة والده حوالى أربع سنين «۱».

ثانيا: إن الجعابى لا يمكن أن يروى عن أبى شعيب، لأن الجعابى ولد سنة ۲۸۵ ه و توفى أبو شعيب سنة ۲۹۲ ه.

و الغريب فى الأمر هنا: سكوت الذهبى عن هذا الحديث، بل هو قد وافق الحاكم على تصحيحه، لكن الحاكم قال: إنه صحيح على شرط الشيخين.

أما الذهبى فصححه على شرط البخارى «۲».

ثالثا: بالنسبة لأيادى أبى بكر عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نقول:

قد تقدم بعض الحديث عن ذلك، حين الكلام حول هجرة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و عن شرائه الراحلتين من أبى بكر بالثمن، فراجع فصل: هجرة النبى «صلى اللّه عليه و آله».

رابعا: إن من المعيب جدا أن يزعم هؤلاء: أن آية: وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى «۳» قد نزلت فى أبى بكر «۴». ثم يقولون: إنه قد كانت لأبى بكر أياد عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يستطع أن يجازيه عليها.

---

(۱) الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۷۴.

(۲) راجع: المستدرك للحاكم و تلخيصه للذهبى ج ۳ ص ۲۴۴.

(۳) الآية ۱۹ من سورة الليل.

(۴) راجع: الدر المنثور ج ۶ ص ۳۵۸- ۳۶۰ و السيرة الحلبية ج ۱ ص ۲۹۹ و العثمانية ص ۳۵ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۳ ص ۲۷۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۵

أبو بكر يريد طوق أخته:

و أما ما ذكرته الرواية: من أن أبا بكر طلب من الناس أن يرجعوا لأخته طوقها .. و أنه ناشدهم اللّه ثلاثا، فلم يجبه أحد، ثم قال: إن الأمانة فى الناس اليوم قليل .. ففيه أكثر من مورد يحتاج إلى بحث.

فأولا: إن أموال المشركين ليست من قبيل الأمانات عند المسلمين، بحيث يجب عليهم ردّها لأصحابها، بل هى غنائم إن أخذت من محارب منهم. و إن أخذت من قبل أن يعلموا بمقتضى الأمان الذى أعطاهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» إياه، أى قبل دخولهم فى البيوت و إغلاق الأبواب، و قيل: دخول المسجد، أو دار أبى سفيان، أو اللجوء إلى راية أبى رويحة.

و أقصى ما يمكن أن يقال: هو أن أمرها فى كيفية تقسيمها، و فى إرجاعها إلى أصحابها، إن اقتضت المصلحة ذلك، أو تسويغها لآخذيها ..

يرجع إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا يحق لأبى بكر و لا لغيره أن يطالب من أخذها بها ..

ثانيا: هل يمكن أن يرضى القائلون بعدالة الصحابة باتهام أبى بكر لأحد أصحاب رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالخيانة، أو بقلة الأمانة؟!

ثالثا: من أين حصل أبو قحافة على الورق (أى الفضة)، ليصنع منه طوقا لابنته، و هو رجل فقير لا مال له؟! و من أين يكون له المال، و هو إنما كان صيادا ثم صار ينش الذباب عن مائدة ابن جدعان بشبع بطنه، و ستر عورته «۱».

---

(۱) تلخيص الشافى ج ۳ ص ۲۳۸، و دلائل الصدق ج ۲ ص ۱۳۰، و الإفصاح ص ۱۳۵ و راجع الغدير ج ۸ ص ۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۶

و لم نسمع أن حاله قد تغير إلى الأفضل، و بماذا و كيف؟!

و حتى لو كان يملك أموالا، فهل يمكن أن يلبس ابنته الصغيرة طوق فضة، ثم يتركها تتجول فى أزقة مكة، و لا يسلبها سالب من كل أولئك الناس المعدمين الذين كانت مكة تعج بهم؟! مع العلم بأنه لم يكن لأبى قحافة قبيلة تمنعه، و لم يكن قادرا على ملاحقة المعتدى بسبب عماه.

رابعا: إنه لم يثبت وجود بنت صغيرة لأبى قحافة فى فتح مكة، بل لا يعرف لأبى قحافة بنت إلا أم فروة، التى كانت تحت تميم الدارى، ثم أنكحها أبو بكر الأشعث بن قيس.

و قد زعم الحلبى الشافعى: أن أم فروة هى صاحبة الطوق المأخوذ فى فتح مكة «۱»، ثم احتمل أن يكون المقصود: بنتا أخرى اسمها عريبة، زعموا أنها كانت لأبى قحافة «۲».

أربعة أسلمواهم و آباؤهم:

و قال بعضهم: لم يكن أحد من الصحابة، المهاجرين و الأنصار، أسلم هو و والده، و جميع أبنائه و بناته غير أبى بكر «۳».

و قال بعضهم: «لا يعرف فى الصحابة أربعة أسلموا، و صحبوا النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و كل واحد أبو الذى بعده إلا فى بيت أبى بكر: أبو قحافة، و ابنه أبو بكر، و ابنه عبد الرحمن، و ابن عبد الرحمن محمد، و يكنّى

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۹.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۹.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۷

بأبى عتيق» «۱».

و فى نص آخر: أربعة رأوا النبى «صلى اللّه عليه و آله»، كلهم ابن الذى قبله، و هم من الذكور الذين أسلموا «۲».

و نقول:

إن هذا الكلام غير دقيق، فهناك: «حارثة أبو زيد، فإنه أسلم- كما ذكره الحافظ المنذرى- و رأى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و ابنه زيد، و ابنه أسامة، و جاء أسامة بولد فى حياته «صلى اللّه عليه و آله» (أى يحتاج إلى إثبات كونه «صلى اللّه عليه و آله» رأى ذلك المولود).

إلا أن يقال: كان من شأنهم إذا ولد لأحدهم مولود جاء به إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فيحنكه، و يسميه» «۳».

و كذلك الحال بالنسبة لأياس بن عمرو، بن سلمة، بن لال.

و زعم الحلبى: أنه لا اتفاق على صحبة هؤلاء «۴». فراجع.

إسلام أبوى أبى بكر:

عن عائشة قالت: ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو أبى بكر «۵».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۹.

(۲) المصدر السابق.

(۳) المصدر السابق.

(۴) المصدر السابق.

(۵) تاريخ الخلفاء ص ۱۰۰ و تاريخ مدينة دمشق ج ۳۰ ص ۲۴ و تاريخ الإسلام للذهبى (عهد الخلفاء الراشدين) ص ۱۰۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۸

و عن على «عليه السلام»: أنه قال فى أبى بكر: أسلم أبواه جميعا، و لم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أن أسلم أبواه غيره «۱».

و نقول:

أولا: قال مسدد: لم يكن فى المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمار بن ياسر «۲».

ثانيا: ذكر التاريخ لنا عشرات من المهاجرين أسلم آباؤهم أيضا ..

و يكفى أن نذكر:

۱- عمار بن ياسر، فإنه أسلم هو و أبوه ياسر، و أمه سمية ..

۲- عبد اللّه بن عمرو و أمه زينب بنت مظعون، أسلم هو و أبواه.

۳- على «عليه السلام»، فإنه كان مسلما هو و أبوه أبو طالب، و أمه فاطمة بنت أسد.

۴- عبد اللّه بن الزبير، و أمه أسماء بنت أبى بكر ..

۵- سلمة بن أبى سلمة بن عبد الأسد، و أمه أم سلمة ..

إلى عشرات آخرين، ذكرهم العلامة الأمينى فى كتاب الغدير، فيمكن الرجوع إليه.

آيات فى بر أبى بكر بأبويه:

روى عن على «عليه السلام» و عن ابن عباس «رحمه اللّه» أن قوله تعالى:

---

(۱) الرياض النضرة ج ۱ ص ۶۸ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۶ ص ۱۹۴ و عن الواحدى، و نور الأبصار.

(۲) تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۶۹

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ «۱». قد نزل فى أبى بكر.

فقد كان حمله و فصاله ثلاثين شهرا، حملته أمه تسعة أشهر، و أرضعته واحدا و عشرين شهرا، أسلم أبواه جميعا، و لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره، فأوصاه اللّه تعالى بهما، و لزم ذلك من بعده.

فلما نبئ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و هو ابن أربعين سنة، صدّق أبو بكر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو ابن ثمان و ثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين سنة قال: «ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك الّتى أنعمت علىّ و على والدىّ» و استجاب اللّه له، فأسلم و والداه و أولاده كلهم «۲».

و نقول:

إن للعلامة الأمينى ملاحظات على هذا الحديث المزعوم نشير إليها و إلى غيرها فى ضمن النقاط التالية:

أولا: إن كون أم أبى بكر أرضعته واحدا و عشرين شهرا، و حملت به

---

(۱) الآية ۱۵ من سورة الأحقاف.

(۲) الجامع لأحكام القرآن ج ۱۶ ص ۱۹۳ و ۱۹۴ و الكشاف ج ۴ ص ۳۰۳ و فتح القدير ج ۵ ص ۲۰ و الرياض النضرة ج ۱ ص ۶۸ و تفسير الخازن ج ۴ ص ۱۳۲ و تفسير النسفى (مطبوع بهامش الخازن) ج ۴ ص ۱۳۲ و عن مرقاة الوصول ص ۱۲۱ و الدر المنثور ج ۶ ص ۴۰ و ۴۱ عن ابن عساكر، و عن ابن مردويه.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۰

تسعة أشهر .. لا يختص بأبى بكر، فإن سائر الناس تحمل أمهاتهم بهم تسعة أشهر، و لعل كثيرات منهن يرضعن أبناءهن واحدا و عشرين شهرا، فلا خصوصية تستحق التنويه بهذا الأمر، و لذلك نقول:

إن الأقرب فى معنى الآية هو: الإخبار عن أمر له آثار تشريعية، و من حيث هو خصوصيته فى التكوين، و هو ما أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»: من أن ضم هذه الآية إلى قوله تعالى: وَ فِصالُهُ فِى عامَيْنِ «۱».

أو قوله تعالى: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ «۲».

ينتج: أن أقل مدة الحمل ستة أشهر «۳».

ثانيا: إن أبا بكر أسلم فى سنة سبع من البعثة، أى بعد أن تجاوز سن الأربعين بعدة سنوات، حسبما قدمناه فى تاريخ إسلامه .. و أما أبوه فلم

(۱) الآية ۱۴ من سورة لقمان.

(۲) الآية ۲۳۳ من سورة البقرة.

(۳) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۴ ص ۱۵۷ و تيسير الوصول ج ۲ ص ۹ و ۱۱ و الموطأ ج ۲ ص ۱۷۶ و عمدة القارى ج ۲۱ ص ۱۸ و البرهان ج ۱۴ ص ۱۷۴. و راجع: المصنف للصنعانى ج ۷ ص ۳۵۰ و ۳۵۲ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۷ ص ۴۴۲ و تذكرة الخواص ص ۱۴۸ و الدر المنثور ج ۱ ص ۲۸۸ و ج ۶ ص ۴۰ و المناقب للخوارزمى ص ۹۴ و مختصر جامع بيان العلم ص ۲۶۵ و الرياض النضرة ج ۳ ص ۱۴۲ و كفاية الطالب ص ۲۲۶ و تفسير النيسابورى ج ۶ ص ۱۲۰ و ذخائر العقبى ص ۸۲ و التفسير الكبير للرازى ج ۲۸ ص ۱۵ و الأربعين للرازى ص ۴۶۶ و كنز العمال ج ۵ ص ۴۵۷ و ج ۶ ص ۲۰۵ و عن ابن أبى حاتم، و العقيلى، و ابن السمان، و عبد بن حميد، و جامع بيان العلم ص ۳۱۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۱

يسلم إلا بعد سنة الفتح .. أى بعد أكثر من عشرين سنة من البعثة النبوية الشريفة. و حيث كان لأبى بكر- كما يقال- ست و خمسون سنة أو أكثر ..

و أما أمه فأسلمت بعد البعثة أيضا بسنوات، فما معنى قولهم: إنه حين بلغ أبو بكر أربعين سنة قال: «ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك الّتى أنعمت علىّ و على والدىّ»؟!. مع أنه قد أسلم هو و أبواه بعد هذا السن بسنوات عديدة.!!

و ما معنى قولهم: إن اللّه تعالى قد استجاب لأبى بكر، فأسلم والداه، و أولاده كلهم؟!

ثالثا: قد تقدم عدم صحة ما صرحت به الرواية: من أنه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبى بكر ..

و نضيف إلى ما تقدم أيضا ما يلى:

۱- ما معنى قولهم: «فأوصاه اللّه بهما، و لزم ذلك من بعده»؟! فهل لم تكن الوصية بالوالدين موجودة قبل ذلك التاريخ؟! ..

۲- قالت عائشة ردا منها على مروان: ما أنزل اللّه فينا شيئا من القرآن غير أنه أنزل عذرى «۱».

فإن قيل: هى تقصد: أنه لم ينزل اللّه فى ذمهم شيئا من القرآن ..

فالجواب: إن عذرها الذى استثنته يراد به آيات حديث الإفك، و إنما

(۱) الدر المنثور ج ۶ ص ۴۱ عن البخارى، و صحيح البخارى (ط ۱۳۰۹ ه) ج ۳ ص ۱۲۱ و تفسير القرآن العظيم ج ۴ ص ۱۵۹ و فتح القدير ج ۴ ص ۲۱ و راجع:

الغدير ج ۸ ص ۲۴۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۲

يقصد بها: التبرئة و المدح و الثناء على من نزلت فيه لا الذم له ..

۳- هناك نصوص كثيرة تقول: إن هذه الآية قد نزلت فى الإمام الحسين «عليه السلام»، و قد ولد لستة أشهر «۱». فراجع.

أبو بكر يضرب أباه:

روى من طريق ابن جريج: أن أبا قحافة سب النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فصكه أبو بكر ابنه صكة، فسقط منها على وجهه.

ثم أتى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فذكر له ذلك، فقال: أو فعلته؟! لا تعد له.

فقال: و الذى بعثك بالحق نبيا، لو كان السيف منى قريبا لقتلته، فنزل قوله تعالى:

لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «۲».

---

(۱) تفسير البرهان ج ۴ ص ۱۷۲ و ۱۷۳ و ۱۷۴.

(۲) الآية ۲۲ من سورة المجادلة، و راجع الحديث فى: الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۶ عن المنذر، و الجامع لأحكام القرآن ج ۱۷ ص ۳۰۷ و تفسير الآلوسى ج ۲۸ ص ۳۶ و الكشاف ج ۴ ص ۴۹۷ و مرقاة الوصول ص ۱۲۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۳

و نقول:

أولا: روى: أن هذه الآية نزلت فى الجرّاح، الذى كان يتصدى لابنه أبى عبيدة يوم بدر، فكان أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله «۱».

ثانيا: قال سفيان عن هذه الآية: إنها نزلت فى من يخالط السلطان «۲».

ثالثا: إن قتل إنسان لا يتوقف على وجود سيف بالقرب منه، فيمكنه أن يقتله بغير السيف كالخنق، أو ضرب رأسه على صخرة، أو بإلقائه من شاهق. كما أن بإمكانه استحضار السيف، لو كان قاصدا لذلك الفعل.

رابعا: إن ما صدر من أبى بكر لا يتناسب مع ما ادّعاه: من أنه لو كان السيف قريبا منه لقتل أباه، فإن هذا الحرص على إلحاق الأذى لا يتناسب مع مجرد صكة أوجبت سقوط المصكوك على الأرض.

خامسا: يقول اللّه تبارك و تعالى: وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً «۳».

فما معنى أن يقدم أبو بكر على مخالفة هذه الأوامر الإلهية الصارمة؟!

سادسا: إن الآية المذكورة قد نزلت بعد بدر و أحد. و آية: .. رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً

---

(۱) الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۶ عن ابن أبى حاتم، و الطبرانى، و الحاكم، و أبى نعيم فى الحلية، و البيهقى فى سننه، و ابن عساكر.

(۲) الدر المنثور ج ۶ ص ۱۸۶ عن ابن مردويه.

(۳) الآية ۱۵ من سورة لقمان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۴

تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ «۱» قد نزلت فى أوائل بعثة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أى قبل أكثر من عشر سنوات «۲».

سابعا: إن سورة المجادلة مدنية، و لم يأت أبو قحافة إلى المدينة فى كل تلك السنوات.

ثامنا: إن ما ذكر فى هذه الرواية لا يتناسب مع ما زعموه: من بره بوالديه الذى بلغ إلى حد أن اللّه تعالى أنزل فيه آيات الثناء، و هى آيات سورة الأحقاف: وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ ...

أسلم تسلم:

و نكاد نلمس قدرا كبيرا من عدم الإنسجام بين ما زعمته الروايات:

من أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أظهر استعداده للذهاب إلى منزل أبى قحافة، الذى كان لا يزال على شركه، تكرمة لابنه، و لأيادى ابنه عنده، و بين قوله لأبى قحافة: «أسلم تسلم»، المتضمن للتهديد بالعقوبة على ما كان يقترفه من جرائم إذا استمر على شركه ..

أى أن هذه الكلمة تعنى: أن الأمان الذى أعلنه النبى «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مكة لا يشمل أبا قحافة لو أصر على ما هو عليه ..

و قد يفهم من هذا: أن أبا قحافة كان له دور سيئ فى مناهضة هذا الدين، و فى الكيد للإسلام و المسلمين.

---

(۱) الآية ۱۵ من سورة الأحقاف.

(۲) التفسير الكبير ج ۲۹ ص ۲۷۶ و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ۴ ص ۳۳۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۵

مفارقات لا علاج لها:

و يلاحظ هنا: وجود العديد من المفارقات فى إسلام أبى قحافة.

فرواية تزعم: أن عمر بن الخطاب هو الذى جاء بأبى قحافة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و أخرى تقول: إن أبا بكر هو الذى جاء بأبيه.

و فى حين نجد رواية تقول: إن أبا بكر لم يعلم بإسلام أبيه حتى بشره به رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱»

هناك روايات أخرى تتحدث: عن أن أبا بكر هو الذى جاء بإبيه، و أسلم أبوه بحضوره.

و رواية تقول: إنه جاء بأبيه يحمله حتى وضعه بين يدى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و أخرى تقول: أخذ بيد أبيه فأتى به.

الأمانة اليوم قليل:

ثم إن قول أبى بكر: «.. فو اللّه إن الإمانة فى الناس اليوم لقليل» لا يخلو عن مجازفة .. خصوصا مع إضافة كلمة «اليوم» التى قد تفهم على أن الأمانة كانت موجودة لدى المشركين، و أهل الجاهلية، و قد تناقصت و قلّت بمجيء الإسلام ..

على أن من الواضح: أن خيانة رجل للأمانة لا يعنى أن الباقين لا أمانة لهم ..

---

(۱) المحاسن و المساوئ ج ۱ ص ۵۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۶

بل ربما كانت الأمانة قليلة، ثم تنامت و زادت أضعافا كثيرة عما كانت عليه فى الجاهلية، و إن لم تبلغ حد الإستقطاب التام.

فما معنى: أن يحكم أبو بكر، بل هو يقسم للناس: بأن الأمانة قد قلّت فيهم، بمجرد أن سالب طوق أخته لم يبادر إلى الإقرار به؟!

يضاف إلى ذلك كله: أنه إذا كان فى الذين نفروا مع الرسول «صلى اللّه عليه و آله» إلى مكة المسلم و غير المسلم، و من هو حديث عهد بالإسلام، فلا يمكن أن نتوقع منهم الالتزام التام بحدود الشريعة، و بالأحكام العقلية و الأخلاقية، و ما تقضى به الفطرة.

إسلام أبى طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه:

و تعود نفس الترنيمة السابقة لتردد من جديد و تؤكد إصرار هؤلاء الناس على نسبة الشرك إلى أبى طالب رضوان اللّه عليه.

و قد ذكرنا فى الفصول المتقدمة فى الأجزاء الأولى من هذا الكتاب فصولا أثبتنا فيها إيمان أبى طالب بما لا مجال للريب فيه إلا لمكابر جاحد و شانئ ..

أبو قحافة أول مخضوب فى الإسلام:

و قد ذكرت بعض الروايات عن قتادة: أن أبا قحافة أول مخضوب فى الإسلام «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۲۳ عن أحمد، و ابن حبان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۷

و نقول:

۱- إن قتادة لم يكن فى زمن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لنكتفى بقوله فى تحديد الشخص الذى كان أول مخضوب فى الإسلام. على اعتبار أنه إنما يتحدث عما عاينه و شاهده.

۲- إننا نكاد نطمئن إلى أن الخضاب قد كان قبل فتح مكة بزمان .. فإنه كان فى زمان قلة المسلمين، و ضعفهم، فأريد من خلال أمر المسلمين به الإيحاء بالقوة للأعداء، و بعث الرهبة فى قلوبهم. و كان المسلمون فى فتح مكة أكثر من عشرة الآف مقاتل، فإن كان ثمة خضاب فهو فى عمرة القضاء أو قبلها ..

و يؤيد ذلك: الروايات التالية:

۱- ما ورد: من أن الخضاب تفرح به الملائكة، و يستبشر به المؤمن، و يغيظ به الكافر «۱».

۲- عن أبى عبد اللّه «عليه السلام»: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال عن الخضاب بالسواد: نور و إسلام، و إيمان، و محبة إلى نسائكم، و رهبة فى قلوب عدوكم «۲».

۳- عن أبى عبد اللّه «عليه السلام»: الخضاب بالسواد مهابة للعدو، و أنس للنساء «۳».

---

(۱) البحار ج ۷۳ ص ۹۷ و ۹۹ عن ثواب الأعمال ص ۲۱ و الخصال ج ۲ ص ۹۰ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغة) ص ۷۹.

(۲) البحار ج ۷۳ ص ۱۰۰ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغة) ص ۷۹.

(۳) البحار ج ۷۳ ص ۱۰۰ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغة) ص ۸۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۸

۴- عن الإمام السجاد «عليه السلام»: أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أصحابه فى غزوة غزاها أن يخضبوا بالسواد، ليقووا به على المشركين «۱».

۵- عن أبى الحسن «عليه السلام» قال: فى الخضاب ثلاث خصال:

مهيبة فى الحرب، و محبة إلى النساء، و يزيد فى الباه «۲».

۶- سئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن قول النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «غيروا الشيب و لا تتشبهوا باليهود»، فقال:

إنما قال «صلى اللّه عليه و آله» ذلك، و الدين قلّ. و أما الآن و قد اتسع نطاقه و ضرب بجرانه فامرؤ و ما اختار «۳».

و واضح: أن الدين كان قبل فتح مكة، أى فى عمرة القضاء و الحديبية و قبلهما، أضعف و أقل منه فى فتح مكة، فالأمر بالخضاب فى عمرة القضاء أولى.

---

(۱) البحار ج ۷۳ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغة) ص ۸۰.

(۲) البحار ج ۷۳ ص ۱۰۲ و مكارم الأخلاق (ط دار البلاغة) ص ۸۱.

(۳) نهج البلاغة (بتحقيق عبده) ج ۴ ص ۵ و الوسائل (ط أهل البيت) ج ۲ ص ۸۷ و البحار ج ۷۳ ص ۱۰۴ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۸ ص ۱۲۲ و مكارم الأخلاق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۷۹

الفصل السادس: طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله و تحطيم الأصنام

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۱

طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله بالبيت:

قالوا: دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة بغير إحرام، و عليه السلاح، و مكث فى منزله ساعة من النهار حتى اطمأن الناس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواء، فأدنيت إلى باب قبته، و عاد للبس السلاح و المغفر على رأسه، و قد حف الناس به، فركب راحلته و الخيل تمعج «۱» بين الخندمة إلى الحجون.

فلما انتهى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الكعبة، فرآها و معه المسلمون، تقدّم على راحلته، و استلم الركن بمحجنه «۲»، و كبّر، فكبّر المسلمون بتكبيره، فرجّعوا التكبير، حتى ارتجت مكة تكبيرا، حتى جعل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يشير إليهم أن اسكتوا، و المشركون فوق الجبال ينظرون.

و طاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالبيت، آخذا بزمام الناقة محمد بن مسلمة، فأقبل على الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت «۳».

---

(۱) معجت الخيل: كانت سريعة السير سهلة.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۳ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۲۴۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۸.

(۳) المحجن: العصا المنعطفة الرأس كالصولجان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۲

تحطيم الأصنام فى المسجد الحرام:

عن ابن عمر، و سعيد بن جبير، و ابن عباس: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دخل مكة يوم فتح مكة، و حول الكعبة ثلاثمائة و ستون صنما مرصعة بالرصاص «۱». (و فى الحلبية و غيرها: لكل حى من أحياء العرب صنم. قد شد إبليس (أو الشياطين) أقدامها بالرصاص (و النحاس) «۲».

فأخذ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كفا من حصى فرماها فى عام الفتح، و قال: جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً «۳» فما بقى صنم إلا خر لوجهه، فأمر بها، فأخرجت من المسجد، فطرحت فكسرت «۴».

و كان هبل أعظمها، و هو و جاه الكعبة، و إساف و نايلة حيث ينحرون و يذبحون الذبائح، و فى يد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»

قوس (عود) (مخصرة) و قد أخذ بسية القوس «۵»، فجعل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» كلما مر بصنم منها يشير إليه، و يطعن فى عينه (أو فى بطنه) و يقول: جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۷ عن إرشاد المفيد ص ۶۳ و عن الخرائج و الجرائح.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و ۸۶ و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ عن أبى نعيم.

(۳) الآية ۸۱ من سورة الإسراء.

(۴) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۷ عن إرشاد المفيد ص ۶۳ و عن الخرائج و الجرائح.

(۵) سية القوس: ما عطف من طرفيها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۳

فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه. و فى لفظ: لقفاه، من غير أن يمسه «۱».

و قال الكلبى: فجعل ينكب لوجهه إذا قال ذلك، و أهل مكة يقولون:

ما رأينا رجلا أسحر من محمد «۲».

و فى ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعى:

ففى الأصنام معتبر و علملمن يرجو الثواب أو العقابا قال أئمة المغازى: فطاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» سبعا على راحلته، يستلم الركن الأسود بمحجنه كل طواف، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته «۳».

و عند ابن أبى شيبة عن ابن عمر، قال: فما وجدنا مناخا فى المسجد حتى أنزل على أيدى الرجال، ثم خرج بها.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۴ عن أبى نعيم، و البيهقى، و ابن إسحاق، و ابن مندة، و الواقدى، و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۷۱ و عن البخارى فى المظالم، باب هل تكسر الدنان التى فيها الخمر، و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و ۸۶ و البحار ج ۲۱ ص ۹۲ و ۱۰۶ و ۱۱۶ عن مجمع البيان ج ۶ ص ۴۳۵ و عن أمالى ابن الشيخ ص ۲۱۴.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۹۲ و ۱۱۰ عن مجمع البيان ج ۶ ص ۴۳۵ و عن سعد السعود ص ۲۲۰.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ و البحار ج ۹۶ ص ۲۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۴

قالوا: و جاء معمر بن عبد اللّه بن نضلة، فأخرج الراحلة فأناخها بالوادى.

ثم انتهى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى المقام، و هو لاصق بالكعبة، و الدرع عليه، و المغفر، و عمامته بين كتفيه، فصلى ركعتين.

ثم انصرف إلى زمزم، فاطلع فيها، و قال: «لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (على سقايتهم) لنزعت منها دلوا».

فنزع له العباس بن عبد المطلب- و يقال الحرث بن عبد المطلب- دلوا، فشرب منه، و توضأ «۱»، و المسلمون يبتدرون وضوء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يصبونه على وجوههم، و المشركون ينظرون إليهم، و يتعجبون، و يقولون: ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به «۲».

زاد فى الحلبية قوله: «لا تسقط قطرة إلا و فى يد إنسان، إن كان قدر ما يشربها شربها، و إلا مسح بها جلده، و المشركون يقولون: ما

رأينا ملكا قط أبلغ من هذا و لا سمعنا به» «۳».

و أمر بهبل فكسر و هو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبى سفيان بن حرب: يا أبا سفيان، قد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم أحد فى غرور، حين تزعم أنه أنعم.

فقال أبو سفيان: دع عنك هذا يابن العوام، فقد أرى لو كان مع إله

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۲.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و ۸۸ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۵

محمد غيره لكان غير ما كان «۱».

ثم انصرف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فجلس ناحية من المسجد و الناس حوله «۲».

و عن أبى هريرة قال: كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الفتح قاعدا، و أبو بكر قائم على رأس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالسيف «۳».

إحالات على ما سبق:

اشارة

ثم إن النصوص المتقدمة قد تضمنت أمورا كنا قد تحدثنا عنها فيما سبق، فلا حاجة إلى إعادة البحث فيها، و التحليل لمضامينها، و هى التالية:

ألف: المسلمون يبتدرون وضوء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

تحدثنا مرات و مرات عن تبرك المسلمين برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و بفضل وضوئه، و تأثير ذلك على عتاة المشركين، فراجع غزوة الحديبية، و راجع أيضا ما جرى لأبى سفيان حين جاء إلى المدينة بعد نقضهم عهد الحديبية يطلب تجديد العهد، و الزيادة فى المدة، و مواضع كثيرة أخرى.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷ عن روضة الأحباب.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۲.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۵ عن البزار و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۱۷۶ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۶

ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا:

و أما قول المشركين، و هم يرون تبرك الصحابة بفضل وضوء نبيهم:

«ما رأينا و لا سمعنا ملكا قط بلغ هذا»، فقد تحدثنا حين ذكرنا مقالة أبى سفيان حين قدم المدينة، و قد رأى مثل ذلك، و ثم حين رأى ما يشبهه فى مرّ الظهران، فلا بأس بالرجوع إلى تلك الموارد و سواها.

ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم إننا قد تحدثنا فى بعض فصول هذا الكتاب، و بالتحديد فى غزوة الحديبية: عن أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يكن يرضى بأن يقوم الناس على رأسه بالسيف، و ذكرنا بعض الشواهد على ذلك فلا بأس بالرجوع إلى ذلك المورد للاطلاع على ما ذكرناه.

د: المشركون فوق الجبال ينظرون:

و أخيرا نقول:

قد سبق فى عمرة القضاء الإشارة إلى أن المشركين كانوا ينظرون من أعالى الجبال إلى المسلمين حين دخلوا مكة، فأمرهم «صلى اللّه عليه و آله» أن يظهروا لهم بعض القوة.

و قد تكرر نفس هذا المشهد فى فتح مكة حيث كان المشركون يراقبون من أعالى الجبال المحيطة بالكعبة حركة النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين فيها ..

و قد أظهر المسلمون التكبير حتى ارتجت مكة من ذلك، و هذا التكبير

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۷

يرعب أهل الشرك، و يمثل طعنة لهم فى أكثر المواضع حساسية و ألما لهم، لأنه يستهدف أساس الشرك، و حبة قلبه.

ثم شاهدوا طوافه «صلى اللّه عليه و آله» على راحلته، و استلامه الركن بالمحجن حسبما تقدم ..

و الأشد عليهم، و الأكثر ألما، و الأعظم أثرا: أنهم قد شاهدوا تحطيم أصنامهم على يد على «عليه السلام» الذى رأوه يصعد على كتفى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و من ثم على ظهر الكعبة ..

و هم يعرفون عليا «عليه السلام» حق المعرفة، فى مكة قبل الهجرة، و فى شعب أبى طالب، و سواه، و حين الهجرة فى مبيته على الفراش ليلة الغار، و بعد الهجرة فى ساحات الجهاد، فى بدر و أحد و الخندق، و ذات السلاسل، يضاف إلى ذلك جهاده لحلفائهم من اليهود فى خيبر و بنى النضير و قريظة و سواها، و هو يقتل شجعانهم، و فراعنتهم، و يبير كيدهم، و يبطل أحدوثتهم ..

تأسى عمر برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

قد تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد استلم الحجر الأسود، و لم يزل المسلمون يستلمونه تأسيا برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى يومنا هذا.

و لكن عمر بن الخطاب، و إن كان قد استلم الحجر أيضا، و لكنه قد اطلق فى هذا المورد كلاما خطيرا، لم تزل آثاره ظاهرة إلى يومنا هذا ..

فقد ذكروا: أنه حج فى أمرته، فلما افتتح الطواف و استلم الحجر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۸

الأسود و قبله، قال: قبلتك و إنى لأعلم أنّك حجر، لا تضر و لا تنفع، و لكن كان رسول اللّه بك حفيا، و لو لا أنى رأيته «صلى اللّه عليه و آله» يقبلك ما قبلتك!! (أو ما يقرب من هذه الكلمات).

و كان على أمير المؤمنين «عليه السلام» حاضرا، فقال له: بلى و اللّه، إنه ليضر و ينفع.

قال: و بم قلت ذلك يا أبا الحسن؟!

قال: بكتاب اللّه تعالى.

قال: أشهد أنك لذو علم بكتاب اللّه، فأين ذلك من الكتاب؟

قال: قول اللّه عز و جل: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا .. «۱».

ثم ذكر كيف أخذ اللّه تعالى على العباد ميثاقهم بالعبودية، و ألقمها الحجر الأسود .. إلى أن تقول الرواية:

فقال عمر: لا عشت فى أمة لست فيها يا با الحسن «۲».

و لكن اعتراض أمير المؤمنين «عليه السلام»، و اعترف عمر، لم ينه القضية، بل بقى العمريون يصرحون: بأنه حجر لا يضر و لا ينفع، و ينهون الناس عن استلامه «۳».

و الأحاديث حول أن اللّه تعالى أودع الحجر مواثيق الخلائق، و أنه

---

(۱) الآية ۱۷۲ من سورة الأعراف.

(۲) راجع: البحار ج ۹۶ ص ۲۱۶ و ۲۱۷ و راجع ص ۲۲۱ و ۲۲۷ و ۲۲۸ عن علل الشرايع ص ۴۹ و راجع ص ۴۲۶ و تفسير العياشى ج ۲ ص ۳۸.

(۳) راجع: البحار ج ۹۶ ص ۲۱۷ و ۲۱۸ عن علل الشرايع ص ۴۲۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۸۹

يشهد لمن وافاه بالموافاة كثيرة «۱».

و هذا الموقف من عمر قد أعطى الانطباع لدى الكثيرين من أتباعه و محبيه بأن القيمة الحقيقية للبناء، و الحجر و الشجر، و كل ما هو جسم مادية و ليست معنوية، فلا قداسة لها فى نفسها، و لا تكتسب قداسة من إضافاتها إلى ما هو مقدس، كما أنها لا تزيدها تلك الإضافات قداسة، و لا تعطيها قيمة معنوية زائدا على ما لها من قيمة ما دية.

و خلاصة الأمر: إن كلمة عمر الآنفة الذكر قد أفرغت تقبيله للحجر من أى مضمون معنوى، و رفد روحى، و توهج مشاعرى، و جعلته عملا خاويا، وجافا، لا يتضمن سوى المحاكاة الفارغة لفعل صدر عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و رغم أن إجابة على «عليه السلام» قد تضمنت العودة إلى أغوار المضمون الروحى، و أوغلت فى مداه العقائدى، و معناه الإيمانى، حين شرحت كيف أن اللّه سبحانه قد أودع الحجر الأسود مواثيق الخلائق منذ عالم الذر، فإن ذلك لم يمنع محبى الخليفة الثانى من الإصرار على المنحى الذى نحاه عمر بن الخطاب .. و سعوا إلى التنظير له بعد تعميمه و توسعته، حتى اعتبروا التبرك بالأماكن المقدسة، أو بأى شىء يرتبط برسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله و بآثاره، من الشرك، الذى يستحق فاعله العقوبة بأقصى مدى .. فما ظنك بالتبرك بآثار الأوصياء و الأولياء و الصالحين!!

و قد ضربوا بعرض الحائط مئات النصوص التى تحدثت عن توجيه

---

(۱) البحار ج ۹۶ ص ۲۱۵- ۲۲۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۰

النبى «صلى اللّه عليه و آله» نفسه للناس من الصحابة و التابعين إلى التبرك بآثار الأنبياء و المرسلين، و جميع عباد اللّه الصالحين، و مفردات ما جرى من ذلك عبر الأجيال ..

و قد جمع العلامة الأحمدى طائفة من هذه النصوص فى كتابه (التبرك) و جمع غيره أيضا الكثير منها فراجع.

استلام الركن بالمحجن:

و قد ذكرت الروايات المتقدمة: أنه «صلى اللّه عليه و آله» استلم الحجر، ثم طاف بالبيت.

و تقدم أيضا: أنه كان يستلم الركن بمحجنه.

فهل المراد بالركن هنا: الركن اليمانى؟ أم ركن الحجر الأسود؟!

لقد صرحت الرواية المتقدمة: بأن المراد به الركن الأسود.

و لكن قد يقال: لعل الركن الذى استلمه «صلى اللّه عليه و آله» بالمحجن هو اليمانى، الذى يستحب استلامه .. فإذا أطلق الكلام فى استحباب استلام الركن، فاليمانى هو المتبادر إلى الذهن.

و فى البحار و غيره أطلق القول: بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قد استلم الركن بالمحجن .. الأمر الذى يرجح احتمال إرادة اليمانى ..

و لكن الرواة أضافوا كلمة: «الأسود» إلى الرواية التى ذكرت آنفا اجتهادا منهم، أو لحاجة فى أنفسهم.

و لكن هذا يبقى مجرد احتمال.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۱

استلم الحجر ثم ركب راحلته:

كما أن ظاهر عبارة الرواية التى تقدمت: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد استلم الحجر قبل الطواف .. ثم طاف و هو راكب، و صار يستلم الركن بمحجنه ..

فإذا صح هذا، فيرد السؤال عن سر عودته إلى الركوب، و ترجيحه الطواف كذلك على الطواف ماشيا!

و قد يقال فى الجواب: إن المراد هو التشريع العملى للطواف فى حال الركوب، فإن الناس قد يصعب عليهم قبول بعض مفردات التشريع، و يرون أنها مظنة النقص، بل هى عندهم مظنة الخطر .. فإذا رأوا النبى «صلى اللّه عليه و آله» يمارسها بنفسه، فإن تأسيهم به يهوّن الأمر عليهم.

و ذلك نظير قصر الصلاة، و إفطار المريض، و الإفطار فى السفر، فإنك تجد تحرّجا من الناس فى الإقدام على ذلك، و يصعب عليهم فعله، و لأجل ذلك جاء التعبير بنفى «الجناح» فى قوله تعالى: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ .. «۱».

و لعل جميع الآيات التى عبرت ب «لا جناح»، واردة فى موارد توهم الحرمة فيها، أو التحرج من مباشرة الفعل الوارد بعدها «۲».

و يمكن أن يضاف إلى ذلك أيضا: أن ثمة تعمدا من رسول اللّه «صلى

---

(۱) الآية ۱۰۱ من سورة النساء.

(۲) راجع الآيات: ۱۵۸ و ۲۲۹ و ۲۳۰ و ۲۳۳ و ۲۳۴ و ۲۳۵ و ۲۳۶ و ۲۴۰ و ۲۸۲ من سورة البقرة، و ۲۳ و ۲۴ و ۱۰۲ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۲

اللّه عليه و آله» أن يراه مشركو مكة، الذين كانوا ينظرون إلى ما يجرى حتى من على الجبال المحيطة، و الحشود المجتمعة، و هو فى حالة متميزة، يمارس أمرا لعلهم لم يعهدوه من ذى قبل، و هو الطواف على الراحلة .. و هو أمر شرعه اللّه بالوحى الذى لا يزالون يجحدونه و ينكرونه، رغم ما يرونه من آيات باهرة و معجزات ظاهرة، و دلالات للعقل قاهرة.

محاولة اغتيال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

قال ابن هشام: حدثنى بعض أهل العلم: أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثى أراد قتل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و هو يطوف بالبيت عام الفتح؛ فلما دنا منه قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «أفضالة»؟

قال: نعم.

قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك»؟

قال: لا شيء، كنت أذكر اللّه، فضحك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ثم قال: «إستغفر اللّه». ثم وضع يده على صدره فسكن.

و كان فضالة يقول: و اللّه ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق شيء أحب إلى منه.

و رجع فضالة إلى أهله، قال: فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها.

فقالت: هلم إلى الحديث.

فقال: لا. و انبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لايأبى على اللّه و الإسلام

إذ ما رأيت محمدا و قبيلهبالفتح يوم تكسر الأصنام

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۳ لرأيت دين اللّه أضحى بيناو الشرك يغشى وجهه الإظلام «۱» و نقول:

ليس غريبا أن نرى بين الفينة و الفينة من يتآمر على حياة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، أو من يحدث نفسه بقتله صلوات اللّه و سلامه عليه و على آله الطاهرين ..

و قد ظهرت هذه المحاولات فى المشركين، و فى اليهود، و المنافقين، و فى جميع تلك المحاولات كانت تظهر لهم الرعاية الإلهية له «صلى اللّه عليه و آله».

و قد كان الشيطان ينسيهم ذلك، و يزين لهم تكرار المحاولة، قال تعالى:

أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ «۲».

و قال: وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ «۳».

و قد يترك الشيطان أولئك الناس إلى غيرهم، ليزين هذا الأمر لفريق أو لشقى جديد، فتواجهه أو تواجههم الخيبة، و يقيم اللّه عليه أو عليهم الحجة.

تبقى الإشارة هنا: إلى هؤلاء الذين تنتهى بهم شقوتهم و عنادهم للحق

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶، و قال: ذكره أبو عمر فى الدرر، و لم يذكر فى الإستيعاب، و هو على شرطه، و ذكره القاضى فى الشفاء بنحوه. و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۲ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷.

(۲) الآية ۸ من سورة فاطر.

(۳) الآية ۲۴ من سورة النمل، و الآية ۳۸ من سورة العنكبوت.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۴

و أهله إلى حد التفكير باغتيال سيد الرسل، مع ما يرونه من آيات باهرة، و معجزات قاهرة، فإنك تراهم يدّعون لأنفسهم أحوالا رائعة و مميزة، و درجات عالية من الإيمان و الإخلاص كما هو الحال بالنسبة لدعاوى فضالة الآنفة الذكر، و لكن النفس لا تسكن إلى صحة دعاواهم تلك، فلا بد أن يبقى الريب بهم، و الحذر منهم. فإن هذا هو القرار الحازم، حتى لو كان لابد من السكوت عن الجهر باتهامهم.

فهذا هو الخيار الحكيم، و الرأى الصحيح و السليم، و لا حول و لا قوة إلا باللّه العلى العظيم.

أين كان مقام إبراهيم عليه السّلام؟!:

و قد ادعت الروايات المتقدمة: أنه «صلى اللّه عليه و آله» بعد أن طاف صار إلى خلف مقام إبراهيم، و كان لاصقا بالكعبة، فصلى ركعتين. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۲ ۱۹۴ أين كان مقام إبراهيم عليه السلام؟!: ..... ص : ۱۹۴

و نقول:

إن دعوى لصوق المقام بالكعبة لا تصح، فإن المقام كان حينئذ بعيدا عن الكعبة، و النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أرجعه إلى موضعه الملاصق للكعبة.

و المقام هو حجر فيه آثار قدمى إبراهيم الخليل «عليه السلام»، حيث إن اللّه تعالى أمره أن يؤذّن فى الناس بالحج، فأخذ «عليه السلام» ذلك الحجر فوضعه بحذاء البيت، لاصقا به، بحيال الموضع الذى هو فيه اليوم.

ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره اللّه عز و جل به، فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر، فغرقت رجلا إبراهيم فيه، فقلع «عليه السلام»

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۵

رجليه من الحجر قلعا.

فلما كثر الناس، و صاروا إلى الشر و البلاء ازدحموا عليه، فرأوا أن يضعوه فى هذا الموضع الذى هو فيه اليوم، ليخلو المطاف لمن يطوف بالبيت.

فلما بعث اللّه عز و جل محمدا «صلى اللّه عليه و آله» رده إلى الموضع الذى وضعه فيه إبراهيم «عليه السلام»، فما زال فيه حتى قبض رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و فى زمن أبى بكر، و أول ولاية عمر.

ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فأيكم يعرف موضعه فى الجاهلية؟

فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر.

قال: و القدر عندك؟

قال: نعم.

قال: فأت به.

فجاء به، فأمر بالمقام فحمل ورد إلى الموضع الذى هو فيه الساعة «۱».

لقد كدت تركن إليهم:

و عن ابن أبى يعفور، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال: سألته عن قول اللّه وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا «۲». قال: لما كان يوم الفتح أخرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أصناما

---

(۱) البحار ج ۹۶ ص ۲۳۲ عن علل الشرايع ص ۴۲۳.

(۲) الآية ۷۴ من سورة الإسراء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۶

من المسجد، و كان منها صنم على المروة، و طلبت إليه قريش أن يتركه، و كان استحيا، فهمّ بتركه، ثم أمر بكسره، فنزلت هذه الآية «۱».

و نقول:

أولا- إن ما ذكرته الرواية من مناسبة نزول الآية تعارضه روايات أخرى حول هذا الموضوع، و لعل من بينها ما هو أصح و أولى بالقبول.

۱- فمنها ما روى فى مصادر شيعة أهل البيت «عليهم السلام» ما يدل على أن هذه الآية قد نزلت بإياك أعنى و اسمعى يا جارة، فلاحظ ما يلى:

ألف: روى عن الإمام الرضا «عليه السلام»: إن هذه الآية مما نزل بإياك أعنى، و اسمعى يا جارة، خاطب اللّه تعالى بذلك نبيه «صلى اللّه عليه و آله»، و أراد أمته «۲».

ب: و عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا عنى بذلك غيره «۳».

۲- و منها ما دل على أنها نزلت فى من أراد أن يصرف النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن التنويه بشأن على «عليه السلام».

و نشير هنا: إلى أن هذه الروايات لا تتنافى مع سابقاتها و ذلك ظاهر، و من هذه الروايات:

---

(۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹۸ و البرهان (تفسير) ج ۲ ص ۴۳۴ و البحار ج ۲۱ ص ۱۲۴ و تفسير العياشى ج ۲ ص ۳۰۶ و مجمع البيان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱.

(۲) نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹۷ و ۱۹۸ و البرهان (تفسير) ج ۲ ص ۴۳۴.

(۳) نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۷

ألف: عن عبد اللّه بن عثمان البجلى، عن رجل: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» اجتمعا «۱» عنده و ابنتيهما، فتكلموا فى على «عليه السلام». و كان «۲» من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يلين فى بعض القول، فأنزل اللّه: .. لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً «۳» ثم لا تجد لك مثل على وليا «۴».

ب: عن أبى جعفر «عليه السلام»: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ «۵» فى على بن أبى طالب «عليه السلام» «۶».

ج: و عن أبى الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه صلوات اللّه عليهما: أن القوم أرادوا النبى «صلى اللّه عليه و آله» ليربط راية «۷» فى على (و ليمسك عنه بعض الإمساك، حتى إن بعض نسائه ألححن عليه فى ذلك، فكاد يركن إليهم بعض الركون، فأنزل اللّه عز و جل: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا.

---

(۱) أى اجتمع عنده أبو بكر و عمر و ابنتاهما. و الواو فى قوله: و ابنتيهما للمعية.

(۲) كذا فى المصدر.

(۳) الآيتان ۷۴ و ۷۵ من سورة الإسراء.

(۴) نور الثقلين ج ۳ ص ۱۹۸ و ۱۹۹ و البرهان (تفسير) ج ۲ ص ۴۳۴.

(۵) الآية ۷۳ من سورة الإسراء.

(۶) البرهان (تفسير) ج ۲ ص ۴۳۴.

(۷) لم أفهم معنى هذه العبارة و لعلها محرفة أو مصحفة. لكن العبارة التى بعدها توضح المراد.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۸

قال محمد بن العباس: (المخاطب بذلك ظ) رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله». و لكن فى التخويف لأمته، لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين «۱».

۳- أما روايات أهل السنة فهى مختلفة فى ما بينها، و لكنها هى الأخرى متفقة على خلاف ما ورد فى تلك الرواية التى نتحدث عنها أيضا.

و مع غض النظر عن ذلك كله نقول:

ألف: روى: أن هذه الآية نزلت قبل الهجرة، حين جاء أمية بن خلف، و أبو جهل إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و طلبوا منه أن يستلم آلهتهم، لكى يدخلوا معه فى دينه. و كان يشتد عليه فراق قومه فرقّ لهم. فنزلت الآية «۲».

ب: عن سعيد بن جبير: كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: و ما علىّ لو فعلت، و اللّه يعلم منى خلافه، فنزلت «۳».

ج: عن ابن شهاب: أن المشركين كانوا يقولون لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إذا طاف: استلم آلهتنا كى لا تضرك، فكاد يفعل، فنزلت «۴».

---

(۱) البرهان ج ۲ ص ۴۳۴.

(۲) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن إسحاق، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه.

(۳) راجع: مجمع البيان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱ و الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

(۴) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن أبى حاتم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۱۹۹

د: عن جبير بن نفير: أن قريشا طلبوا منه «صلى اللّه عليه و آله» أن يطرد الذين اتبعوه من سقاط الناس و مواليهم، ليكونوا هم اصحابه، فركن إليهم، فنزلت «۱».

ه: عن ابن عباس: أن ثقيفا قالوا لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»:

أجّلنا سنة، حتى نهدى لألهتنا، فإذا قبضنا الذى يهدى للآلهة أحرزناه، ثم أسلمنا، و كسرنا الآلهة، فهمّ أن يؤجلهم، فنزلت «۲».

ثانيا: إن الآيات تقول: إنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يركن، بل هو لم يقترب من الركون إليهم، لأن تثبيت اللّه له كان حاصلا فعلا و من أول الأمر .. و ذلك بقرينة كلمة (لو لا) الدالة على نفى الحصول.

فكل الروايات المفيدة لركونه «صلى اللّه عليه و آله»، أو مقاربته للركون لا تصح، لأنها تنافى ظاهر الآية الكريمة.

ثالثا: إن الحديث فى الآية إنما هو عن أمر أنزل و أوحى إليه من اللّه تعالى، و هم يريدون منه «صلى اللّه عليه و آله» أن يفترى على

اللّه غيره ..

و هـذا لاـ ينطبـق على مورد الروايـة السابقـة، لأـن النـبى «صـلى اللّه عليه و آله» لم يقـل لهم: إن اللّه أوحى إليه أن أتركك الصـنم على المروة، بل هو- حسب ما تقوله الرواية- قد همّ بتركه، لأنه استحيا منهم.

رابعا: إن هذه السورة مكية، و قد ذكرنا فى ثنايا هذا الكتاب: أن السور

---

(۱) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن أبى حاتم، و مجمع البيان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱.

(۲) الدر المنثور ج ۴ ص ۱۹۴ عن ابن جرير، و ابن مردويه، و مجمع البيان المجلد الثالث ج ۶ ص ۴۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۰

كـانت تنزل دفعـة واحـدة، ثم تبـدأ تطبيقاتهـا بالحصول تـدريجا إلى أن تنزل «بسم اللّه الرحمن الرحيم» مرة أخرى، فيعرف الناس: أن السورة السابقة قد انتهت، و أن سورة جديدة قد بدأت «۱».

---

(۱) راجع: الدر المنثور ج ۱ ص ۷ و ج ۳ ص ۲۰۸ عن أبى داود، و البزار، و الدار قطنى فى الافراد، و الطبرانى، و الحاكم، و صـححه، و البيهقى فى المعرفة و فى شعب الإيمان، و فى السنن الكبرى، و عن أبى عبيد، و الواحدى، و فتح البارى ج ۹ ص ۳۹ و تفسير القرآن العظيم ج ۱ ص ۱۶ و نيل الأوطار ج ۲ ص ۲۲۸ و مستدرك الحاكم ج ۱ ص ۲۳۱ و ۲۳۲ و صححه على شرط الشيخين، و تلخيص المسـتدرك للذهبى، بهامشه، و أسـباب النزول للواحدى ص ۹ و ۱۰ و السـنن الكبرى ج ۲ ص ۴۲ و ۴۳ و محاضرات الأدباء المجلد الثانى، الجزء ۴ ص ۴۳۳ و الإتقان ج ۱ ص ۷۸ و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص ۵۶ و ۵۷ و راجع ص ۵۵ عن بعض من تقدم، و الجامع لأحكام القرآن ج ۱ ص ۹۵ و عمدة للقارئ ج ۵ ص ۲۹۲ و نصب الراية ج ۱ ص ۳۲۷ و المستصفى ج ۱ ص ۱۰۳ و فواتح الرحموت بهامشه ج ۲ ص ۱۴ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۳۴ و التفسير الكبير ج ۱ ص ۲۰۸ و غرائب القرآن، بهامش الطبرى ج ۱ ص ۷۷ و المصنف للصنعانى ج ۲ ص ۹۲ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۳۱۰ و ج ۲ ص ۱۰۹ عن أبى داود و البزار و كنز العمال ج ۲ ص ۳۶۸ عن الـدار قطنى فى الافراد و التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۲۱۲ عن الحاكم و اليعقوبى، و سـنن أبى داود ج ۱ ص ۲۰۹ و المنتقى ج ۱ ص ۳۸۰ و تبيين الحقائق ج ۱ ص ۱۱۳ و كشف الأستار ج ۳ ص ۴۰ و مشكل الآثار ج ۲ ص ۱۵۳ و تفسير العياشى ج ۱ ص ۱۹ و عنه فى التمهيد فى علوم القرآن ج ۱ ص ۲۱۲ و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص ۵۶ و مصباح الفقيه [كتاب الصلاة] ص ۲۷۶ و الجامع لأحكام القرآن ج ۱ ص ۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۱

و حتى لو قلنا بما يقوله أولئك الناس: من أنه «صلى اللّه عليه و آله» كان يقول: ضعوا هذه الآية فى مكان كذا من سورة كذا «۱»، فإننا لا نرى مبررا

---

(۱) الجامع الصـحيح للترمذى ج ۵ ص ۲۷۲ و تاريـخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۳ و الإتقان ج ۱ ص ۶۲ و البرهان للزركشى ج ۱ ص ۲۴۱ عن الترمـذى، و الحاكم. و التمهيد ج ۱ ص ۲۱۳ و تاريخ القرآن للصغير ص ۸۱ عن: مـدخل إلى القرآن الكريم لدراز ص ۳۴. لكن فى غرائب القرآن للنيسـابورى، بهامش جامع البيان للطبرى ج ۱ ص ۲۴ و مناهل العرفان ج ۱ ص ۲۴۰ هكذا: «ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا». و مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۳۳۰ و ۲۲۱ و تلخيصه للذهبى بهامشه و غريب الحديث ج ۴ ص ۱۰۴، و البرهان للزركشى ج ۱ ص ۲۳۴ و ۲۳۵ و راجع ص ۶۱ و غرائب القرآن بهامش جامع البيان ج ۱ ص ۲۴ و فتح البارى ج ۹ ص ۱۹ و ۲۰ و ۳۹ و ۳۸، و كنز العمال ج ۲ ص ۳۶۷ عن أبى عبيد فى فضائله، و ابن أبى شيبة، و أحمد، و أبى داود، و الترمذى، و ابن المنذر،

و ابن أبى داود، و ابن الأنبارى معا فى المصاحف، و النحاس فى ناسخه، و ابن حبان، و أبى نعيم فى المعرفة، و الحاكم و سعيد بن منصور، و النسائى، و البيهقى، و فواتح الرحموت بهامش المستصفى ج ۲ ص ۱۲ عن بعض من ذكر، و الدر المنثور ج ۳ ص ۲۰۷ و ۲۰۸ عن بعض من ذكر، و عن أبى الشيخ، و ابن مردويه و مشكل الآثار ج ۲ ص ۱۵۲ و البيان ص ۲۶۸ عن بعض من تقدم، و عن الضياء فى المختارة، و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ۲ ص ۴۸ و راجع: بحوث فى تاريخ القرآن و علومه ص ۱۰۳ و مناهل العرفان ج ۱ ص ۳۴۷ و مباحث فى علوم القرآن ص ۱۴۲ عن بعض من تقدم، و تاريخ القرآن للصغير ص ۹۲ عن أبى شامة فى المرشد الوجيز .. و جواهر الأخبار و الآثار بهامش البحر الزخار ج ۲ ص ۲۴۵ عن أبى داود و الترمذى و سنن أبى داود ج ۱ ص ۲۰۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۲ ص ۴۲ و أحكام القرآن للجصاص ج ۱ ص ۱۰ و مسند أحمد ج ۱ ص ۵۷ و ۶۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۲

لبقاء هذه الآيات معلقة فى الهواء، فى حين أن عشرات السور تنزل عليه، ثم بعد عشرين سنة تنزل آية أو أكثر، فيقول: ضعوها فى السورة الفلانية فى الموضع الفلانى.

خامسا: ما هى خصوصية الصنم الذى كان على المروة حتى تطلب قريش من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يتركه؟! و لماذا لم تطلب منه أن يترك لها هبلا أو غيره مما هو بنظرها أهم و أعظم من سائر الأصنام؟!

صنم لكل قبيلة، و حىّ، و بيت!!:

و قد صرحت الروايات: بأن ثلاث مائة و ستين صنما كانت موجودة فى المسجد الحرام، و بأنه كان لكل قبيلة و لكل حى صنم، بل كان فى كل بيت صنم أيضا.

و قد نعى اللّه تعالى على لسان يوسف «عليه السلام» على المشركين هذا الأمر بالذات، فقال: .. أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ «۱».

و للعلامة الطباطبائى رحمه اللّه إشارات لطيفة فى معنى هذه الآية، لا بأس بمراجعتها «۲».

و نكتفى هنا بالقول: بأن هناك أمورا ثلاثة وقع فيها أولئك الناس، لا يقبلها عقل، و لا ترضاها فطرة، و هى:

۱- عبادة غير اللّه من مخلوقات اللّه تعالى العاقلة، ممن لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا، مثل البشر، و الملائكة و الجن ..

---

(۱) الآية ۳۹ من سورة يوسف.

(۲) الميزان (تفسير) ج ۱۱ ص ۱۷۵- ۱۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۳

۲- عبادة الأحجار، و الأشجار، و سواها مما لا يعقل، و لا يبصر و لا يسمع، و لا يضر، و لا ينفع.

۳- التعدد و التفرق فى الأرباب. فإن تفرق الأرباب يعنى:

أولا: إما اعتقادهم لجامعية كل واحد منها لصفات الألوهية غير المحدودة و المطلقة فى كل شىء .. فيصبح تعددها عبثا مع نشوء أسئلة كثيرة عن حالها لو تعارضت إراداتها فيما بينها فى جميع أنحاء التصرفات، و أسئلة عن وحدة إدراكها للمصالح أو المفاسد، و عن شمول قدرتها على التصرف بكل شىء، حتى فى موارد تعلق إرادات الأرباب الأخرى أيضا، بل هناك أسئلة عن حالها، لو تعلقت إرادتها بإلغاء سائر الأرباب.

ثانيا: و إما اعتقاد إطلاق القدرة و سائر صفات الألوهية فى رب واحد، أو أرباب بعينها، و عدم صلاحية ما عداه أو ما عداها، بسبب ما تعانيه- بنظره- من نقص و عجز، و جهل، و فقر، و ما إلى ذلك ..

و هـذا يعنى: أن يكون لكل واحد رب يخصه، ثم هو ينكر ما عداه؛ فهو لا يعترف بأرباب سائر القبائل، و لا بالأرباب التى يعبدها سائر الناس فى بيوتهم، و أحيائهم، و بلادهم. و بـذلك تصـبح نفس تلك الأرباب سـببا للضـعف، و التفرّق، و التلاشـى، و التمزق للوحـدة الإجتماعية، و مادة للخلاف، و التناحر، و التباين، و التدابر فيما بين الناس.

كف حصى يرمى به الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

و عن أخذ النبى «صلى اللّه عليه و آله» كفا من حصى، ثم رميه له باتجاه الأصنام، و قراءته الآية الشريفة نقول:

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۴

إن هـذا الفعـل يختزن التعبير عن رفض الباطـل عمـلا فضـلا عن القول، و قـد كـان رمى الجمرات فى منى يعطى معنى رفض البـاطل عملا، فضـلا عن القول بالإضافـة إلى دلالات أخرى لا مجال لشـرحها الآن، غير أن الناس اسـتمروا على تداول هذه الطريقة للتعبير عن هذا المعنى فى مواقفهم الرافضة لأقوال أو أفعال بعينها ..

غير أن ما يميز هذه الواقعة هو:

أولا: أنها قد صدرت من نبى كريم، شأنه هداية البشر إلى ما يرضى اللّه تبارك و تعالى.

ثانيا: إن رمى هذه الحصيات قد رافقه ظهور المعجزة، و هو أن تلك الأصنام قد خرت لوجهها.

ثالثـا: إنه رمى يتجـاوز مجرد إعلاـن الرفض و الإدانـة إلى كونه إظهـارا و تجسـيدا لانتصـار الحق، و زهوق الباطل، بصورة حقيقيـة، و واقعية، و عملية.

رابعا: إن هذه الواقعة قد بينت مدى معاناة هذا النبى الكريم و العظيم «صلى اللّه عليه و آله» مع قومه، الذين لم تنفع جميع تلك الآيات و المعجزات فى ردعهم عن جحودهم، و عن تعمـد الإـفتراء و التجنى، و الإتهام له بالسـحر، و الكهانـة، و الشـعر، و بغير ذلك مما هم على يقين من زيفه و بطلانه ..

كما أن كل ما عاينوه من ألطاف و تأييـدات إلهيـة لهذا النبى الكريم «صـلى اللّه عليه و آله»، و انتصارات له تصل إلى حد الإعجاز لم يستطع أن يردعهم عن غيهم، و عن تعمد الباطل فى حقه.

فهم حتى حين يرون بأم أعينهم كيف تتبخر آخر آمالهم، و تتلاشـى حتى أضـغاث أحلامهم، و يرون الكرامـة تلو الكرامـة، و المعجزة إثر

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۵

المعجزة، و يسـقط من يـدهم آخر حجر، و ينمحى عن صـفحة الواقع العملى للشـرك آخر أثر .. مـا فتئوا يقولون: مـا رأينـا أسـحر من محمد!!

فهل ترى قوما أسوأ رأيا و محضرا منهم؟! و هل هناك أصبر من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

على عليه السّلام يكسر أصنام الكعبة:

قـال الصـالحى الشـامى: عن على «عليه السـلام» قـال: انطلـق رسـول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» حـتى أتى بى الكعبـة، فقـال: «اجلس»، فجلست بجنب الكعبة، فصعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على منكبى، فقال:

«انهض»، فنهضت، فلما رأى ضعفى تحته قال: «اجلس»، فجلست.

ثم قال: «يا على، اصعد على منكبى»، ففعلت، فلما نهض بى خيّل إلى لو شئت نلت أفق السماء.

فصعدت فوق الكعبة، و تنحى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال:

«ألق صنمهم الأكبر»، (و فى نص آخر: لما ألقى الأصنام، لم يبق إلا صنم خزاعة) و كان من نحاس موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «عالجه»، و يقول لى: «إيه إيه» جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً.

فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه.

زاد فى سائر المصادر قوله:

حتى إذا استمكنت منه، قال لى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: اقذف به، فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير. ثم نزلت، فانطلقت أنا و رسول

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۶

اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يرانا أحد من الناس، أو من قريش «۱».

قال الحاكم: فما صعدت حتى الساعة «۲».

و قيل: إن هذا الصنم كان من قوارير صفر، و قيل: من نحاس «۳».

و فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعلى «عليه السلام»: ارم به، فحمله رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى صعد فرمى به فكسره،

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ عن ابن أبى شيبة، و الحاكم، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص ۴۲۹ و التبصرة لابن الجوزى ص ۴۴۲ و مناقب الأخيار ص ۳ و مسند أحمد ج ۱ ص ۸۴ و مستدرك الحاكم ج ۳ ص ۵ و ج ۲ ص ۳۶۷ و تلخيص المستدرك بهامشه، و المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۴ ص ۴۸۸ و نظم درر السمطين ص ۱۲۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶ عن خصائص العشرة للزمخشرى و بدايع الأمثال ص ۱۴۸ و ينابيع المودة ص ۱۳۹ و ۴۲۰ و راجع: و تاريخ بغداد ج ۱۳ ص ۳۰۲ و المناقب للخوارزمى ص ۷۳ و خصائص الإمام على «عليه السلام» للنسائى (ط التقدم بمصر) ص ۳۱ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۱۱۹ و تذكرة الخواص ص ۳۱ و مجمع الزوائد ج ۶ ص ۲۴ و مفتاح النجا ص ۲۷ و ذخائر العقبى (ط مكتبة القدس) ص ۸۵ و منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ۵ ص ۵۴ و فرائد السمطين، و تفريح الأحباب ص ۳۱۶ و بذل القوة للسندى الحنفى ص ۲۲۴ و كنز العمال (ط حيدرآباد) ج ۵ ص ۱۵۱ و غالية المواعظ ج ۲ ص ۸۸.

(۲) مستدرك الحاكم ج ۲ ص ۳۶۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ عن الطبرانى، و أحمد، و الترمذى، و الصالحانى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۷

فجعل أهل مكة يتعجبون، و يقولون: ما رأينا أسحر من محمد «۱».

«ثم إن عليا «عليه السلام» أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب، تأدبا و شفقة على النبى «صلى اللّه عليه و آله».

و لما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبى «صلى اللّه عليه و آله» عن تبسمه.

فقال لأنى ألقيت نفسى من هذا المكان الرفيع، و ما أصابنى ألم.

قال: كيف يصيبك ألم و قد رفعك محمد، و أنزلك جبريل»؟! «۲».

و فى نص آخر: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان بمنزل خديجة، فدعا عليا «عليه السلام» فى إحدى الليالى، فذهبا إلى الكعبة فكسرا الأصنام، فلما أصبح أهل مكة قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ الخ .. «۳».

و فى نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال: يا على، اصعد على منكبى، و اهدم الصنم.

فقال: يا رسول اللّه، بل اصعد أنت، فإنى أكرمك أن أعلوك.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوة، فاصعد أنت ..

إلى أن قال: ثم نهض به.

قال على «عليه السلام»: فلما نهض بى، فصعدت فوق ظهر الكعبة

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ عن الزرندى، و الصالحانى، و مناقب الإمام على لابن المغازلى ص ۲۰۲.

(۳) إحقاق الحق (الملحقات) ج ۸ ص ۶۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۸

الخ .. «۱».

و جاء فى نص آخر قوله «صلى اللّه عليه و آله» لعلى «عليه السلام»: لو أن ربيعة و مضر جهدوا أن يحملوا منى بضعة و أنا حى ما قدروا، و لكن قف يا على، فضرب بيده إلى ساقيه، فرفعه حتى تبين بياض إبطيه، ثم قال: ما ترى يا على؟

قال: أرى أن اللّه قد شرفنى بك، حتى لو أردت أن أمس السماء لمسستها الخ .. «۲».

و فى نص آخر: قال على «عليه السلام»: أرانى كأن الحجب قد ارتفعت، و يخيل إلىّ أنى لو شئت لنلت أفق السماء.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: طوبى لك تعمل للحق، و طوبى لى أحمل للحق «۳».

على عليه السّلام يكسر الأصنام:

و قال بعض الشعراء، و قد نسب القندوزى الحنفى هذا الشعر إلى الإمام الشافعى، و نسبه عطاء اللّه بن فضل اللّه الحسينى الهروى فى الأربعين إلى حسان بن ثابت:

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶.

(۲) المناقب لابن المغازلى ص ۲۰۲ و المناقب المرتضوية ص ۱۸۸ و البحار ج ۳۸ ص ۸۶ و كشف اليقين ص ۴۴۷ و الطرائف ص ۸۰ و العمدة لابن البطريق ص ۳۶۴ و ۳۶۵.

(۳) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۸ ص ۱۶۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۰۹ قيل لى قل فى علىّ مدحاذكره يخمد نارا مؤصده

قلت لا أقدم فى مدح امرئضل ذو اللب إلى أن عبده

و النبى المصطفى قال لناليلة المعراج لما صعده

وضع اللّه بظهرى يدهفأحسّ القلب أن قد برده

و على واضع أقدامهفى محل وضع اللّه يده «۱»

و فى حديث يزيد بن قعنب عن فاطمة بنت أسد: أنها لما ولد على «عليه السلام» فى جوف الكعبة، و ارادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمة سميه عليا، فهو على ..

إلى أن قال عن على «عليه السلام»: و هو الذى يكسر الأصنام، و هو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى الخ .. «۲».

و فى بعض المصادر: أنه «عليه السلام» جمع الحطب، و أوقد نارا، ثم وضع قدمه على عضد النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و صار يأخذ الأصنام عن جدار الكعبة، و يلقيها فى النار «۳».

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷ و ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص ۱۳۹ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۸ ص ۶۸۳ و ج ۱۸ ص ۱۶۳.

(۲) إحقاق الحق (الملحقات) ج ۵ ص ۵۷ عن بشائر المصطفى، و عن تجهيز الجيش للدهلوى العظيم آبادى.

(۳) أنيس الجليس للسيوطى (ط سنة ۱۲۹۱ ه) ص ۱۴۸ و إحقاق الحق (الملحقات) ج ۱۸ ص ۱۶۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۰

و نقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، و محاكمات هى التالية:

تحطيم الأصنام قبل الهجرة، و يوم الفتح:

و رد فى الرواية الأولى المتقدمة عن على «عليه السلام»: أنه بعد أن ذكر تكسير الأصنام، قال:

و نزلت من فوق الكعبة، و انطلقت أنا و النبى «صلى اللّه عليه و آله» نسعى حتى توارينا بالبيوت، و خشينا أن يرانا أحد من قريش، أو من الناس «۱».

قال الحلبى الشافعى: «و هذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكة، فليتأمل» «۲».

و نقول:

و هى ملاحظة صحيحة، فإن هذه الرواية تتحدث عن تحطيم الأصنام قبل الهجرة إلى المدينة، و أنه «صلى اللّه عليه و آله» انطلق إليها من منزل خديجة، كما فى بعض الروايات، و هذا معناه:

أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» و عليا «عليه السلام» قد حطما الأصنام مرتين:

الأولى: فى مكة، و بصورة سرية، كما فعل إبراهيم الخليل «عليه السلام» بأصنام قومه الذين قالوا: من فعل هذا بآلهتنا .. و كذلك قال المكيون، فاستحق على «عليه السلام» بذلك أن يقول فى حقه النبى «صلى اللّه عليه

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۱

و آله»: إنه أول من حطم الأصنام بعد إبراهيم الخليل «عليه السلام».

و الثانية: فى فتح مكة، أمام أعين مشركى مكة أنفسهم.

و لعل الرواة قد خلطوا بين الواقعتين .. و الأمر فى ذلك سهل.

لماذا التعرض للأصنام سرا؟!

و يرد سؤال: لماذا يتعرض النبى «صلى اللّه عليه و آله» للأصنام سرا قبل الهجرة؟ مع علمه بأن ذلك لا يرغم أهل مكة على تغيير موقفهم، بل قد يزيدهم ذلك إصرارا على غيهم، و على مناصرة أصنامهم، و التشدد فى المحافظة عليها.

و يمكن أن يجاب: بأن المقصود: هو تقديم العبرة لهم بصورة عملية، و إقامة الحجة عليهم بها، ليحيا من حيى عن بينة، و يهلك من هلك عن بينة .. و لعله يكون من بينهم من يستفيق من سكرته، و يثوب إلى رشده، فيدرك عجز تلك الأصنام عن الدفاع عن نفسها، فكيف تتمكن من الدفع عن غيرها؟!

فما يدّعى لها من قدرات و آثار، ما هى إلا مزاعم ليس فقط لا تستند إلى برهان، بل لقد أثبت البرهان بوارها و بطلانها.

و هذا البرهان و الحجة ليس مجرد معادلة ذهنية، و افتراضات تجريدية، بل هو عمل جوارحى، و فعل مباشر يستهدف الأصنام نفسها .. و لا يستهدف غيرها، ليقال لعلها لم تنتصر له، لأنها كانت غاضبة عليه، فتركته نهبا للبلاء، و حجبت رعايتها له، و لطفها به.

و هذا هو نفس الدرس الذى أراد إبراهيم «عليه السلام» أن يلقنه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۲

لقومه حين حطم أصنامهم.

و قد جاءت كلمة قوم إبراهيم «عليه السلام»: «من فعل هذا بآلهتنا»؟

متوافقة مع قول أهل مكة .. و هى كلمة مهمة، لأنها تتضمن اعترافا بوجود من هو أقوى من هذه الآلهة، و إقرارا بعجزها عن منعه من إلحاق الأذى بها، و حاجتها إلى غيرها ليحميها منه.

و بما أن عمل هذا القوى قد كان بصورة سرية، فذلك يعنى: أنه يتجنب الاصطدام بالناس العاديين، و هذا يدل على: أن قدراته ليست ذاتية و لا مطلقة، فهو إذن ليس من جنس الآلهة، لكى يلتمس لها بعض العذر فى عجزها عن مواجهته و ردعه.

على عليه السّلام ينوء بثقل النبوة:

تقدم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى طلب من على «عليه السلام» أن يجلس، ليصعد «صلى اللّه عليه و آله» على ظهره .. و إذ به «عليه السلام» ينوء بثقل النبوة ..

و هنا سؤلان:

أولهما: ألم يكن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يعلم بأن للنبوة ثقلا ينوء به على «عليه السلام»؟! فإن كان يعلم بذلك، فما هى الحكمة فى أن يطلب منه على «عليه السلام» أن يجلس أولا، ليصعد هو على ظهره؟!

ثانيهما: هل للنبوة ثقل؟! و ما هو نوعه، و حقيقته؟! و هل هو ثقل مادى كسائر الأثقال؟!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۳

و نقول فى الجواب على السؤال الأول:

إننا ننزه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن أن ينسب إليه عدم المعرفة بأن للنبوة ثقلا ينوء به على «عليه السلام» .. و لذلك نرجح الروايات الأخرى التى صرحت: بأن عليا «عليه السلام» آثر أن يصعد النبى «صلى اللّه عليه و آله» على ظهره، لأنه يجل النبى و يكرمه عن أن يصعد هو على ظهره، فأخبره «صلى اللّه عليه و آله» بأن ثقل النبوة يمنع من ذلك.

غير أن ذلك لا يمنعنا من أن نقول أيضا:

إن عليا «عليه السلام» كان يعلم بأن للنبوة ثقلا ينوء به مثله. و لعله أراد من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يصرّح بذلك، ليعلم الناس: أن صعوده على ظهر النبى «صلى اللّه عليه و آله»، لا يتنافى مع إجلاله و تعظيمه له ..

أو لعله نظر إلى قانون البداء، الذى ربما يكون له تأثيره فى مثل هذا المورد، فى صورة حدوث أمر يقتضى إظهار معنى فى على «عليه السلام»، أو فى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، أو فى سياق آخر، فينشأ عنه تمكين على «عليه السلام» من القيام بثقل النبوة، أو يقضى بتخفيف ذلك الثقل، بحيث يتمكن على «عليه السلام» من النهوض به.

و أما بالنسبة للسؤال الثانى، فنقول:

إنه ليس بإمكاننا تحديد ماهية هذا الثقل، غير أننا نقول:

لا ريب فى أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يركب الراحلة، و البغلة، و الفرس، و غيرها، و لكنه يعلن: أنه لو اجتمعت ربيعة و مضر على أن يحملوا بضعة منه و هو حى لما قدروا على ذلك.

و هذا معناه: أن للنبوة فى مضمونها المعنوى خصوصية تحتم التدخل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۴

الإلهى فى قدرة البشر، لتعجزهم عن حمل النبى «صلى اللّه عليه و آله»، لأن ذلك قد يثير خطرات تسىء إلى معنى النبوة، و نحن و إن ننزه عليا «عليه السلام» عن مثل هذه الخطرات، لأنه نفس النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى طهره و صفائه .. و لكننا لا نستطيع أن ننزه عنها غير على «عليه السلام» ممن رأوا ذلك و سمعوه.

هل خيّل إلى على عليه السّلام؟!:

إن التخييل لعلى «عليه السلام» هو إراءته عين الواقع، فلا تخييل للإمام المعصوم خارج دائرة إراءة الحقائق، فالتعبير بكلمة «خيل إلىّ» إن كان يراد به الرفق ببعض ضعفاء النفوس، الذين قد لا يتمكنون من فهم الأمور بصورة معقولة و مقبولة، فهو مقبول .. و إن كان الأمر على خلاف ذلك، فلا بد من الإعراض عن هذه الرواية و الأخذ بالروايات التى استبعدت كلمة «خيل إلىّ»، و ذكرت أنه لو أراد أن ينال السماء لنالها، و قد تقدمت.

و مما يشير إلى أن القضية حقيقية، و ليست مجرد تخييل قول النبى «صلى اللّه عليه و آله» لعلى «عليه السلام»: «رفعك محمد، و أنزلك جبريل»، فإن من يكون هذا حاله، لو أراد أن ينال السماء لنالها، من دون شك و لا شبهة.

تعمل للحق، و أحمل للحق:

و حين قال النبى «صلى اللّه عليه و آله» لعلى «عليه السلام»: طوبى لك تعمل للحق، و طوبى لى أحمل للحق .. فإنه يكون قد أوضح لكل قريب و بعيد: أن مباشرة تحطيم الأصنام لم يكن عملا أملته روح التشفى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۵

و الإنتقام، أو دعته إليه الرغبة فى جمع كل ثمرات الإنتصار، و الحرص على الإمساك بجميع خيوط المجد و الفخار ..

و إنما أملاه عليه واجب الدين و الحق، و الإخلاص للّه تعالى.

لماذا لم يباشر النبى صلّى اللّه عليه و آله تحطيم الأصنام؟!:

ثم إن ما يدعو إلى التأمل هنا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» تولى بنفسه مع أخيه على «عليه السلام» هذا العمل مع أنه كان من الممكن أن يوكل هذا الأمر إلى بعض من كان معه من المسلمين .. فلما ذا كان ذلك؟ و ما الحكمة فيه؟!.

و نقول:

لعل نفس مبادرة نبى اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و وصيه «عليه السلام» إلى تحطيم مظاهر الشرك فى بيت اللّه تعالى، يقطع الطريق على أى تأويل أو اتهام لأحد فى أن يكون هو الذى بادر إلى تحطيم الأصنام، أو أنه بالغ و تجاوز الحد فى إجراء التوجيهات التى صدرت له من قبله «صلى اللّه عليه و آله» بشأنها ..

و قد يدّعى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لم يتخذ موقفا حادا منها، و إنما كان كل همه هو التسلط على مكة، و قهر قريش، و كسر عنفوانها. و لعله كان لا يمانع فى أن يعتقد الناس بأنها تقرب إلى اللّه زلفى.

أو لا يمانع فى اقتنائها للذكرى، أو لأى سبب آخر.

فجاءت مبادرته لتحطيمها بنفسه، لتدل على أن وجودها كله مبغوض للّه تبارك و تعالى، و لا يجوز الاحتفاظ بها تحت أى عنوان من العناوين.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۶

لو نزع دلوا من زمزم:

و أما ما ينسب إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله» من أنه قال: لو لا أن تغلب بنو عبد المطلب (على سقايتهم) لنزعت منها دلوا .. فهو غير ظاهر المعنى.

فأولا: إن مجرد أن ينزع النبى «صلى اللّه عليه و آله» دلوا من ماء لا يوجب نزع السقاية من بنى عبد المطلب، و لا أن تصبح الأمور على درجة الفلتان و التسيب، بحيث يغلبون على سقايتهم.

و يجاب عن ذلك: بما قاله بعض الإخوة من أنه يحتمل أن يتخذ المسلمون من عمل النبى «صلى اللّه عليه و آله» سنة، فينتزع من يشاء منهم دلوا منها، أو دلاء، فتذهب السقاية من أربابها.

ثانيا: قد يقال: لو أوجب نزع الدلو من زمزم ذلك لكان أخذ المفتاح من بنى شيبة- سواء أخذ بالقوة، أو بالحسنى- يوجب نزع حجابة البيت منهم ..

فإن كان «صلى اللّه عليه و آله» قد عالج ذلك بإعلانه أن الحجابة لبنى شيبة، و أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ المفتاح منهم .. فإنه يمكنه أن يعالج أمر زمزم بنفس الطريقة، فينزع دلوا من زمزم، ثم يعلن عدم جواز مزاحمة بنى عبد المطلب فى أمر السقاية ..

إلا- أن يقال: إن ثمة فرقا بين الأمرين، فإن أخذه «صلى اللّه عليه و آله» لمفتاح الكعبة معناه: إرجاع أمر ولاية الكعبة إلى صاحبها الحقيقى، و الاعتراف بولايته على الكعبة معناه: الإعتراف بولايته على كل ما عداها.

لأنها تمثل محورية لا مجال لإنكارها فى هذا الأمر. فاقتضت المصلحة أن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۷

يتعامل مع بنى شيبة بهذه الطريقة.

و ليس الأمر فى السقاية من زمزم بهذه المثابة ..

و لأجل ذلك لم يكن من المصلحة أن يكتفى بالطلب إلى حامل المفتاح أن يفتحه له .. بل كانت المصلحة فى أخذ المفتاح منه، ثم يكون هو الذى يعطيه إياه بنحو تكون شرعية حجابته للكعبة مستندة إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دون سواه.

على أن فرقا آخر بين الحجابة و السقاية، و هو: أنه لا يمكن التعدى على موضوع الحجابة، و لا مجال لغلبة الناس عليها، لأنها مرهونة بمفتاح الكعبة، الذى يكون لدى شخص بعينه، أما السقاية، فيمكن لكل أحد أن يستقى من بئر زمزم، فيمكن الغلبة على الماء.

النداء بتكسير الأصنام فى البيوت:

قالوا: و لم يكن رجل من قريش فى مكة إلا و فى بيته صنم، إذا دخل مسحه، و إذا خرج مسحه تبركا به «۱».

و قالوا: و نادى منادى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بمكة: من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر فلا يدعن فى بيته صنما إلا كسره أو

حرقه «۲».

قال: فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام.

و كان عكرمة بن أبى جهل لا يسمع بصنم فى بيت من بيوت قريش إلا

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۷۰ و ۸۷۱.

(۲) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۹۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۳ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۷۰ و ۸۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۸

مشى إليه حتى يكسره. و كان أبو تجراة يعملها فى الجاهلية و يبيعها «۱».

عكرمة يكسر الأصنام:

و نقول:

إن ما زعموه من أن عكرمة كان يكسر الأصنام فى بيوت مكة يثير لدى الباحث أكثر من سؤال حول ما إذا كان هذا الرجل، الذى يزعمون أنه قاتل المسلمين يوم الفتح، و فر من المعركة، مخلصا فى فعله هذا أو أنه يتزلف للمسلمين به، و يخطط للوصول إلى منافع و الحصول على امتيازات يطمح إليها .. و هذا هو الأقرب إلى الاعتبار، إذ كيف انقلب هذا المقاتل للدين و لأهله بين لحظة و أخرى إلى ولى حميم، و متحمس صارم و حازم إلى هذا الحد؟!

---

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۷۰ و ۸۷۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۱۹

الفصل السابع: النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۱

مفتاح الكعبة مع النبى صلّى اللّه عليه و آله:

عن أبى هريرة، و علقمة بن أبى وقاص الليثى، و محمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض، قال عبد اللّه: كان عثمان بن طلحة قد قدم على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالمدينة مسلما مع خالد بن الوليد، و عمرو بن العاص قبل الفتح «۱».

فلما فرغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من طوافه أرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة يأتيه بمفتاح الكعبة، فجاء بلال إلى عثمان، فقال: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يأمرك أن تأتى بالمفتاح «۲».

فقال: نعم، هو عند أمى سلافة.

فرجع بلال إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأخبره أنه قال: نعم، و أن المفتاح عند أمه.

فبعث إليها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رسولا فجاء، فقالت: لا،

---

(۱) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۴ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ عن الواقدى و ابن أبى شيبة.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ عن الواقدى، و ابن أبى شيبة، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۲

و اللات و العزى، لا أدفعه إليك أبدا.

فقال عثمان: يا رسول اللّه، أرسلنى أخلصه لك منها، فأرسله، فقال:

يا أمّه ادفعى إلىّ المفتاح، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد أرسل إلىّ، و أمرنى أن آتيه به.

فقالت أمه: لا. و اللات و العزى، لا أدفعه إليك أبدا.

فقال: لا- لات و لا عزى، إنه قد جاء أمر غير ما كنا عليه، و إنك إن لم تفعلى قتلت أنا و أخى، فأنت قتلتنا. فو اللّه لتدفعنّه، أو ليأتين غيرى فيأخذه منك، فأدخلته فى حجزتها «۱»، و قالت: أى رجل يدخل يده ههنا؟ «۲».

و قالت له: أنشدك اللّه أن يكون ذهاب مأثرة قومك على يديك «۳».

قال الزهرى: فأبطأ عثمان و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قائم ينتظره، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق، و يقول: «ما يحبسه فيسعى إليه رجل» انتهى.

فبينما هما على ذلك و هو يكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر و عمر فى الدار، و عمر رافع صوته حين أبطأ عثمان: يا عثمان اخرج.

فقالت أمه: يا بنى خذ المفتاح، فإن تأخذه أنت أحب إلىّ من أن يأخذه تيم و عدى.

فأخذه عثمان، فخرج يمشى به حتى إذا كان قريبا من وجه رسول اللّه

---

(۱) الحجزة: موضع شد الإزار من الوسط.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۶ و ۲۳۷ عن الواقدى و ابن أبى شيبة، و راجع:

السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸ و المغازى للواقدى ج ۳ ص ۸۳۳.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۳

«صلى اللّه عليه و آله» عثر عثمان فسقط منه المفتاح، فقام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى المفتاح فحنى عليه بثوبه «۱».

و عند الواقدى: أن عثمان جاء بالمفتاح إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فناوله إياه «۲».

و عن ابن عمر: أن بنى أبى طلحة كانوا يقولون: لا (يستطيع أن) يفتح الكعبة إلا هم، فتناول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المفتاح، ففتح الكعبة بيده «۳».

مفتاح الكعبة أخذ قهرا:

و روى بسند جيد عن أبى السفر، قال: لما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة دعا شيبة بن عثمان بالمفتاح- مفتاح الكعبة- فتلكأ، فقال لعمر: «قم فاذهب معه، فإن جاء به و إلا فاجلد رأسه».

فجاء به فأجاله فى حجره «۴».

و قال أبان: و حدّثنى بشير النبال، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال:

لما كان فتح مكة قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «عند من المفتاح»؟

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ عن عبد الرزاق و الطبرانى، و فى هامشه عن:

أبى داود (۲۰۲۷)، و عن المطالب العالية (۴۳۶۴).

و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸ و ۹۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۳.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۳.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ عن الفاكهى، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۸.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ عن ابن أبى شيبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۴

قالوا: عند أم شيبة.

فدعا شيبة، فقال: «اذهب إلى أمك، فقل لها: ترسل بالمفتاح».

فقالت: قل له: قتلت مقاتلنا و تريد أن تأخذ منا مكرمتنا؟

فقال: لترسلنّ به أو لأقتلنك، فوضعته فى يد الغلام، فأخذه. و دعا عمر، فقال له: «هذا تأويل رؤياى من قبل».

ثم قام «صلى اللّه عليه و آله» ففتحه و ستره، فمن يومئذ يستر، ثم دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح، و قال: رده إلى أمك «۱».

و فى نص آخر: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعث عليا «عليه السلام» إلى عثمان بن طلحة، فأبى أن يدفع المفتاح إليه، و قال: لو علمت أنه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم أمنعه منه، فصعد إلى السطح، فتبعه علىّ «عليه السلام» و لوى يده، و أخذ المفتاح منه قهرا، و فتح الباب «۲».

فلما نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. «۳». أمره «صلى اللّه عليه و آله» أن يدفع المفتاح إليه، متلطفا به، (و يعتذر إليه. و قال له: قل له: خذوها يا بنى طلحة بأمنة اللّه، فاعملوا فيها بالمعروف، خالدة تالدة الخ ..) «۴».

فجاء على «عليه السلام» بالمفتاح متلطفا، فقال له: أكرهت و آذيت، ثم جئت ترفق؟!

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۲ عن إعلام الورى.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷ و ۸۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸.

(۳) الآية ۵۸ من سورة النساء.

(۴) راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۵

فقال «عليه السلام»: لأن اللّه أمرنا بردها عليك.

فأسلم، فأقره النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى يده «۱».

و فى نص آخر: أنه بعد أن أخذ على «عليه السلام» المفتاح قهرا، و دخل النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الكعبة، فصلى ركعتين ثم خرج. سأله العباس أن يعطيه المفتاح، فنزلت الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. «۲».

و ستأتى روايات أخرى حول نزول هذه الآية فى بنى شيبة، و ذلك حين الحديث عن إعطائهم حجابة البيت و مفتاح الكعبة، و ذلك بعد خطبة النبى «صلى اللّه عليه و آله» على باب الكعبة، فانتظر ..

إزالة الصور و التماثيل من داخل الكعبة:

روى: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دخل البيت فى فتح مكة، و لم يدخله فى حج و لا عمرة. و دخل وقت الظهر «۳».

و فى حديث صفية بنت شيبة: وجد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فى

---

(۱) راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۴۰۴ و ۴۰۵.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۶ و ۱۱۷ عن مناقب آل أبى طالب ج ۱ ص ۴۰۴ و ۴۰۵.

(۳) راجع: البحار ج ۲۱ ص ۱۳۶ و ۱۳۲ و ۱۳۳ و فى هوامشه عن تهذيب الأحكام للطوسى ج ۱ ص ۲۴۵ و عن المناقب لابن شهر آشوب، و إعلام الورى، و راجع:

تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۶

البيت حمامة من عيدان، فكسرها بيده، ثم طرحها «۱».

و فى حديث جابر: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما دخل البيت رأى فيه تمثال إبراهيم، و إسماعيل، و إسحاق. و قد جعلوا فى يد إبراهيم الأزلام يستقسم بها، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «قاتلهم اللّه، لقد علموا ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام».

ثم دعا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بزعفران فلطخه بتلك التماثيل «۲».

و رووا: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أمر عمر بن الخطاب- و هو بالبطحاء- أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها حتى محيت الصور، و كان عمر قد ترك صورة إبراهيم.

فلما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» رأى صورة إبراهيم (و عند الديار بكرى: رأى فيها صور الملائكة، و غيرهم، فرأى إبراهيم مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها)، فقال: «يا عمر، ألم آمرك ألا تدع فيها صورة؟

قاتلهم اللّه، جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام».

زاد الحلبى و غيره قوله: ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۳»، ثم أمر بتلك الصور

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ عن ابن إسحاق، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶.

(۳) الآية ۶۷ من سورة آل عمران.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۷

فطمست «۱».

ثم رأى صورة مريم، فقال: «امسحوا ما فيها من الصور، قاتل اللّه قوما يصورون ما لا يخلقون» «۲».

و حسب نص آخر: أنه «صلى اللّه عليه و آله» رأى الصور و هى صور الملائكة، و صور إبراهيم و إسماعيل فى أيديهما الأزلام يستقسمان بها، أى و إسحاق، و بقية الأنبياء، و صورة مريم، فقال: «قاتل اللّه قوما يصورون ما لا يخلقون، قاتلهم اللّه، لقد علموا أنهما لم يستقسما بالأزلام قط» «۳».

و عن ابن عباس- رضى اللّه عنهما- و عن عكرمة: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة، يعنى الأصنام، فأمر بها فأخرجت: صورة إبراهيم، و إسماعيل فى أيديهما الأزلام، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «قاتلهم اللّه

لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط».

زاد ابن أبى شيبة: ثم أمر بثوب فبلّ و محا به صورهما «۴».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۷ و ۲۳۸ عن أبى داود، و ابن سعد، و الواقدى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۶ و ۸۷ و راجع: قرب الإسناد ص ۶۱ و البحار ج ۲۱ ص ۱۱۱.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۸ عن البخارى و ابن أبى شيبة و فى هامشه عن:

البخارى (۳۳۵۲) و مسند أحمد ج ۱ ص ۳۶۵ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۴ ص ۴۸۷ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۵ ص ۷۳ و البحار ج ۲۱ ص ۱۰۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۵۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۸

و عن أسامة بن زيد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» دعا بدلو من ماء فضرب به الصور «۱».

و فى نص آخر: أن الذى جاء بذنوب «۲» الماء هو الفضل بن العباس، و أنه جاء به من زمزم، فطمس به الصور «۳».

و عن ابن عمر: أن المسلمين تجردوا فى الأزر و أخذوا الدلاء، و انجروا على زمزم يغسلون الكعبة ظهرها و بطنها، فلم يدعوا أثرا من المشركين إلا محوه و غسلوه «۴».

و عن الواقدى قوله: أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان أن يقدما البيت، و قال لعمر: لا تدع صورة حتى تمحوها إلا صورة إبراهيم.

فلما دخل «صلى اللّه عليه و آله» و رآها قال: يا عمر، ألم آمرك ألا تدع فيها صورة إلا محوتها.

فقال عمر: كانت صورة إبراهيم.

قال: فامحها «۵».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۷۰ عن مسند الطيالسى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۴.

(۲) الذنوب: الدلو الكبير.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۷۲ عن الأزرقى.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۷۲ عن ابن أبى شيبة.

(۵) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۷۳۴ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ عن سبط بن الجوزى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۲۹

صلاة النبى صلّى اللّه عليه و آله داخل الكعبة و خارجها:

و رووا: إن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أقبل يوم الفتح من أعلى مكة، على ناقته القصواء، و هو مردف أسامة، و معه بلال، و عثمان بن طلحة، حتى أناخ فى المسجد عند البيت، و قال لعثمان: ائتنى بالمفتاح.

فذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه إياه.

فقال: لتعطينّه أو لأخرجن هذا السيف من صلبى. فلما رأت ذلك أعطته إياه، فجاء به، ففتح عثمان له الباب، قالوا:

۱- فدخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أسامة، و بلال، و عثمان بن طلحة.

و زاد بعضهم: الفضل بن عباس، و لم يدخلها أحد معهم، فاغلقوا عليهم الباب «۱».

۲- و لما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الكعبة كبر فى زواياها، و أرجائها، و حمد اللّه تعالى، و قد اختلفوا فى أمر صلاته فى الكعبة.

---

(۱) راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۸ و ۲۳۹ عن مصادر كثيرة ذكرت الحديث يزيد بعضهم، أو ينقص و هم: البخارى، و مسلم، و مالك، و موسى بن عقبة، و النسائى، و أبى عوانة، و ابن ماجة، و أحمد، و الطبرانى، و ابن أبى شيبة، و الطحاوى، و ابن قانع، و الأزرقى، و أبى داود، و البزار، و الحاكم، و البهقى .. و فى هامشه عن البخارى فى المغازى ج ۷ ص ۶۱۱.

و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۴ و ۸۳۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷ و ۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۰

و فى رواية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» كبر فى نواحى البيت، و لم يصل «۱».

۳- و فى رواية أخرى: أنه صلى ركعتين «۲».

۴- عن عبد الرحمن بن صفوان قال: لما فتح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة انطلقت فوافقت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» خرج من الكعبة، و أصحابه قد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم، و قد وضعوا

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۶ و ۸۹ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ عن الترمذى.

(۲) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۸ و ۸۹ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۳۹ و ۲۴۰ و ۲۴۱ و ذكر تفاصيل و اختلافات الرواة فى العديد من المصادر، و هى التى تقدمت فى الهامش السابق.

و قد ذكر الصالحى الشامى: أن صلاة النبى «صلى اللّه عليه و آله» ركعتين داخل الكعبة قد ورد فى رواية يحيى بن سعيد عند الشيخين. و فى رواية أبى نعيم الفضل بن دكين عند البخارى و النسائى، و رواية أبى عاصم الضحاك بن مخلد عند ابن خزيمة، و رواية عمر بن على عند الإسماعيلى، و رواية عبد اللّه بن نمير عند الإمام أحمد، كلهم عن سيف بن أبى سليمان عن مجاهد عن ابن عمر: و تابع سيفا عن مجاهد خصيف عند الإمام أحمد، و تابع مجاهدا عن ابن عمر بن أبى مليكة عند الإمام أحمد و النسائى، و عمرو بن دينار عند الإمام أحمد، و فى حديث جابر:

دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» البيت يوم الفتح، فصلى فيه ركعتين، و رواه الإمام أحمد برجال الصحيح، و الطبرانى عن عثمان بن طلحة. و رواه الإمام أحمد، و الأزرقى عن عبد اللّه بن الزبير. و رواه الطبرانى بسند جيد، و ابن قانع و أبو جعفر الطحاوى من طريقين عن عثمان.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۱

خدودهم على البيت و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» وسطهم، فسألت من كان معه، فقلت: كيف صنع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حين دخل الكعبة؟

قال: صلى ركعتين «۱».

۵- روى: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما خرج من البيت صلى ركعتين قبل الكعبة، و قال: هذه القبلة «۲».

و عن السائب يزيد قال: حضرت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم الفتح صلى فى قبل الكعبة، فخلع نعليه فوضعهما عن يسارة، ثم استفتح بسورة المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى و عيسى أخذته سعلة فركع «۳».

النبى صلّى اللّه عليه و آله لم يدخل الكعبة إلا يوم الفتح:

إن أول سؤال يواجهنا فى النصوص المتقدمة هو: ما السبب فى أنه

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۱ عن الطبرانى، و رجاله رجال الصحيح، و عن البزار، قال الصالحى الشامى و رواه أبو دادو، و الطحاوى عن عمر بن الخطاب.

و البزار عن أبى هريرة، و أنس بن مالك، و رواه الطبرانى.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۱ و ۲۷۱ و فى هامشه عن: البخارى ج ۱ ص ۶۸۸ (۵۰۴ و ۵۰۵) و مسلم ج ۲ ص ۹۶۶ (۳۸۸ و ۳۸۹/ ۱۳۲۹) (۳۹۰/ ۱۳۲۹) و مالك ج ۱ ص ۳۹۸ (۱۹۳) و عن مسند أحمد و مجمع الزوائد، و الطبرانى فى الكبير، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۵.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ و ۲۴۶ عن ابن أبى شيبة فى المصنف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۲

«صلى اللّه عليه و آله» لم يدخل الكعبة إلا فى يوم الفتح؟!

و يمكن أن يقال فى الجواب: إن الدخول إلى الكعبة يوم الفتح من شأنه أن يؤكد لقريش أن أمر الحرم لم يعد إليها، بل هو قد عاد إلى أهله رغما عن المعتدين و الغاصبين. و على الناس كلهم أن يلتزموا بما يرسمه لهم من لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحى «۱» ..

فأولى الناس ببيت اللّه، هو نبيه المبعوث لتعليم الأمة و هدايتها، و هو لم يجعل الدخول و الخروج من البيت شغله الشاغل، بل إنه لم يدخل إليه إلا حين استعاده من أيدى الأرجاس، ليزيل عنه و منه رجسهم، و مظاهر شركهم، و ليعيده إلى ما كان عليه من الطهر، و النزاهة، و الخلوص ..

فإن على الناس كلهم أن لا يتخذوا الدخول إليه و الخروج منه سنة، أو عادة و طريقة .. و أن لا يجعلوا ذلك من موارد التنافس و التفاخر و التباهى، إذ المطلوب الأهم هو أن تحفظ قداسة البيت، و يصان عزه، و تتأكد مكانته فى النفوس، و عظمته فى القلوب. و اعتياد الدخول و الخروج إليه ربما يكون مضرا بهذا الهدف.

إزالة الصور من داخل الكعبة:

إن ملاحظة الروايات المتقدمة التى تتحدث عن إزالة الصور من داخل الكعبة تثير علامات استفهام كبيرة حول حقيقة ما فعله عمر بن الخطاب فى أمر الصور فى داخل الكعبة، حين أمره النبى «صلى اللّه عليه

---

(۱) الآيتان ۳ و ۴ من سورة النجم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۳

و آله» بمحوها.

فهل محاها حقا، أم أن الذى محاها هو أسامة، أم الفضل بن العباس؟!

و لو قبلنا: أن عمر قد امتثل أمر النبى «صلى اللّه عليه و آله» و محا الصور، فلما ذا ترك صورة إبراهيم «عليه السلام» و هو يستقسم بالأزلام؟!

و قد حاول الحلبى أن يرفع التنافى بين الروايات، فقال: إن عمر محا الصور كلها باستثناء صورة إبراهيم، و إسماعيل، و مريم و الملائكة «۱».

و أغرب من ذلك: أن نجد الزهرى ينسب إبقاء صورة إبراهيم إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» نفسه، فيقول: «لما دخل النبى «صلى اللّه عليه و آله» فرأى فيها صور الملائكة و غيرها، و رأى صورة إبراهيم «عليه السلام»، قال: قاتلهم اللّه، جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام.

ثم رأى صورة مريم، فوضع يده عليها، ثم قال: امسحوا ما فيها من الصور إلا صورة إبراهيم» «۲».

و السؤال هنا هو: إذا كان وجود الصور جائزا فما الحاجة إلى محوها؟

و إن كان حراما، فلما ذا ترك صورة إبراهيم «عليه السلام»؟!

و إن كان لا مانع من بقاء الصور لكنه لاحظ عنوانا ثانويا، و هو أنه يخشى من أن تدخل فى اعتقادات الناس، و ينتهى الأمر بهم إلى نوع من الشرك فى العبادة، فذلك المحذور موجود من خلال إبقائه صورة إبراهيم «عليه السلام» أيضا.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷.

(۲) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۴

و سؤال آخر، و هو: كيف أبقى صورة إبراهيم «عليه السلام» و هو يستقسم بالأزلام؟ مع أن ذلك أمر مكذوب على إبراهيم «عليه السلام»؟! و إذا كان قد أزال من الصورة الأشكال التى تشير إلى الإستقسام، فلما ذا لم يذكر لنا ذلك فى التاريخ و الرواية؟!

و ثمة سؤال آخر أيضا، و هو: لماذا لم تبق صورة إبراهيم «عليه السلام» بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟ و من الذى أزالها من الكعبة؟! و لماذا لم يعترض المسلمون و علماء الأمة على من أبطل و أزال أمرا أبقاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و أما الجمع بين الروايات الذى قرره الحلبى، فهو لا ينفع شيئا، بعد أن كان أصل إبقاء الصور ممنوعا ..

على أن إزالة صور الأشخاص، و الملائكة، و غيرهم من ذوى الأرواح أولى من إزالة غيرها، لأن الناس يفتنون بصور الناس و الملائكة أكثر من فتنتهم بصور الأشجار، و الأبنية، و الأوانى و نحوها.

على أن مفتاح الكعبة قد كان مع بنى شيبة، و النبى «صلى اللّه عليه و آله» هو الذى أخذه، ففتحها و دخل، فما معنى قولهم: إنه أرسل عمر بن الخطاب ليمحو الصور من داخل الكعبة؟! فهل كان مع عمر مفتاح خاص به؟! أم أن بنى شيبة هم الذين فتحوا باب الكعبة؟!.

إلا أن يقال: إن المراد: أن عمر قد دخل معه «صلى اللّه عليه و آله» إلى الكعبة فوكله بمحو تلك الصور، فمحاها و ترك صورة إبراهيم «عليه السلام».

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۵

و لكننا نقول:

إن هذا كلام غير صحيح، فقد ذكروا: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين قد اشتغلوا بمحو الصور بواسطة الماء الذى كانوا يأتون به من زمزم ..

يضاف إلى ذلك: أنهم ذكروا أسماء الذين دخلوا مع النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الكعبة، و ليس فيهم عمر بن الخطاب .. فما معنى حشر اسمه فى هذا المورد؟! إلا أن يكون الهدف هو ذر الرماد فى العيون، و نسبة فضيلة إليه ليس له فيها نصيب.

التكبير فى زوايا الكعبة:

و التكبير فى زوايا الكعبة هو المناسب لموقعية الكعبة، و شأنها، و مقامها، و هو المنسجم مع الوظيفة التى تؤديها، و الدلالات التى تتكفل بها، فهى رمز التوحيد، و مثال حى لتعظيم اللّه تبارك و تعالى، و هى أهم موقع لتنزيهه عن الأنداد و الشركاء، فكيف إذا كانت قد تعرضت للإهانة و للتدنيس بوضع الأصنام فيها، و رسم صور الأنبياء على جدرانها، و هم يستقسمون بالأزلام؟! افتراء من أولئك الكفرة على أقدس الناس فى أقدس مكان، و أفضل بقعة على وجه الأرض.

صلاة النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبة:

إن الروايات المتقدمة: متناقضة فيما بينها، فقد دلت طائفة منها على أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد صلى فى داخل الكعبة ركعتين، و فى بعضها:

أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يصل فيها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۶

كما أن هناك اختلافات فى نفس دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» إليها، فقد زعموا: أنه «صلى اللّه عليه و آله» دخل الكعبة بعد هجرته أربع مرات: يوم الفتح، يوم ثانى الفتح، و فى حجة الوداع، و فى عمرة القضاء.

و فى كل هذه الدخلات خلاف، إلا الدخول الذى كان يوم فتح مكة «۱».

و قالوا: إن سبب الاختلاف فى صلاته داخل الكعبة هو: تعدد دخوله إليها، حيث صلى فى بعضها، و لم يصل فى بعضها الآخر «۲».

و نقول:

لكن ظاهر النصوص هو: أنها تتحدث عن الدخول الأول إلى الكعبة الشريفة، و هو الذى كان محط أنظار الرواة، و نقلة الأخبار.

و حول الصلاة فى داخل الكعبة نقول:

إنهم يقولون: أن المراد بالصلاة هو الدعاء «۳».

و الجواب: أن التعبير: بأنه صلى ركعتين، فى الرواية التى تقول عن بلال: «ذهب عنى أن أسأله كم صلى» تكذب هذا الإحتمال «۴».

ثم إننا نقول:

إن هذه الإختلافات، خصوصا إذا كانت فى أمور التشريع، تحتاج إلى حسم الأمور فيها بصورة تقطع العذر، و تزيل الشبهة. و لا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى أئمة الهدى و مصابيح الدجى، فقد روى الشيخ «رحمه اللّه» عن

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۸۷.

(۳) المصدر السابق.

(۴) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۷

الطاطرى، عن محمد بن أبى حمزة، عن معاوية بن عمار، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال:

«سمعته يقول: لا تصلّ المكتوبة فى جوف الكعبة، فإن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لم يدخلها فى حج و لا عمرة، و لكن دخلها فى فتح مكة، فصلى فيها ركعتين بين العمودين، و معه أسامة» «۱».

سؤال .. و جوابه:

قد يقال: إذا كان «صلى اللّه عليه و آله» قد دخل الكعبة يوم عمرة القضاء، فماذا كان موقفه من الأصنام التى كانت بداخلها؟! هل أزالها؟! أم تركها؟! و هل يجوز له ترك الأصنام فى الكعبة؟!

و يمكن أن يجاب: بأن المفروض: هو أن لا يتعرض لها فى عمرة القضاء، كما لم يتعرض للأصنام التى كانت فى المسجد، و على الكعبة، لأن أى تعرض لها لابد من أن يعتبره المشركون نقضا للعهد. و سيعطى المبرر لقريش للتشنيع عليه، و إسقاط مصداقيته بين الناس. فلا بد من أن تترك الأمور إلى الوقت المناسب، و حيث لا يبقى لقريش أى ذريعة.

أبو بكر و عمر لم يدخلا الكعبة:

و قد صرحت الروايات بأسماء الذين دخلوا الكعبة، و أسماء الذين

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۶ و ۱۳۲ و ۱۳۳ عن تهذيب الأحكام للطوسى ج ۱ ص ۲۴۵ و عن إعلام الورى، و عن المناقب لابن شهر آشوب. و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۸

حطموا الأصنام على ظهر الكعبة، و فى المسجد الحرام، و لم نجد لأبى بكر و لا لعمر ذكرا، لا مع هؤلاء، و لا مع أولئك. فأين كان هذان الرجلان فى هذه اللحظات الحساسة؟!

و ما الذى منعهما من المشاركة فى هذا الأمر الجليل؟! هل كانا لا يرغبان فى خدش مشاعر قومهما فى هذه اللحظات الحرجة بالذات؟! أم أنهما كانا يؤديان واجبا آخر؟!

إننا لو سألنا عن على بن أبى طالب لقيل لنا: إنه كان يلاحق المشركين الذين أهدر النبى «صلى اللّه عليه و آله» دمهم، لينفذ فيهم حكم اللّه تعالى، و قد تمكن من قتل بعضهم ممتثلا بذلك أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» .. و هو لم يرع فيهم أخته أم هانى ..

أو يقال لنا: إنه حامل راية رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قائد جيوشه، فالمفروض أن يكون منشغلا بتدبير أمر ذلك الجيش العرمرم.

أو يقال لنا: إنه كان مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قد أصعده «صلى اللّه عليه و آله» على كتفيه إلى ظهر الكعبة ليحطم الأصنام عليها، و قد فعل ذلك ..

و لكن لو سألنا عن أبى بكر و عمر أين هما؟ فما هو الجواب الذى يمكن أن نتوقعه منهما، و عنهما؟!

و لماذا غابا عن الأنظار فى هذه اللحظات الحرجة بالذات؟! أم تراهما قد ذهبا لتفقد الأهل و العشيرة، و المنازل و الرباع؟!

أو أنهما يتجاذبان أطراف الحديث مع الخلان و الإخوان؟!

لا ندرى!!

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۳۹

فإن التاريخ لم يفصح لنا عن شىء فى هذا المجال .. إما خيانة منه!! أو عجزا، و فشلا!! و كلاهما غير مرضىّ له، و لا مقبول منه.

لا نريد الحديث عن التناقضات:

و قد أشرنا فى مناسبات عديدة: إلى أن التناقض فيما بين الروايات يدل على أن واحدة منها هى الصحيحة فى مورد الإختلاف، و يحكم على سائرها بالخطأ أو الكذب فى نفس ذلك المورد.

مع احتمال: أن يكون الجميع مكذوبا، أو مخطئا، و الصحيح شيء آخر.

و لكن الحكم على مورد الإختلاف بالخطأ، أو الكذب، كلا أو بعضا لا يعنى أن سائر الفقرات كذلك، لجواز أن تكون صحيحة أيضا.

أى أن سقوط فقرة من الرواية عن الحجية، لا يعنى سقوط سائر فقراتها عنها ..

و لأجل وضوح هذا الأمر، و تكرر ذكرنا له فى الموارد المختلفة، آثرنا أن نعتمد من الآن فصاعدا على وعى القارئ لهذه الحقيقة، و نكل إليه أمر رصد تلك التناقضات و الإختلافات، ثم التعامل معها بصورة صحيحة و واقعية.

هذا تأويل رؤياى:

تحدثنا فى جزء سابق: عن أن النبى «صلى اللّه عليه و آله»- كما ورد فى القرآن الكريم- كان فى عام الحديبية قد أخبر أصحابه بأنه رأى رؤيا مفادها: أن المسلمين يدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين .. ثم سار بهم نحو مكة، فصدهم المشركون فى ذلك العام، و كان عهد الحديبية، فثارت

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۰

ثائرة كثير من أصحابه «صلى اللّه عليه و آله»، و كان أشدهم عمر بن الخطاب.

ثم كانت عمرة القضاء التى دخل المسلمون فيها إلى المسجد الحرام محلقين، قال تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً «۱»

و لعل المسلمين قد اعتبروا ما جرى فى عمرة القضاء هو تأويل تلك الرؤيا «۲».

و لكن الرواية المتقدمة عن الإمام الصادق «عليه السلام» تقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» حين تسلم مفتاح الكعبة فى فتح مكة، دعا عمر بن الخطاب، و قال له: «هذا تأويل رؤياى».

فاللافت هنا:

أولا:

دعوته «صلى اللّه عليه و آله» خصوص عمر بن الخطاب، دون كل من عداه، ليسمعه هذا القول .. مما يعنى: أن عمر بن الخطاب كان لا يزال يشكك فى صدق رؤيا رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، مع أن رؤياه «صلى اللّه عليه و آله» من الوحى.

ثانيا: إن الأمن الحقيقى فى مكة قد حصل يوم الفتح، و بلغ ذروته حين

---

(۱) الآية ۲۷ من سورة الفتح.

(۲) الدر المنثور ج ۶ ص ۸۰ و ۸۱ عن ابن مردويه، و ابن جرير، و عن ابن أبى شيبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۱

تسلم «صلى اللّه عليه و آله» مفتاح الكعبة، الذى يشير إلى انتهاء كل شيء و استسلام عتاة المشركين، و قريش بالذات.

ثم جاءت حجة الوداع فدخل المسلمون إلى مكة آمنين أمنا حقيقيا، لا شبهة فيه، و كانوا محلقين رؤوسهم و مقصرين.

عثمان بن طلحة فى فتح مكة:

تقدم أنهم زعموا: أن عثمان بن طلحة أسلم بالمدينة مع خالد بن الوليد، و عمرو بن العاص، و بقى فيها إلى أن جاء مع النبى «صلى

اللّه عليه و آله» إلى مكة يوم الفتح «۱».

و لكن الروايات المتقدمة قد تناقضت فى بيانها لموقف عثمان بن طلحة، حتى لقد نسب إليه بعضها: أنه رفض تسليم المفتاح، و قال: لو أعلم أنه رسول اللّه لم أمنعه.

فإن كان حقا قد أسلم قبل ذلك، فهذا ارتداد صريح كما قاله ابن ظفر فى ينبوع الحياة «۲».

على أن بعض الروايات المتقدمة قد صرحت: بأنه إنما أسلم حين أرجع على «عليه السلام» المفتاح إليه برفق.

و لعل ملاحظة الروايات المتقدمة و سواها تعطى: أن ثمة خلطا بين عثمان بن طلحة، و بين شيبة بن طلحة، فلعل المفتاح كان عند شيبة أولا، فرفض إعطاءه للنبى «صلى اللّه عليه و آله»، ثم أودعه عند أمه سلافة، ثم

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۸ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸ و ۱۰۰.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۲

أرسل النبى «صلى اللّه عليه و آله» عثمان بن طلحة فأخذه منها، بعد أن جرى معها له ما جرى.

و سيأتى قولهم: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قد أعطى المفتاح إلى عثمان ..

و يصرح البعض: بأن عثمان دفعه إلى أخيه شيبة، فهى فى ولده إلى اليوم «۱».

آية: أداء الأمانات إلى أهلها:

و قد زعمت بعض الروايات المتقدمة: أنه لما نزل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. «۲» أرسل «صلى اللّه عليه و آله» المفتاح إليهم مع على «عليه السلام»، و أمره أن يدفعه إلى عثمان بن طلحة متلطفا، فأخذه منه، و أسلم ..

و سيأتى بعد إيراد خطبة النبى «صلى اللّه عليه و آله» الشهيرة على باب الكعبة، بيان بعض ما فيها من إشارات و دلالات ترتبط بجعل حجابة البيت و إعطاء المفتاح لبنى شيبة، و سنتحدث إن شاء اللّه عن شأن نزول هذه الآية أيضا هناك، فانتظر.

لمن هذا التهديد؟!:

إن قوله فى رواية بشر النبال عن الإمام الصادق «عليه السلام»: لترسلن

---

(۱) شرح بهجة المحافل للأشخر اليمنى ج ۱ ص ۴۰۹ عن ابن كثير.

(۲) الآية ۵۸ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۳

به (يعنى المفتاح) أو لأقتلنك، إن كان من كلام النبى «صلى اللّه عليه و آله» يهدد به شيبة، فلا بد من الإجابة على سؤال:

ما معنى هذا التهديد من النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» لعثمان بالقتل فى حين أن أمه هى التى امتنعت عن تسليم مفتاح الكعبة إليه، و قد قال اللّه تعالى: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى؟.

و قد يجاب عن ذلك: بأن من الممكن أن يكون المفتاح بيد شيبة، ثم أودعه عند أمه، فى محاولة منه للضغط الهادف إلى الإحتفاظ بهذه المكرمة، فيصح تهديده، باعتبار أنه هو المسؤول عن أمر المفتاح.

و لكن هـذا الجواب إنما يصـح لو أن شـيبة الذى كان لا يزال على شـركه هو صاحب المفتاح، أما إن كان صاحبه و المسؤول عنه هو أخوه عثمان الـذى كان قـد أسـلم قبل ذلك التاريخ، فلا يصح تهديده بالقتل إلا إذا كان امتناعه عن تسـليم المفتاح قد بلغ حد التمرد على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و الإرتداد عن الدين.

و إن كانت عبارة التهديد المتقدمة قد صدرت عن شـيبة أو عثمان نفسه، فى مواجهة أمه سلافة .. فلا يرد إلا إشكال من ناحية عصيان أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، بل يصبح الإشكال أخلاقيا، كما هو ظاهر.

غير أننا نرجح: أن الرواية: تتحدث عن تهديد صادر من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إلى ولدها .. كما هو ظاهر سياق الكلام.

و يؤيده: أن رواية أخرى- تقدمت أيضا- قد ذكرت: أن عثمان بن طلحة قد قال لأمه: «إن لم تفعلى قتلت أنا و أخى؛ فأنت قتلتنا».

كما أننا نرجح: أن يكون على «عليه السلام» هو الذى أخذ المفتاح من

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۴

عثمان بن طلحـة بالقوة و القهر، و أن حديث إسـلام عثمان هذا قبل ذلك فى المدينة، مع عمرو بن العاص، و خالد بن الوليد، موهون فى أكثر من جهة و سـبب حسـبما أوضحناه فى موضعه، و لتكن هذه الروايات الدالة على تمرده على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من دلائل و هن هذه المزاعم ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۵

الفصل الثامن: الخطبة الأولى فى مكة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۷

خطبة الرسول صلّى اللّه عليه و آله فى مكة:

لقـد خطب النبى «صـلى اللّه عليه و آله» خطبـة هامـة بمجرد خروجه من الكعبـة أعزهـا اللّه تعـالى، فقـد روى عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال:

«فتح باب الكعبة، فأمر بصور فى الكعبة فطمست، ثم أخذ بعضادتى الباب، فقال: الخ ..» «۱».

و زعموا: أن خالد بن الوليد فى هذه الحال كان على باب الكعبة يذب عنه «صلى اللّه عليه و آله» الناس «۲».

و قـالوا: إن رسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» لمـا خرج من البيت اسـتكفّ له الناس، و أشـرف على الناس حول الكعبـة و هم جلوس، فقام على بابه فقال:

«لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، صدق وعده».

و فى نص آخر أنه قال: «الحمد للّه الذى صدق وعده». ثم اتفقوا «و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش ما ذا تقولون؟ ماذا

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۳۵ عن الكافى ج ۱ ص ۲۲۷.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹ عن تاريخ مكة للأزرقى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۸

تظنون (أنى فاعل بكم؟

فقال سهيل بن عمرو:)؟ «۱».

قالوا: نقول خيرا، و نظن خيرا. نبى كريم، و أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «فإنى أقول كما قال أخى يوسف: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ «۲».

إذهبوا فأنتم الطلقاء».

فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا فى الإسلام.

ثم قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «ألا إن كل ربا فى الجاهلية أو دم أو مأثرة أو مال يدّعى فهو تحت قدمى هاتين، و أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث، إلا سدانة البيت، و سقاية الحاج (فإنهما مردودتان إلى أهليهما).

ألا و فى قتيل العصا و السوط و الخطأ شبه العمد الدية مغلظة، مائة ناقة، منها أربعون فى بطونها أولادها.

ألا و إن اللّه تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، و تكبرها بآبائها، كلكم لآدم و آدم من تراب» «۳».

ثم تلا هذه الآية: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

---

(۱) هذه الفقرة فى: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۲ عن إعلام الورى.

(۲) الآية ۹۲ من سورة يوسف.

(۳) راجع: دلائل النبوة للبيهقى ج ۹ ص ۱۱۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۴۹

خَبِيرٌ «۱».

«يا أيها الناس!! الناس رجلان، فبر تقى كريم، و كافر شقى هين على اللّه.

ألا إن اللّه تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات و الأرض، و وضع هذين الأخشبين، فهى حرام بحرام اللّه، لم تحل لأحد كان قبلى، و لن تحل لأحد كائن بعدى، لم تحل لى إلّا ساعة من نهار- يقصرها «صلى اللّه عليه و آله» بيده هكذا- و لا ينفر صيدها، و لا يعضد عضاهها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد، و لا يختلى خلاها».

فقال العباس، و كان شيخا مجربا: إلا الإذخر يا رسول اللّه، فإنه لا بد لنا منه للقين، و ظهور البيوت.

فسكت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ساعة ثم قال: «إلا الإذخر فإنه حلال.

و لا- وصية لوارث، و إن الولد للفراش و للعاهر الحجر، و لا- يحل لامرأة أن تعطى من مال زوجها إلا بإذن زوجها، و المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوة، و المسلمون يد واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، و هم يردّ عليهم أقصاهم، و يعقل عليهم أدناهم، و مشدّهم على مضعفهم، و مثريهم على قاعدهم، و لا يقتل مسلم بكافر، و لا ذو عهد فى عهده، و لا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، و لا جلب و لا جنب.

و لا تؤخذ صدقات المسلمين إلا فى بيوتهم و بأفنيتهم، و لا تنكح المرأة

---

(۱) الآية ۱۳ من سورة الحجرات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۰

على عمتها و لا على خالتها. و البينة على من ادّعى، و اليمين على من أنكر، و لا تسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذى محرم، و لا صلاة

بعد العصر، و بعد الصبح، و أنهاكم عن صيام يومين: يوم الأضحى، و يوم الفطر، و عن لبستين ألا يحتبى أحدكم فى ثوب واحد يفضى بعورته إلى السماء، و ألا يشتمل الصماء».

فقام رجل فقال: يا رسول اللّه، إنى قد عاهرت فى الجاهلية.

فقال: «من عاهر بامرأة لا يملكها، أو أمة قوم آخرين لا يملكها، ثم ادّعى ولده بعد ذلك فإنه لا يجوز له، و لا يرث و لا يورث، و لا إخالكم إلا قد عرفتموها.

يا معشر المسلمين كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر من ضحوة نهار الفتح إلى صلاة العصر منه».

فخبطوهم ساعة، و هى الساعة التى أحلت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لم تحل لأحد قبله.

ثم قال لهم: «كفوا السلاح».

فقام أبو شاة، فقال: اكتب لى يا رسول اللّه.

فقال: «اكتبوا لأبى شاة».

أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لى و لكم» «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۲ و ۲۴۳، و قال: أخرجه البخارى (۲۴۳۴)، و مسلم فى الحج (۴۴۷، ۴۴۸)، و أبو داود (۲۰۱۷) (۳۶۴۹، ۴۵۰۵) و الترمذى (۲۶۶۷) و أحمد ۲/ ۲۳۸ و البيهقى ۸/ ۵۲ و الدار قطنى ۳/ ۹۷.

و ذكر الصالحى الشامى: أن رواة الخطبة المشار إليها هم: الإمام أحمد، و أبو داود،-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۱

- و النسائى، و ابن ماجة عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و البخارى فى صحيحه عن مجاهد. و ابن أبى شيبة .. و ابن إسحاق عن صفية بنت شيبة، و البيهقى عن عبد اللّه بن عمر، و ابن أبى شيبة عن عبد اللّه بن عبيدة.

و واضح: أن نصوص الخطبة تتفاوت، من حيث الإختصار و التطويل، و التقديم، و التأخير، و اختلافات أخرى. و كيف كان فهى موجودة فى المصادر التالية:

السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۸ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۲ و ۱۳۵ و ۱۳۶ و ۱۰۵ و ۱۰۶ و الكافى ج ۳ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ و ۳۲۸ و عن صحيح مسلم ج ۲ ص ۹۸۸ و ۹۸۹ و عن صحيح البخارى ج ۱ ص ۳۹ و ج ۳ ص ۱۶۵ و ج ۴ ص ۱۲۷ و ج ۵ ص ۱۹۴ و ج ۹ ص ۶ و ۱۷ و مجمع البيان ج ۱ ص ۲۰۶ و ج ۱۰ ص ۵۵۷ عن إعلام الورى، و سنن أبى داود ج ۲ ص ۲۱۲ و ج ۳ ص ۳۱۹ و ج ۴ ص ۱۷۲ و الجامع الصحيح للترمذى ج ۵ ص ۳۹ و مسند أحمد ج ۱ ص ۲۵۹ و ج ۲ ص ۲۳۸ و مقدمة ابن الصلاح ص ۱۷۰ و معالم السنن ج ۴ ص ۱۸۴ و جامع بيان العلم ج ۲ ص ۸۴ و تدريب الراوى ج ۲ ص ۶۶ و السنة قبل التدوين ص ۳۰۵ عن فتح البارى ج ۱ ص ۱۸۳ و ۱۸۴ و ۲۱۷ و ج ۵ ص ۶۳ و ج ۱۲ ص ۱۸۱- ۱۸۳ و التراتيب الإدارية ج ۲ ص ۲۴۹ و معادن الجواهر ج ۱ ص ۱۰ و المحدث الفاصل ص ۳۶۳ و ۳۶۴ و إرشاد السارى ج ۱ ص ۱۶۸ و عمدة القارى ج ۱ ص ۵۶۷ و ج ۲ ص ۱۶۳ و ج ۱۲ ص ۲۷۵ و ج ۲۴ ص ۴۲ و أسد الغابة ج ۲ ص ۳۸۴ و ج ۵ ص ۲۲۴ و تيسير الوصول ج ۳ ص ۱۷۶ و صحائف الصحابة ص ۳۱ و الفقيه و المتفقه ج ۱ ص ۹۱ و سنن الدار قطنى ج ۳ ص ۹۷ و تدوين السنة ص ۸۸ و عن المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۴ ص ۴۹۵ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۴ و ۸۵ و ۹۰ و تهذيب الآثار ج ۱ ص ۲۵۵ و رسالات نبوية ص ۵۳ و الدر المنثور ج ۱ ص ۱۲۲ و فتوح البلدان للبلاذرى ص ۵۷ و معجم البلدان ج ۵ ص ۱۸۳ و سنن ابن ماجة ج ۲ ص ۱۰۳۸ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۲-

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۲

و فى نص آخر أنه قال: إن اللّه تبارك و تعالى حبس عن مكة الفيل، و سلط عليها رسوله و المؤمنين، و إنها لا تحل لأحد كان قبلى، و إنما أحلت لى ساعة من نهار، و إنها لا تحل لأحد بعدى .. فقام أبو شاة رجل من اليمن الخ .. «۱».

نص آخر للخطبة:

و ذكر الشيخ الطبرسى «رحمه اللّه» نصا آخر للخطبة، و هو التالى: لما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة دخل صناديد قريش الكعبة، و هم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم، فأتى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و وقف قائما على باب الكعبة، فقال:

«لا إله إلا اللّه وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده،

ألا إن كل مال و مأثرة و دم يدّعى تحت قدمى هاتين، إلا سدانة الكعبة،

- ق ۱ ص ۹۹ و السنن الكبرى للبيهقى ج ۸ ص ۵۲ و الإصابة ج ۲ ص ۱۳۵ و ج ۴ ص ۱۰ و الكفاية للخطيب ص ۵۳ و تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۵۰ و أحكام القرآن للجصاص ج ۲ ص ۳۰۶ و شرح النهج للمعتزلى ج ۱۷ ص ۲۸۱ و زاد المعاد ج ۲ ص ۱۶۶ و ۱۸۵ و ۲۰۳ و الإستيعاب ج ۴ ص ۱۰۶ و التاج الجامع للأصول ج ۲ ص ۱۷۲ و الفتح الربانى ج ۲۳ ص ۲۴۱ و ۲۴۲ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۰۴ و مدينة البلاغة ج ۱ ص ۷۲ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۵ و ۸۳۶ و ۸۳۷ و جامع أحاديث الشيعة ج ۱۰ ص ۱۰۲ و الجامع لأحكام القرآن ج ۲ ص ۱۱۸ و شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ۲ ص ۳۲۷ و غير ذلك.

(۱) تقييد العلم ص ۸۶.

و سقاية الحاج، فإنهما مردودتان إلى أهليهما.

ألا إن مكة محرمة بتحريم اللّه، لم تحل لأحد كان قبلى، و لم تحل لى إلا ساعة من نهار. و هى محرمة إلى أن تقوم الساعة، لا يختلى خلاها، و لا يقطع شجرها، و لا ينفر صيدها، و لا تحل لقطتها إلا لمنشد».

ثم قال: «ألا- لبئس جيران النبى كنتم، لقد كذّبتم، و طردتم، و أخرجتم، و آذيتم، ثم ما رضيتم حتى جئتمونى فى بلادى تقاتلونى!!

اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فيخرج القوم، فكأنما أنشروا من القبور، و دخلوا فى الإسلام، و قد كان اللّه سبحانه أمكنه من رقابهم عنوة، و كانوا له فيئا، فلذلك سمّى أهل مكة الطلقاء «۱».

عن ابن رئاب، عن أبى عبيدة قال: سمعت أبا عبد اللّه «عليه السلام» يقول: لما فتح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة قام على الصفا، فقال:

«يا بنى هاشم، يا بنى عبد المطلب، إنى رسول اللّه إليكم، و إنى شفيق عليكم، لا تقولوا: إن محمدا منا، فو اللّه ما أوليائى منكم و لا من غيركم إلا- المتقون، فلا- أعرفكم تأتونى يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم، و يأتى الناس يحملون الآخرة، ألا- و إنى قد أعذرت فيما بينى و بينكم، و فيما بين اللّه عز و جل و بينكم، و إن لى عملى و لكم عملكم» «۲».

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۰۵ و ۱۰۶ و ۱۳۲ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۷ عن إعلام الورى.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۱ عن كتاب صفات الشيعة للصدوق ص ۴.

وقفات مع الخطبة الشريفة:

إن هذه الخطبة الشريفة تحتاج إلى دراسة متأنية لاستكناه معانيها، و الوقوف على مراميها، و لعل بيان ذلك يفرض إفراد كتاب مستقل، و يستغرق وقتا طويلا، و يحتاج إلى جهد مضن، يبذله أناس أكفاء، و متمرسون أفذاذ ..

فماذا عسانا نقدم فى هذه النظرة العابرة و المحدودة، و لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .. فتلك هى بعض اللمحات المختارة من هذا الروض الفواح بالأطياب .. و الزاخر بالمعانى العذاب، كأنها الشهد المذاب ..

و سنذكر هذه اللمحات اليسيرة فى فقرات تبين وجهتها عناوين نختارها لها، و هى التالية:

عتقهم دليل فتح مكة عنوة:

علق الديار بكرى على قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لأهل مكة:

إذهبوا، فأنتم الطلقاء، فقال:

«فأعتقهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قد كان اللّه أمكنه من رقابهم عنوة، فلذلك تسمى أهل مكة «الطلقاء» أى الذين أطلقوا، فلم يسترقوا، و لم يؤسروا، و الطليق هو الأسير إذا أطلق» «۱».

و كنا قد تحدثنا عن هذا الأمر فى فصل سابق، و قلنا: إن هذه الكلمة من أدلة فتح مكة عنوة، لا صلحا .. فلا بأس بمراجعة ما ذكرناه هناك ..

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۵

الطلقاء .. و الخلافة:

إنه لا ريب فى أن الإمامة شأن إلهى و قرار ربانى، لا خيار لأحد فيه، و هى تثبت بالنص القاطع للعذر عن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لكن السياسة الإلهية قد قضت بوضع معايير، و حدود، و ضوابط، و قيود، من شأنها أن تسقط أى تعلل، و ترد أية شبهة، حتى حينما يحاصر الطامعون و الحاقدون النص بحرابهم، و سيوفهم، أو يثيرون حوله الشبهات و الأقاويل، و ينسجون حوله الترهات و الأباطيل.

و قد صرحت النصوص بكثير من الأمور التى حددها للناس أمين اللّه على وحيه، و عزائم أمره، و من هذه الأمور:

أن الطلقاء لا يحق لهم الاضطلاع بأمر الإمامة ..

و يبدو أن هذا الأمر كان متسالما عليه لدى السلف، فقد روى عن عمر بن الخطاب: أنه اعترف بذلك، و أنه قال:

هذا الأمر فى أهل بدر ما بقى منهم أحد، ثم فى أهل أحد، ثم فى كذا و كذا، و ليس لطليق و لا لولد طليق، و لا لمسلمة الفتح شىء «۱».

و قال أيضا: «إن هذا الأمر لا يصلح للطلقاء، و لا لأبناء الطلقاء» «۲».

و عن أمير المؤمنين «عليه السلام» فى كتاب له إلى معاوية: «و اعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، و لا تعقد معهم الإمامة، و لا يدخلون

(۱) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۳ ص ۳۴۲ و أسد الغابة ج ۴ ص ۳۸۷ و فتح البارى ج ۱۳ ص ۲۰۷.

(۲) الإصابة ج ۲ ص ۳۰۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۶

فى الشورى» «۱».

و كتب ابن عباس لمعاوية: «ما أنت و ذكر الخلافة؟! و إنما أنت طليق و ابن طليق. و الخلافة للمهاجرين الأولين، و ليس الطلقاء منها فى شىء».

و فى نص آخر: ما أنت و الخلافة، و أنت طليق الإسلام الخ .. «۲».

و قال ابن عباس لأبى موسى: «اعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام» «۳».

و كتب المسور بن مخرمة إلى معاوية أيضا: «و ما أنت و الخلافة يا معاوية، و أنت طليق، و أبوك من الأحزاب» «۴».

و هذا المعنى بالذات روى عن سعنة بن عريض فى كلام له مع معاوية «۵».

و نفس هذا المضمون قاله صعصعة بن صوحان لمعاوية «۶».

و جاء فى كلام لعبد الرحمن بن غنم الأشعرى الصحابى، يعاتب فيه أبا هريرة، و أبا الدرداء قوله: «و أى مدخل لمعاوية فى الشورى، و هو من

(۱) الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۸۵ و (فى طبعة) ۷۱ و (فى أخرى) ۸۱ و العقد الفريد ج ۴ ص ۱۳۶ و نهج البلاغة ج ۲ ص ۵ و شرح نهج البلاغة للمعتزلى ج ۳ ص ۷۶ و ج ۱۴ ص ۳۶.

(۲) راجع: الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۱۰۰ و (فى طبعة أخرى) ۸۵ و (فى طبعة ثالثة) ۹۷ و شرح النهج للمعتزلى ج ۸ ص ۶۶.

(۳) شرح النهج للمعتزلى ج ۲ ص ۲۴۶.

(۴) الإمامة و السياسة ج ۱ ص ۹۸ و (فى طبعة أخرى) ۷۵ و (فى طبعة ثالثة) ۸۵.

(۵) الغدير ج ۱۰ ص ۳۱.

(۶) مروج الذهب ج ۳ ص ۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۷

الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة»؟! «۱».

تعظيم بيت اللّه:

إن اللّه سبحانه و تعالى قد جعل الكعبة و مكة حرما آمنا. و لكن هل حصل ذلك بدعاء إبراهيم حينما قال: رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً؟! «۲».

و فى آية أخرى: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً «۳».

مع ملاحظة: أن الآية الثانية تشير إلى أن هذا الدعاء قد كان بعد صيرورة مكة بلدا، و أما الآية الأولى، فليس فيها دلالة على ذلك، بل هى تتلاءم مع ما قبل صيرورة مكة بلدا، و مع ما بعد صيرورتها بلدا.

و لكن ثمة ما يدل: على أن إبراهيم قد دعا بذلك مرتين، و فى زمانين مختلفين، كما ربما يظهر من كلام العلامة الطباطبائى و غيره «۴».

إذ ليس ثمة ما يحتم أن يكون إبراهيم يطلب من اللّه تشريع الأمن لمكة، و أن يجعلها حرما، ثم يلتزم الناس بأوامره سبحانه، لتنشأ عن ذلك حالة الأمن لها .. إذ لعله كان يطلب حصول الأمن الخارجى لذلك البلد و المنع من تعرضها للنكبات على أيدى الجبارين، و أن يوجد حرمة و هيبة لها فى نفوس الناس تردعهم عن التعرض لها بسوء، إذ لو كان «عليه السلام» يطلب أمرا تشريعيا لكان ذلك البلد قبل إبراهيم كسائر البلاد، مع أن ثمة ما يدل على أنها

---

(۱) الإستيعاب ج ۲ ص ۴۰۲ و أسد الغابة ج ۳ ص ۳۱۸.

(۲) الآية ۱۲۶ من سورة البقرة.

(۳) الآية ۳۵ من سورة إبراهيم.

(۴) تفسير الميزان ج ۱۲ ص ۶۸ و ۶۹ و التفسير الكبير للرازى ج ۴ ص ۵۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۸

كانت حراما أيضا قبل ذلك، فقد ورد فى خطبة الرسول «صلى اللّه عليه و آله» المتقدمة فى فتح مكة: أن اللّه قد «حرّم مكة يوم خلق السماوات و الأرض، فهى حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلى، و لا تحل لأحد بعدى» «۱». فراجع.

و يؤيد ذلك، بل يدل عليه: أن إبراهيم «عليه السلام» قد وصف البيت ب «المحرم» بمجرد إسكانه لذريته فى تلك البقعة، فقال: رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ .. «۲».

و من الواضح: أن إبراهيم على نبينا و آله و عليه الصلاة و السلام لم يؤسس البيت، بل رفع قواعده، و قد تقدم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب:

أن البيت قد وضع من لدن آدم «عليه السلام» و هو البيت العتيق، و هو أول بيت وضع للناس، كما دلت عليه الآيات الكريمة.

كلكم لآدم، و آدم من تراب:

و قد ظهر من خلال تلك الخطبة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» يعالج أدواء كان يراها رأى العين فى الناس، و يعرف ما لها من آثار سلبية على حياتهم، و على علاقاتهم، و طريقة تعاملهم مع بعضهم، و على روحياتهم ..

و من ذلك ظاهرة الطبقية و التميز على أسس قبائلية، و عرقية، و غير ذلك ..

فذكّرهم بأصلهم الأصيل، الذى يعطى الدليل الصريح و الصحيح على عدم وجود تميز بين الناس فالأصل هو آدم، و أصل آدم هو التراب.

---

(۱) راجع نص خطبة النبى «صلى اللّه عليه و آله» فى مكة فى المصادر المختلفة المتقدمة.

(۲) الآية ۳۷ من سورة إبراهيم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۵۹

فإن حصل تميز من أى نوع، فلا بد أن يكون بأمور عارضة اختارها الإنسان و صنعها، و أما القبائل و الشعوب، فلم يكن لأحد فى صيرورتها كذلك أى اختيار، بل هى فعل إلهى، فما معنى: أن يدّعى الناس لأنفسهم امتيازات استنادا إلى أمر لم يختاروه، و لا بذلوا أى جهد فى سبيل الحصول عليه؟!

و لذلك يلاحظ: أنه بعد أن قال «صلى اللّه عليه و آله»: كلكم لآدم و آدم من تراب ثنّى بذكر الآية الكريمة، التى تقول: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ «۱». فقد صرح بأن

الإختلاف فى الشعوب و القبائل هو من صنع اللّه تعالى، موضحا: أنه سبحانه إنما جعل فيهم هذه الخصوصيات من أجل أن يستفيد بعضهم من بعض، و يكتسبوا من هذا التنوع معرفة إلى معارفهم .. و يكون ذلك سببا فى إنشاء العلاقات، و إقرار الروابط المفيدة، و الرشيدة .. و لم يجعل ذلك سببا للتفاخر و التعالى، و الإنفصال و التباعد.

ثم بيّن أن التفاضل إنما هو بتقوى اللّه تبارك و تعالى حين قال سبحانه:

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ.

السلاح فى مكة فى عام الفيل و يوم الفتح:

و قد ورد فى كلام رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ما يلى: «إن اللّه تعالى حبس الفيل، و سلط عليهم (أو عليها)، رسوله و المؤمنين ..» «۲».

---

(۱) الآية ۱۳ من سورة الحجرات.

(۲) راجع: المحلى لابن حزم ج ۱۰ ص ۴۹۷ و صحيح ابن حبان ج ۹ ص ۲۸ و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص ۲۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۰

و قد تقدمت فى غزوة الحديبية بعض الإشارات إلى بعض ما تضمنته قصة حبس الفيل من دلالات و عبر فراجع ما ذكرناه هناك، حين التعرض لقوله «صلى اللّه عليه و آله» عن ناقته: «حبسها حابس الفيل».

غير أننا نشير هنا: إلى أن ما ورد فى هذه الخطبة، حول نفس هذا الأمر، قد أريد به لفت النظر إلى أمر مهم، و هو:

أن دخوله «صلى اللّه عليه و آله» مكة بالسلاح، و بدون إحرام، و على هيئة القتال، ليس على حد دخول أبرهة الذى جاء للعدوان على بيت اللّه، و هتك حرمة الحرم، إذ ليس كل دخول لمكة بالسلاح هتك لحرمتها، أو مناف لما يدعوهم اللّه إليه من تعظيمها، إذ لو كان كذلك لتدخل اللّه تبارك و تعالى لمنعه «صلى اللّه عليه و آله» من ذلك، كما تدخل لمنع أبرهة و جيشه منه، حيث حبس الفيل عن مكة، ليكون آية للمعتدين، و عبرة للمعتبرين، فلما اصروا على هتك حرمتها، و لم يعودوا إلى اللّه، و لم يتوبوا إليه، أرسل عليهم طَيْراً أَبابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ.

و ذلك يدل و شواهد كثيرة أخرى على: أن دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» و المسلمين كان دخول تعظيم للحرم و دفاع عن مكة و الكعبة. و ليس دخول إهانة أو استهانة ..

و حمل السلاح إنما هو من أجل رفع الحيف عن مكة و عن البيت، و إبعاد مظاهر الشرك، الذى هو أعظم مظاهر الإهانة، و تطهيرها من الظلم و العدوان، و إخراجها من أيدى العتاة و المستكبرين.

و الخلاصة: أن تسليط المسلمين على مكة، إنما هو لإعزازها، و إعزاز الكعبة، و لإحقاق الحق، و إبطال الباطل، و اقتلاع الشرك و الوثنية، و إعلاء

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۱

كلمة اللّه تعالى، و نشر التوحيد، و توجيه الناس إلى عبادة اللّه.

أما أهداف أصحاب الفيل، فهى أهداف شريرة و باطلة، و هى إطفاء نور اللّه، و ترسيخ قواعد الباطل و الشرك و الوثنية.

لا ينفر صيدها!! و لا يختلى شوكها!!:

قال العلامة الأحمدى «رحمه اللّه تعالى» حول قوله «صلى اللّه عليه و آله» فى خطبته لا ينفر صيدها، و لا يختلى شوكها، ما يلى:

«هذه الجمل بيان لأخفى ما يحرم من مكة و أدنى ما هو حرام، لأنها حرم، فيحرم شوكها و لقطتها، و يحرم نفر الحيوان البرى الذى يصاد فى غيرها؛ ليعلم من ذلك حرمة الباقى.

فإنه إذا حرم الشوك الذى لا نفع فيه إلا الإحراق حرم ما سواه بالأولوية.

و إذا حرم نفر الحيوان البرى يعلم منه حرمة جرحه، و قتله، و أخذه و ..

و قتل الإنسان، و إخافته، و إزعاجه.

و إذا حرم لقطتها، حرم أموال الناس بأى نحو أخذت إلا برضا صاحبها، و إذا كانت أموال الناس حراما فى غير هذه البلدة، كانت حرمتها فيها أشد و آكد» «۱». و هذا كلام سديد رحم اللّه قائله، و حشره مع محمد و آله الطاهرين.

---

(۱) مكاتيب الرسول ج ۳ ص ۵۹۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۲

الإعلان الأول: التوحيد:

إن أول إعلان أطلقه «صلى اللّه عليه و آله» فى خطبته الأولى فى مكة هو التوحيد، و رفض الشريك للّه تبارك و تعالى فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له».

و التوحيد هو غاية الغايات، و أساس الكمالات، و منشأ السعادات، شرط أن يكون حقيقيا، و تاما، و راسخا، و شاملا لكل مناحى الحياة، فى الفكر، و فى القول، و فى العمل، فلا يوحد اللّه بالقول، ثم تكون شهوته و نفسه، أو ولده، أو زوجته، أو زعيمه، أو أى شىء آخر هو الذى يتحكم بقراراته، و يهيمن على مواقفه، و على حركته فى الحياة ..

و لا يكون ممن وصفهم اللّه تعالى بقوله: وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ «۱».

لك بها دار فى الجنة:

و يقولون: إنه حين فرغ «صلى اللّه عليه و آله» من خطبته قام أبو أحمد، عبد اللّه بن جحش على جمل له على باب المسجد، و هو يصيح: أنشد باللّه يا بنى عبد مناف حلفى، و أنشد باللّه يا بنى عبد مناف دارى.

فدعا النبى «صلى اللّه عليه و آله» عثمان بن عفان فأسر إليه بشىء، فذهب عثمان إلى أبى أحمد فسارّه، فنزل أبو أحمد عن بعيره، و جلس مع القوم.

---

(۱) الآية ۱۰۶ من سورة يوسف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۳

فما يسمع أبو أحمد ذاكرها حتى لقى اللّه تعالى.

و كان أبو أحمد قد حالف بنى حرب بن أمية. و كان أبو سفيان قد باع دار أبى أحمد بأربع مائة دينار، فثارت ثائرة أبى أحمد، و قال أبياتا يلوم فيها أبا سفيان.

فقال له النبى «صلى اللّه عليه و آله»: لك بها دار فى الجنة «۱».

و نقول:

أولا: إن عبد اللّه بن جحش قد استشهد فى غزوة أحد «۲»، أى قبل فتح مكة بحوالى خمس سنوات.

و أما القول: بأن أبا أحمد هو عبيد اللّه بن جحش- كما ربما يظهر من الكلمات «۳»- فلا يصح أيضا؛ لأن من المجمع عليه: أن عبيد اللّه بن جحش كان ممن هاجر إلى الحبشة، و تنصر، و مات هناك، و هو زوج أم حبيبة، التى زوجها النجاشى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، لا نجد خلافا فى ذلك «۴».

و الظاهر: أن الصحيح هو: أن اسم أبى أحمد «عبد» بن جحش، بغير

---

(۱) راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۰ و ۸۴۱.

(۲) طبقات ابن سعد ج ۳ ق ۱ ص ۶۴ و أسد الغابة ج ۳ ص ۱۳۱ و الإصابة ج ۲ ص ۲۸۷ و صفة الصفوة ج ۱ ص ۳۸۶ و السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۰۰.

(۳) راجع: السيرة الحلبية ج ۲ ص ۳۰۰.

(۴) راجع: أسد الغابة ج ۳ ص ۱۳۱ و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ۲ ص ۲۷۲- ۲۷۴ و الإصابة ج ۴ ص ۴ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۳ ق ۱ ص ۶۲ و التنبيه و الإشراف ص ۲۲۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۴

إضافة، و قالوا: كان ضريرا، و كانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان «۱».

ثانيا: ما أبعد ما بين موقف هذا الرجل، حيث وعده النبى «صلى اللّه عليه و آله» بدار فى الجنة فى مقابل داره، فنزل عن بعيره، و جلس مع القوم، فما سمع ذاكرها حتى لقى اللّه تعالى .. و بين موقف سمرة بن جندب الذى كانت له نخلة فى دار شخص آخر، فصار يدخل إليها من دون إذن، و رفض الإنصياع لطلب صاحب الدار بالإستئذان، و رفض طلب النبى «صلى اللّه عليه و آله» منه أن يستأذن، ثم رفض أن يبيعها لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعذق فى الجنة، فلم يزل يزيده حتى بلغ عشرة أعذاق.

فقال: لا أريد.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: إنك رجل مضار، و لا ضرر و لا ضرار على مؤمن.

ثم أمر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بالنخلة فقلعت، ثم رمى بها إليه، و قال له: اذهب فاغرسها حيث شئت «۲».

---

(۱) راجع: الإصابة ج ۴ ص ۳ و ۴ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ۴ ص ۱۲ و ۱۳ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ۳ ق ۱ ص ۶۲.

(۲) الكافى ج ۵ ص ۲۹۴ و راجع ص ۲۹۲ و راجع أيضا: من لا يحضره الفقيه ج ۳ ص ۲۳۳ و ۱۰۳ و تهذيب الأحكام ج ۷ ص ۱۴۷ و الوسائل ج ۱۷ ص ۳۴۰ و ۳۴۱ و البحار ج ۱۰۰ ص ۱۲۷ و الفائق ج ۲ ص ۴۴۲ و مصابيح السنة للبغوى ج ۲ ص ۱۴ و النظم الإسلامية ص ۳۲۱ عن أبى داود، و عن عون المعبود ج ۲ ص ۳۵۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۵

صدق وعده، و نصر عبده:

۱- و قد بيّن «صلى اللّه عليه و آله»: أن هذا الفتح العظيم قد كان وعدا من اللّه، و قد أنجز تبارك و تعالى وعده، و هذا يمثل دلالة أخرى لعبّاد الأصنام الذين ما زالوا يحاربونه حتى تلك اللحظة، و يجهدون للاحتفاظ بشركهم و بأصنامهم، على أن عليهم أن يتخلوا

عن حالة الصلف و العناد، فهم أحقر و أعجز من أن يتمكنوا من تحدى إرادة اللّه تبارك و تعالى ..

و ها هم يرون بأم أعينهم كيف أن اللّه أنجز وعده لنبيه الكريم «صلى اللّه عليه و آله»، رغم كل ما كادوه به.

۲- ثم إنه تعالى لم ينسب النصر إلى نفسه، و لا تبجح- و العياذ باللّه- بتدبيره الذكى، و خطته المحكمة، و لا فاخر بجيشه الكبير، بل نسبه إلى اللّه دون سواه، بل هو لم يفسح المجال لاحتمال أن يكون لغير اللّه أدنى تأثير فى هذا النصر حين صرح: بأن اللّه وحده قد هزم الأحزاب المختلفة التى كانت تتألب عليه، و تجمع الجموع من كل قبيلة و حى، و من مختلف البلاد التى تجد فيها من يعينها، و يشاركها فى عدوانها على الحق و أهله ..

۳- و قد احتفظ «صلى اللّه عليه و آله» لنفسه بسمة العبودية التى يأنف الناس من إطلاقها على أنفسهم إلا بضروب من التأويلات، و فنون من الإيحاءات، و لو بمثل دعوى التواضع، و هضم النفس.

و الحرب مع المشركين هى فى واقعها حرب مع حالة الإستكبار عن الإنصياع لهذه الحقيقة، و الإباء عن الإعتراف بها. فإنهم لا يريدون أن يكونوا عبيدا للّه، بل يريدون أن يكونوا عبيدا لشهواتهم، و لأهوائهم، و لعتاتهم، و ساداتهم، و كبرائهم، الذين يتخذونهم أربابا من دون اللّه تعالى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۶

و لكن الرسول العظيم، و النبى الكريم «صلى اللّه عليه و آله» كان يرى أن أعظم و سام، و أسمى مقام هو و سام و مقام العبودية للّه سبحانه، و كلما تحقق الإنسان فى هذه العبودية، و أوغل فيها كلما سما فى مدارج الكمال، و حصل على مقام القرب و الزلفى من اللّه، و يكون مع اللّه، و يكون اللّه تعالى معه، يحب ما يحب، و يكره ما يكره، و يريد ما يريد .. فإن للّه عبادا إذا أرادوا أراد «۱».

و فى الحديث القدسى: عبدى أطعنى تكن مثلى، تقول للشىء: كن، فيكون «۲».

نعم .. إنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يعط لنفسه ألقابا، و لا منحها أوصافا، بل هو لم يشر إليها بأية كلمة تدل على أن لها أى درجة من الإستقلال، و الإنفصال، و لو بمقدار كلمة «أنا»، بل حين تحدث عن نفسه قد وصفها بما دل على سلب أية خصوصية من هذا القبيل، ألا و هو وصف العبودية له تعالى ..

إلا الإذخر:

و ذكروا: أن العباس هو الذى استثنى الإذخر، من بين الأمور التى حرم على الناس العدوان عليها .. قالوا: «فقال العباس، و كان شيخا مجربا:

---

(۱) أضواء على السنة المحمدية لأبى رية ص ۱۲۵ و نظرات فى التصوف و الكرامات لمحمد جواد مغنية ۸۹.

(۲) مستند الشيعة ج ۱ ص ۶ و الإمام على للهمدانى ص ۳۶۲ و الفوائد الرجالية لبحر العلوم ج ۱ ص ۲۹ و راجع: الفوائد العلية ج ۲ ص ۳۹۴ و الجواهر السنية ۳۶۱ و البحار ج ۱۰۲ ص ۱۶۵ و شجرة طوبى ج ۱ ص ۳۳ و مشارق أنوار اليقين ص ۱۰.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۷

إلا الإذخر يا رسول اللّه، فإنه لا بد لنا منه، للقين، و ظهور البيوت.

فسكت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ساعة، ثم قال: إلا الإذخر، فإنه حلال».

و نقول:

إن هذا الموقف يحتاج إلى تبصر و تأمل، و لكننا نكتفى هنا بالإلماح إلى بعض ما يظهر لنا فيه.

فأولا- هل كان النبى الأعظم «صلى اللّه عليه و آله»، الذى لم يزل يخبر الناس بالمغيبات، لا يعرف أن الإذخر مما يحتاج إليه للقين، و

لأسقف البيوت؟! و عرف ذلك العباس دونه؟!

ثانيا: هل عرف ذلك العباس و لم يعرفه سائر شيوخ قريش، و سواها من ساكنى مكة، من بنى بكر و خزاعة، و .. و ..؟!

ثالثا: هل كان النبى الأكرم «صلى اللّه عليه و آله» يحلل و يحرم من عند نفسه؟! أم كان يتكلم بوحى من اللّه تعالى؟!

فإن كان ما يأتى به هو الوحى الإلهى، فما معنى تدخل العباس فيه؟

فهل لم يكن اللّه- و العياذ باللّه- يعرف قيمة الإذخر، و أهميته لأهل مكة، حتى نطق العباس؟ أم انه كان يعرف ذلك، لكنه كان يريد تصعيب الأمور عمدا على أهل مكة؟! ثم تراجع استجابة لطلب العباس؟!

و إن كان ما يأتى به إنما يأتى به من عند نفسه، فلما ذا يقول القرآن عنه:

وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى؟! «۱».

---

(۱) الآيتان ۳ و ۴ من سورة النجم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۸

و كيف نستطيع أن نفرق بين ما يكون من عند نفسه، و ما يكون من عند ربه، فنتدخل فى الأول، و نسكت فى الثانى؟!

و إذا كان يتكلم من عند نفسه، فهل هو يخطئ فيه، و يسهو و .. و ..

الخ ..؟! أم أنه معصوم فيه؟!

فإن كان يخطئ فيه، فلا شىء يدعو إلى الوثوق بما يأتى به. و هل يمكن تجزئة العصمة؟ و إن كان معصوما فيه، فلما ذا يتدخل العباس أو غيره فى شأن لا يمكن أن يقع فيه خطأ و لا سهو، و لا تقصير؟! ..

رابعا: لماذا سكت النبى «صلى اللّه عليه و آله» هذا الوقت الطويل و لم ينطق بالحكم مباشرة ألا يدل سكوته هذا على أنه قد تبرم و تضايق من تدخل العباس فى أمر إلهى، و وحى ربانى، و حكم شرعى، لا يحق لأحد التدخل فيه؟!

أم أنه سكت ليتأمل فى صحة كلام العباس، و خطئه، فلما ظهر له وجه الصواب فيه أقره؟!

ألا يعدّ هذا النوع من الإحتمالات إهانة لمقام النبوة الأقدس، و إساءة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، ما بعدها إساءة؟!

خامسا: هل جاء قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» عن الإذخر:

«فإنه حلال» حكاية لحكم اللّه الواقعى، أم جاء مجاراة للعباس، و إرضاء لخاطره الشريف، و إنفاذا لأمره، الذى جاء بطريقة تضمنت إساءة لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و خروجا عن حدود الآداب.

سادسا: إذا كان الناس يحتاجون الإذخر، و هو الحشيش الأخضر لظهور البيوت، فإنهم يحتاجون الأشجار لأمور أخرى، مثل صنع الأبواب، و عمل

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۶۹

الكراسى، و المناضد، و سائر الحاجات .. فلما ذا منع من قطع الشجر أيضا، مع أن الحاجة إلى قطعه أشد من الحاجة إلى الحشيش الأخضر؟

كما أنهم يحتاجون إلى العظاة- هو الشجر الذى له شوك- لأجل الوقود و إنضاج الأطعمة، و التدفئة، و نحو ذلك، فلما ذا لم يرخص لهم به أيضا.

و اقتصرت الرخصة على الإذخر؟!

إن الحقيقة هى: أن هؤلاء الناس يريدون أن يمنحوا العباس شرفا، فمنحوه ما يوجب نقصا و تقززا و قرفا. و أرادوا أن يسموه بسمات الأخيار و الأبرار، فوصموه بما يهين و يشين من وصمات الأشقياء و الأشرار ..

اجتهاد الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

و قد زعم بعض الناس: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان متعبدا بالاجتهاد فيما لا نص فيه .. و قد استدلوا على ذلك بأدلة واهية .. و من ذلك فى فتح مكة حسبما ذكره الآمدى:

۱- روى عنه: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال فى مكة: لا يختلى خلاها، و لا يعضد شجرها.

فقال العباس: إلا الإذخر.

فقال «عليه السلام»: إلا الإذخر.

قال: «و معلوم أن الوحى لم ينزل عليه فى تلك الحالة، فكان الإستثناء بالإجتهاد» «۱».

---

(۱) الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۴۴ و ۱۴۵ ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۰

و قال فى موضع آخر: «معلوم أن ذلك لم يكن إلا من تلقاء نفسه، لعلمنا: بأن الوحى لم ينزل عليه فى تلك الحالة، و لو لا أن الحكم مفوض إليه لما ساغ ذلك» «۱».

و لكن الآمدى نفسه قد ذكر: أن بعضهم أجاب عن ذلك بقوله: «إن الإذخر ليس من الخلا، فلا يكون داخلا فيما حرم. و على هذا، فإباحته تكون بناء على استصحاب الحال. و الإستثناء من العباس و النبى «عليه السلام» كان تأكيدا. و بتقدير أن يكون مستثنى حقيقة مما حرم بطريق التأسيس، لكن من المحتمل أن يكون ذلك بوحى سابق، و هو الأولى، لقوله تعالى فى حق رسول اللّه: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۲». أما أن يكون ذلك من تلقاء نفسه من غير دليل فلا» «۳».

و نقول:

ألف: إن من الواضح: أن العباس قد قطع على النبى «صلى اللّه عليه و آله» كلامه، و لم يمهله ليستثنى الإذخر و لا غيره .. و لعل سكوت النبى «صلى اللّه عليه و آله» لفترة قصيرة فى تلك اللحظة كان لإظهار انزعاجه من هذه المداخلة، التى تخرج عن حدود المقبول فى التعامل مع الأنبياء، بل و مع غيرهم أيضا ..

ب: على أننا فى غنى عن التذكير بأن النبى «صلى اللّه عليه و آله» كان

---

(۱) الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۴.

(۲) الآيتان ۳ و ۴ من سورة النجم.

(۳) الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۴۴ و ۱۴۵ ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۱

واقفا على ملاكات الأحكام، عارفا بحدود الحلال و الحرام، فلا حاجة إلى الوحى الفعلى و التفصيلى فى كل كبيرة و صغيرة، و لذلك فوض اللّه تعالى إليه حق وضع الأحكام و تشريعها فى الوقت الذى تكتمل فيه عناصره ..

و قد أوضحنا ذلك فى كتابنا: «الولاية التشريعية» فراجع.

۲- و استدلوا- كما ذكره الآمدى أيضا- بما روى عنه «صلى اللّه عليه و آله»: «أنه أمر مناديا يوم فتح مكة: «أن اقتلوا ابن حبابة، و ابن أبى سرح، و لو كانا متعلقين بأستار الكعبة» ثم عفا عن ابن أبى سرح، بشفاعة عثمان.

و لو كان قد أمر بقتله بوحى لما خالفه بشفاعة عثمان» «۱».

و أجابوا أيضا: «يجوز أن يكون قد أبيح القتل، و تركه بالوحى، بدليل ما سبق فى الآية» «۲».

أى بدليل أنه «صلى اللّه عليه و آله» لا يقول ما يقول إلا بوحى، لقوله تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى.

غير أننا بنحو آخر من البيان نقول:

إن الحكم بالقتل كان متعلقا بهؤلاء الناس، من حيث أن جرمهم يوجب ذلك .. فإذا استجدت أمور، مثل ظهور التعصب القبلى أو حدوث انشقاقات خطيرة توجب فسادا كبيرا، و تضييعا لحقوق الكثيرين، و صدا عن سبيل اللّه، بحيث يمنع ذلك من دخول بعض الناس فى الإسلام أو نحو ذلك، فإن الحكم بالقتل يرتفع و يحل محله العفو. أى أن الحكم يتبدل

---

(۱) الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۲.

(۲) الإحكام فى أصول الأحكام ج ۴ ص ۱۸۴.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۲

بسبب تبدل طرأ على موضوعه.

و هذا نظير ما لو استحق ولدك عقوبة على ذنب ارتكبه، فإذا شفع له إنسان عزيز تحب أن تكرمه و تظهر للناس موقعه و مكانته، فإنك تعفو عنه من أجله، و كذلك الحال فيما إذا شفع فيه إنسان ظالم يخشى من أن يتسبب رد أمره ورود ظلم أو أذى على أناس أبرياء، فإنك تغض النظر عن عقوبة ذلك المذنب، و تظهر أنك قد عفوت عنه رعاية لهذه الخصوصية.

فظهر أن هناك حكمين قد اختلفا بسبب اختلاف موضوعيهما، و قضية ابن سرح من هذا القبيل.

كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر:

و أما ما ورد فى الخطبة: من أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال فيها: «.. كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر، من ضحوة نهار الفتح إلى صلاة العصر منه».

فخبطوهم ساعة، و هى الساعة التى أحلت لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و لم تحل لأحد قبله.

فنقول فيه:

أولا: إن هذا النص إنما ورد فى بعض نصوص الخطبة دون بعض ..

و هذا و إن كان لا يدل على عدم صحة هذه الفقرة، و لكنه يفسح المجال للتأمل فى صحتها، و إن وجد ما يقتضى ذلك. كما هو الحال فى هذا المورد كما سنرى.

ثانيا: إذا كانت بنو بكر قد هاجمت جزاعة و قتلت منها، فإن قريشا قد

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۳

شاركت فى هذا الأمر، و كانت مع من هاجم، ثم أرسلت أبا سفيان ليخدع المسلمين، و يبطل دم المقتولين المظلومين .. فلما ذا لا يشرك قريشا مع بنى بكر فى إعطاء خزاعة حق قتلهم؟

ثالثا: إذا كان ثأر خزاعة عند بنى بكر، و قريش بريئة منه، فلما ذا اعتبر النبى «صلى اللّه عليه و آله» ما جرى نقضا للعهد من قبل قريش بالذات؟! و ما المبرر لجمع هذا الجيش العظيم، و مهاجمة مكة، و فتحها؟!

و لماذا نهى خالد بن الوليد عن القتال؟ و أمره أن يكف عن ملاحقة الناس؟!

و كيف سيفهم الناس ذلك كله، خصوصا أهل مكة الذين استسلموا و لم يسلموا، و لما يدخل الإيمان فى قلوبهم؟!

رابعا: إن وقت صلاة العصر إذا كان يبدأ من حين الإنتهاء من صلاة الظهر إلى حين الغروب، فإن معنى قوله: «من ضحوة نهار الفتح

إلى صلاة العصر منه» يصبح غير واضح المعنى. إلا إذا أريد الحديث عن وقت فضيلة العصر ..

و على كل حال، فقد أشرنا إلى ما هو الحق فى وقت صلاة العصر فى فصل: المسير إلى حصون قريظة، تحت عنوان: لماذا لم يعنف النبى «صلى اللّه عليه و آله» تاركى الصلاة؟!

خامسا: لم يذكر لنا التاريخ شيئا عن قتلى بنى بكر على يد خزاعة، و لا قتلى خزاعة على يد المدافعين من بنى بكر، فهل يعقل أن تستمر معركة ساعات طوالا، و لا يسقط فيها عشرات القتلى و الجرحى؟!

سادسا: الضحوة: هى ارتفاع النهار، فإذا كانوا قد خبطوهم من ضحوة النهار إلى وقت صلاة العصر، فإن ذلك يكون ساعات لا ساعة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۴

واحدة، و كيف إذا كان «يقصرها بيده هكذا»؟!

و أخيرا ما معنى: أن يكرر نفس العبارة فى نفس تلك الخطبة، فيذكرها فى وسطها، ثم يذكرها فى آخرها؟!.

اكتبوا لأبى شاة:

و قوله «صلى اللّه عليه و آله»: اكتبوا لأبى شاة، و عشرات الروايات الأخرى الآمرة بتقييد العلم و بكتابته حجة دامغة على الذين منعوا من كتابة الحديث بعد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

على أن ما زعموه مبررا لذلك، و هو: أنهم خافوا من اختلاط الحديث بالقرآن، أو أنه لا كتاب مع كتاب اللّه، ما هو إلا رد للنص من أجل مآرب خاصة، لا نريد الإفاضة فى بيانها. و قد ذكرنا طائفة مما يفيد فى هذا البحث فى الجزء الأول من هذا الكتاب، فراجع.

التبرك بالرسول صلّى اللّه عليه و آله:

عن عبد اللّه بن عبيدة: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعد خطبته عدل إلى جانب المسجد، فأتى بدلو من ماء زمزم، فغسل منها وجهه، ما يقع منه قطرة إلا فى يد إنسان، إن كانت قدر ما يحسوها حساها، و إلا مسح جلده.

و المشركون ينظرون، فقالوا: ما رأينا ملكا قط أعظم من اليوم. و لا قوما أحمق من القوم «۱».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۳ عن ابن أبى شيبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۵

الفصل التاسع: مفتاح الكعبة .. و البيعة

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۷

مفتاح الكعبة مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله:

ثم خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من البيت و المفتاح فى يده، و خالد بن الوليد يذب الناس عن الباب حتى خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

و عن برة بنت أبى تجراة، قالت: نظرت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و فى يده المفتاح، ثم جعله فى كمه «۱».

قال الزهرى: إنه بعد أن خطب النبى «صلى اللّه عليه و آله» خطبته المتقدمة، نزل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و معه المفتاح، فتنحى من المسجد، فجلس عند السقاية «۲».

و كان «صلى اللّه عليه و آله» قد قبض مفتاح السقاية من العباس، و مفتاح البيت من عثمان. فأرجع المفتاح إلى عثمان و دفع السقاية إلى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۲ عن الواقدى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۵.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۳ عن عبد الرزاق، و الطبرانى، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۷ و ۸۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۸

العباس «۱».

مفتاح الكعبة لبنى شيبة:

و قالوا: قال عثمان بن طلحة: لقينى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بمكة قبل الهجرة، فدعانى إلى الإسلام، فقلت: يا محمد، العجب لك حيث تطمع أن أتبعك، و قد خالفت دين قومك، و جئت بدين محدث.

و كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية الإثنين و الخميس، فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت عليه، و نلت منه.

فحلم عنى، ثم قال: «يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت».

فقلت: لقد هلكت قريش و ذلت.

قال: «بل عمرت يومئذ و عزت».

و دخل الكعبة، فوقعت كلمته منى موقعا، فظننت أن الأمر سيصير كما قال، فأردت الإسلام، فإذا قومى يزبروننى زبرا شديدا.

فلما كان يوم الفتح قال لى: «يا عثمان، ائت بالمفتاح».

فأتيته به. فأخذه منى، ثم دفعه إلى و قال: «خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن اللّه استأمنكم على بيته، فكلوا مما وصل إليكم من هذا البيت بالمعروف».

فلما وليت نادانى، فرجعت إليه، فقال: «ألم يكن الذى قلت لك؟

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۳ عن الواقدى، عن شيوخه، و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۷ و ۸۳۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۷۹

فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة: «لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت».

فقلت: بلى. أشهد أنك رسول اللّه.

فقام على بن أبى طالب، و مفتاح الكعبة بيده، فقال: يا رسول اللّه، اجمع لنا الحجابة مع السقاية!

(و فى رواية: أن العباس تطاول يومئذ لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم. أى منهم على «عليه السلام») «۱».

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أين عثمان بن طلحة؟

فدعى، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء».

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مضطجع «۲» بثوبه عليه، و قال: «غيبوه. إن اللّه تعالى رضى لكم بها فى

الجاهلية و الإسلام» «۳».

و عن ابن جريح: أن عليا «عليه السلام» قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: اجمع لنا الحجابة و السقاية، فنزلت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. «۴».

---

(۱) راجع هذه الفقرة فى: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ و فى هامشه عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۰۱.

(۲) اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن و غطى به الأيسر.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ عن ابن سعد و الواقدى، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰ و ۱۰۱ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۳۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵ و ۸۸ و عن البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۰۱.

(۴) الآية ۵۸ من سورة النساء.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۰

فدعا عثمان، فقال: «خذوها يا بنى شيبة خالدة مخلدة».

و فى لفظ: «تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم» «۱».

و عن جابر و مجاهد: أنه «صلى اللّه عليه و آله» دخل فى الكعبة يوم الفتح، فخرج «صلى اللّه عليه و آله» و هو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان بن طلحة، فدفع إليه المفتاح، و قال «صلى اللّه عليه و آله»: «خذوها يا بنى أبى طلحة بأمانة اللّه سبحانه و تعالى لا ينزعها منكم إلا ظالم» «۲».

و عن سعيد بن المسيب: «لا يظلمكموها إلا كافر» «۳».

و فى لفظ ابن سابط: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعثمان بن طلحة:

«إنى لم أدفعها إليكم، و لكن اللّه تعالى دفعها إليكم» «۴».

و عن الزهرى: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما خرج من البيت قال على «عليه السلام»: «إنا أعطينا النبوة و السقاية و الحجابة، ما قوم بأعظم نصيبا منّا».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ و ۲۴۵ عن ابن عائذ، و الأزرقى، و راجع:

السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن الأزرقى و قال فى هامشه: أخرجه الطبرانى فى الكبير ج ۱۱ ص ۱۲۰، و انظر المجمع ج ۳ ص ۲۸۵ و ابن سعد ج ۲ ق ۱ ص ۹۹ و أبا نعيم فى تاريخ أصفهان ج ۱ ص ۲۴۸ و السيوطى فى الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ و ۱۷۴ عن ابن جرير و ابن المنذر.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱.

(۴) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ عن ابن عائذ، و ابن أبى شيبة، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۱

فكره رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحة، فدفع المفتاح إليه و قال: «غيبوه» «۱». فلذلك يغيب المفتاح «۲».

و عند الحلبى: أن عليا «عليه السلام» أخذ المفتاح و قال: يا رسول اللّه، إجمع لنا الحجابة مع السقاية.

فقال «صلى اللّه عليه و آله» لعلى «عليه السلام»: أكرهت و آذيت، و أمره «صلى اللّه عليه و آله» أن يرد المفتاح على عثمان و يعتذر إليه، فقد أنزل اللّه فى شأنك. أى أنزل اللّه عليه ذلك و هو فى جوف الكعبة. و قرأ عليه الآية، ففعل ذلك على» «۳».

و سياق هذه الرواية يدل: على أن عليا كرم اللّه وجهه أخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان، فلما نزلت الآية أمره «صلى اللّه عليه و آله» أن يرد المفتاح لعثمان .. «۴».

و عن ابن جريح عن ابن مليكة: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال لعلى يومئذ حين كلمه فى المفتاح: «إنما أعطيتكم ما ترزؤون، و لم أعطكم ما ترزؤون».

يقول: «أعطيتكم السقاية لأنكم تغرمون فيها، و لم أعطكم البيت».

قال عبد الرزاق: أى أنهم يأخذون من هديته «۵».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن عبد الرزاق، و الطبرانى.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۴ عن الفاكهى.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰.

(۴) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰.

(۵) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن عبد الرزاق و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۲

و عند الحلبى: إنما أعطيتكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس، أى و هو السقاية، لا ما تأخذون منه من الناس أموالهم، و هى الحجابة، لشرفكم، و علو مقامكم «۱».

و اللافت هنا: أن الواقدى يذكر نفس هذه القضية، بعين ألفاظها، و ينسبها إلى العباس لا إلى على «عليه السلام» «۲».

عن ابن أبى مليكة: أن العباس- رضى اللّه عنه- قال للنبى «صلى اللّه عليه و آله»: يا نبى اللّه!! اجمع لنا الحجابة مع السقاية.

و نزل الوحى على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: «ادعوا لى عثمان بن طلحة»، فدعى له، فدفع له النبى «صلى اللّه عليه و آله» المفتاح، و ستر عليه.

قال: فرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أول من ستر عليه، ثم قال:

«خذوها يا بنى طلحة، لا ينتزعها منكم إلا ظالم» «۳».

و فى رواية: «أنه لما دعا عثمان بن طلحة، و قال له: أرنى المفتاح، فأتاه به، فلما بسط يده إليه قام العباس، فقال: يا رسول اللّه، اجعله لى مع السقاية، فكف عثمان يده.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أرنى المفتاح، فبسط يده يعطيه.

فقال العباس مثل كلمته الأولى، فكف عثمان يده.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۰.

(۲) راجع: المغازى ج ۲ ص ۸۳۳ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۵ عن البحر العميق.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۵ عن عبد الرزاق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۳

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: يا عثمان، إن كنت تؤمن باللّه و اليوم الآخر فهاتنى المفتاح.

فقال: هاك بأمانة اللّه».

(فأعطاه إياه، و نزلت الآية. قال ابن ظفر فى الينبوع: و هذا أولى) «۱».

و لعل هذا كان قبل دخوله «صلى اللّه عليه و آله» الكعبة، فيكون طلب العباس رضى اللّه عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبة و بعده «۲».

و بعد أن ذكر الحلبى: أن عليا «عليه السلام» دفع المفتاح إلى عثمان .. ثم ذكر أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» طلب من عثمان أن يأتى به، قال عثمان:

فأتيته به، فأخذه ثم دفعه إلىّ و قال: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم الخ ..

قال الحلبى: «و لا مانع أن يكون ذلك بعد أن دفعه على كرم اللّه وجهه له بأمره «صلى اللّه عليه و آله»، و كأنه «صلى اللّه عليه و آله» أحب أن يؤدى الأمانة بيده الشريفة من غير واسطة ..» «۳».

و نقول:

إن لنا مع ما تقدم عدة وقفات، نجملها على النحو التالى:

---

(۱) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷ و الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۴ عن ابن مردويه، و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۴

السقاية:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قبض مفتاح السقاية من العباس.

و السؤال هو: هل كان للسقاية من زمزم مفتاح أيضا؟! أم المقصود هو جعل السقاية فى عداد الحجابة؟!

و الذى نعرفه هو: أن السقاية كانت أحواضا من أدم، يوضع فيها الماء العذب من زمزم لسقاية الحاج، و قد يطرح فيها التمر، لتزيد عذوبة الماء، و يلذ طعمه لشاربه.

فلعلهم كانوا قد وضعوا موانع تمنع الناس من الوصول إلى تلك الأحواض، و جعلوا لها أقفالا و مفاتيح.

توضيح أكرهت و آذيت:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» قال لعلى «عليه السلام» حين طلب منه أن يجمع لهم الحجابة إلى السقاية:

أكرهت و آذيت. و أمره أن يرد المفتاح إلى عثمان، و يعتذر إليه.

و نقول:

المقصود: أن عليا «عليه السلام» أكره و آذى عثمان بن طلحة حين امتنع عن دفع المفتاح، حيث لحقه إلى سطح الكعبة، و لوى يده، و أخذ المفتاح منه، و هو إكراه و أذى يحبه اللّه سبحانه، و فى سياق امتثال أوامره تعالى، فإن امتناع عثمان عن إعطاء المفتاح يفرض إكراهه على ذلك، لأن امتناعه يمثل تمردا على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» الذى لا ينطق عن

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۵

الهوى .. فإذا لجّ فى ذلك، فلا بد من إيذائه لدفع أذاه، و رد كيده ..

فكأن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يريد تطييب خاطر عثمان و بنى شيبة، و رد المفتاح إليهم تألفا على الإسلام، كما كان يتألف أبا سفيان، و غيره من رؤوس الكفر و الشرك.

أعطيتكم ما ترزؤون:

و قول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» للعباس: أعطيتكم ما ترزؤون.

أى ما تبذلون فيه اموالكم للناس، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالا يوضح: أن إعطاء الحجابة لبنى شيبة يراد منه إفساح المجال لهم لأخذ ما يقدمه الناس لهم، و هذا يؤيد ما ذكرناه آنفا من أن المقصود من بذل تلك المنافع لهم هو: تألفهم على الإسلام، و سل سخيمتهم عليه، ليعيشوا فى أجوائه بسكينة و رضا.

و لو أن بنى هاشم أخذوا الحجابة منهم، لوجد المنافقون و الحاسدون و الطامعون مجالا خصبا لاتهام النبى «صلى اللّه عليه و آله» بمحاباة أهل قرابته، و ابتغاء المنافع لهم، و تخصيصهم بالمغانم، و الأموال، و المناصب، الأمر الذى قد يؤثر على ضعفاء العقول، و من هو رقيق الدين، حديث الإيمان و الإسلام.

و لا نشك فى أن عليا «عليه السلام» كان يدرك هذه الحقيقة، فلم يكن ليفكر بطلب الحجابة لنفسه، و لا لبنى هاشم أصلا كما سنرى .. و لكن الأمر بالنسبة للعباس ليس كذلك، فقد دلتنا بعض النصوص على أنه كان يسعى للحصول على بعض المنافع.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۶

و قد أشرنا إلى شىء من ذلك فيما سبق، و لسنا بصدد تحقيق هذا الأمر.

اللّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات:

و حول نزول آية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. «۱»

نقول:

إن هذه الآية قد وردت فى سورة النساء التى انتهى نزولها قبل فتح مكة بعدة سنوات، و لو قبلنا جدلا بأن هذه الآية قد ألحقت بموضعها من السورة بعد سنوات من تمامية نزولها، و هو أمر لا شاهد له سوى الإدعاء و التحكم، فإننا نقول:

قد روى فى شأن نزول هذه الآية ما يدل على أنها لم تنزل فى شأن عثمان بن طلحة فى فتح مكة فلاحظ ما يلى:

۱- عن زيد بن أسلم: أنزلت هذه الآية فى ولاة الأمر، و فيمن ولى من أمور الناس شيئا «۲».

۲- عن شهر بن حوشب قال: نزلت فى الأمراء خاصة، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها .. «۳».

۳- عن ابن عباس فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ

---

(۱) الآية ۵۸ من سورة النساء.

(۲) الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ عن المصنف لابن أبى شيبة، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم.

(۳) الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۷

إِلى أَهْلِها .. قال: يعنى السلطان، يعطون الناس «۱».

على عليه السّلام لا يطلب الحجابة:

و قد ذكرت الروايات: أن عليا «عليه السلام» طلب الحجابة لنفسه أو لبنى هاشم، و قد تضمنت تلك الروايات نفسها أمورا تدل على أنها مفتراة، و نحن نجمل ملاحظاتنا عليها على النحو التالى:

۱- إن ثمة تناقضا ظاهرا بين الروايات، بل قد تجد التناقض فى الرواية الواحدة و نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ألف: أن الرواية تقول: إن النبى «صلى اللّه عليه و آله» أخذ المفتاح من عثمان، ثم دفعه إليه، و قال: خذوها خالدة تالدة الخ ..

ثم إن الرواية نفسها تتبع ذلك بالقول: فقام على بن أبى طالب «عليه السلام» و مفتاح الكعبة بيده، فقال: يا رسول اللّه، اجمع لنا الحجابة مع السقاية.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أين عثمان بن طلحة؟

فدعى، فقال «صلى اللّه عليه و آله»: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر و وفاء.

قالوا: و أعطاه المفتاح و رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مضطبع بثوبه عليه ..

فهل أعطى النبى «صلى اللّه عليه و آله» عثمان المفتاح قبل طلب على

---

(۱) الدر المنثور ج ۲ ص ۱۷۵ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۸

«عليه السلام»؟! أم بعده؟!

و هل كان المفتاح مع على «عليه السلام»؟! أم مع النبى «صلى اللّه عليه و آله»؟!

و هل استعاد النبى «صلى اللّه عليه و آله» المفتاح من عثمان، و صار معه، و اضطبع عليه بثوبه؟ أم استعاده من على «عليه السلام»، كما هو صريح بعض الروايات المتقدمة؟!

ب: هل قال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: ادعوا لى عثمان، فدعوه، فأعطاه المفتاح حين كلمه على «عليه السلام» فى أمر الحجابة؟! أم حين كلمه العباس؟!

ج: هل نزلت آية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها ..

لحظة استلام النبى «صلى اللّه عليه و آله» المفتاح قبل دخول الكعبة؟! أم نزلت حين كان النبى «صلى اللّه عليه و آله» داخل الكعبة؟!

د: هل إن طلب العباس من النبى «صلى اللّه عليه و آله» أن يجعل الحجابة له كان قبل دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» للكعبة؟! أم كان بعد خروجه منها؟!

طريقة جمع فاشلة:

و قد احتمل الحلبى الشافعى: أن يكون طلب العباس للحجابة قد تكرر، فكان مرة قبل دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى الكعبة، و مرة بعد خروجه منها «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۸۹

و هو كلام غير مقبول .. فإن هـذا الطلب قد جوبه بالرفض، و جعل الحجابة لبنى شـيبة، و نزول آية أداء الأمانة إلى أهلها .. فبعد هذا و ذاك لا يبقى مجال لتكرار الطلب من العباس، فإنه سـيكون أمرا منافيا للتسليم لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و مخالفا للأدب معه، فلا يقدم عليه العباس، و لا غيره، فإن الكل يعلم: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» لا يخالف ما يأمره اللّه تبارك و تعالى به.

أو فقل: إن الآيـة قد نزلت لتحسم أمر المفتاح، فمعنى معاودة الطلب هو رفض القرار الإلهى أو الاعتراض عليه، و هذا مما لا يمكن أن يقدم عليه مثل العباس.

السدانة و السقاية مردودتان إلى أهليهما:

و قد صرحت الخطبة المتقدمة: بأن الحجابة (السدانة) و السقاية مردودتان إلى أهليهما ..

و تقدم أيضا: أنه «صـلى اللّه عليه و آله» بعد أن طمس الصور التى كانت فى داخل الكعبة، أخذ بعضادتى الباب، فخطب خطبته الآنفة الذكر .. و قد ورد فى خطبته تلك قوله: «إلا سدانة البيت، و سقاية الحج، فإنهما مردودتان إلى أهليهما».

فرد السقاية و السدانة إلى أهليهما قد حصل قبل أن يغادر النبى «صلى اللّه عليه و آله» باب الكعبة ..

و لكن الروايات المتقدمة تدّعى: أنه «صـلى اللّه عليه و آله» قد وضع المفتاح فى كمه، و تنحى ناحية المسجد، فجلس عند السقاية، ثم رد الحجابة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۰

و السقاية على أهليهما.

و هناك طلب العباس، أو على «عليه السلام»، أو كلاهما- حسب زعمهم- الحجابة لنفسه، أو لعشيرته ..

فكيف يطلبانها بعد أن صرح «صلى اللّه عليه و آله» بردها إلى أهلها قبل أن يغادر باب الكعبة؟!

أعطينا النبوة و السقاية و الحجابة:

و أما ما نسب إلى على «عليه السلام» من أنه قال: أعطينا النبوة، و السقاية، و الحجابة. ما قوم بأعظم نصيبا منا، فهو:

إما لم يحصل إن كان يقصـد به إعطاء المفتاح لهم، و إيكال أمر الحجابـة إليهم. لأن ما حصل هو مجرد أخـذ النبى «صـلى اللّه عليه و آله» المفتاح لفتح باب الكعبة، لإزالة ما فى داخلها مما يسىء إليها، و لم يعط النبى «صلى اللّه عليه و آله» الحجابة لأحد. لا لبنى هاشم و لا- لغيرهم، و لا- تعرض لهـذا الأمر بعـد، لا بالسـلب و لا بالإيجاب، و لم تظهر منه أيـة إشارة إلى الجهـة التى سوف يوكل إليها أمر الحجابة ..

و إما أنه قد حصل، و لكن قد قصد به معنى آخر، و هو: أن أمر الحجابة و السقاية قد أصبح لرسول اللّه يضعه حيث يشاء.

فرسول اللّه «صـلى اللّه عليه و آله» من بنى هاشم، و له النبوة، و له أمر السـقاية و الحجابـة، فيصـح للهاشـمى أن يقول: «أعطينا النبوة، و السـقاية، و الحجابـة، مـا قوم بـأعظم نصـيبا منـا». و لا- يخفى أنه بهـذا المعنى تكون كـل الأـمور بيـد النبى «صـلى اللّه عليه و آله»، فلا خصوصية للسقاية و الحجابة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۱

إلا أن يدّعى: أن الخصوصية كون المقام مقام جعل هذين الأمرين- السقاية و الحجابة- فى أهليهما دون غيرهما من الأمور!!

و الحاصل: أن المقصود إن كان هـذا المعنى، فلا معنى لما تذكره الرواية من أن النبى «صـلى اللّه عليه و آله» كره مقالته .. بل المتوقع

منه هو أن يؤيدها، و يصدقها.

و إن كان المقصود: هو المعنى الأول، فذلك لا يقصده على «عليه السلام»، لأنه أمر لا واقع له.

البيعة فى فتح مكة:

عن الأسود بن خلف: أنه رأى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس عند قرن مسفلة، فبايع الناس على الإسلام، فجاءه الكبار و الصغار، و الرجال و النساء، فبايعهم على الإيمان باللّه تعالى، و شهادة أن لا إله إلا اللّه، و أن محمدا عبده و رسوله «۱».

و قال ابن جرير: اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على الإسلام، فجلس لهم- فيما بلغنى- على الصفا، و عمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأخذ على الناس السمع و الطاعة للّه و لرسوله فيما استطاعوا «۲».

فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء، و فيهن هند بنت عتبة، امرأة أبى

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ عن أحمد، و البيهقى، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج ۳ ص ۴۱۵ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۴.

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۲

سفيان متنقبة متنكرة خوفا من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أن يخبرها بما كان من صنيعها بحمزة، فهى تخاف أن يأخذ بحدثها ذلك.

فلما دنين من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قال: «بايعننى على ألا تشركن باللّه شيئا».

فرفعت هند رأسها و قالت: و اللّه إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال.

فقال: «و لا تسرقن».

فقالت: و اللّه إنى كنت أصبت من مال أبى سفيان الهنة، و ما كنت أدرى أكان ذلك حلالا أم لا؟

فقال أبو سفيان- و كان شاهدا لما تقول-: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه فى حل، عفا اللّه عنك.

ثم قال: «و لا تزنين».

فقالت: يا رسول اللّه، أو تزنى الحرة؟!

ثم قال: «و لا تقتلن أولادكن».

قالت: قد ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم.

فضحك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عمر، ثم قال: «و لا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن و أرجلكن».

فقالت: و اللّه، إن إتيان البهتان لقبيح، و لبعض التجاوز أمثل.

ثم قال: «و لا تعصين».

فقالت: فى معروف.

و فى الحلبية: لما قال «صلى اللّه عليه و آله»: و لا تعصين فى معروف.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۳

قالت: و اللّه ما جلسنا مجلسنا هذا و فى أنفسنا أن نعصيك «۱».

و فيها أيضا: أن هندا قالت: ما هذا المعروف الذى لا ينبغى لنا أن نعصيك فيه؟

قال: لا تصحن (أو لا تنحن)، و لا تخمشن وجها، و لا تنشرن شعرا، و لا تحلقن قرنا، و لا تشققن جيبا، و لا تدعين بالويل «۲».

ثم قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لعمر: «بايعهن، و استغفر لهن اللّه، إن اللّه غفور رحيم».

فبايعهن عمر، و كان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لا يصافح النساء، و لا يمس جلدة امرأة لم يحلها اللّه تعالى له، أو ذات محرم.

و روى الشيخان، عن عائشة قالت: لا و اللّه ما مست يد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يد امرأة قط.

و فى رواية: ما كان يبايعهن إلا كلاما، و يقول: إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة «۳».

زاد فى نص آخر قوله: و لا تلحقن بأزواجكن غير أولادهم «۴».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۶.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۶.

(۳) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ و ۲۴۸ عن ابن جرير، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج ۶ ص ۳۵۷ و زاد المسير ج ۸ ص ۱۴۵ و البداية و النهاية ج ۴ ص ۳۱۹ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۴ و ۹۶ و البحار ج ۲۱ ص ۹۸ عن مجمع البيان ج ۹ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹.

(۴) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۴

و جاءه «صلى اللّه عليه و آله» رجل، فأخذته الرعدة، فقال له «صلى اللّه عليه و آله»: هون عليك، فإنى لست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد «۱».

و روى على بن إبراهيم: عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر (البزنطى)، عن أبان، عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» قال: لما فتح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة بايع الرجال. ثم جاء النساء يبايعنه، فأنزل اللّه عز و جل: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ وَ لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «۲».

فقالت هند: أما الولد فقد ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا.

و قالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام، و كانت عند عكرمة بن أبى جهل: يا رسول اللّه، ما ذلك المعروف الذى أمرنا اللّه أن لا نعصيك فيه؟

قال: لا تلطمن خدا، و لا تخمشن وجها، و لا تنتفن شعرا، و لا تشققن جيبا، و لا تسودن ثوبا، و لا تدعين بويل.

فبايعهن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» على هذا.

فقالت: يا رسول اللّه، كيف نبايعك؟

قال: إننى لا أصافح النساء.

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۴.

(۲) الآية ۱۲ من سورة الممتحنة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۵

فدعا بقدح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها، فقال: أدخلن أيديكن فى هذا الماء، فهى البيعة.

و فى الكافى: رواه عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه «عليه السلام» مثله «۱».

و فى مدارك التنزيل: أنه «صلى اللّه عليه و آله» لما فرغ من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء و هو على الصفا، و عمر جالس أسفل منه يبايعهن بأمره، و يبلغهن عنه.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: أبايعكن على أن لا تشركن باللّه شيئا.

فبايع عمر النساء على أن لا يشركن باللّه شيئا الخ .. «۲».

ما الذى أضحك عمر بن الخطاب؟!:

و ذكروا: أن هندا لما قالت: قد ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم. ضحك عمر حتى استلقى، و تبسم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۳»، و لم يذكروا عن سبب ضحك أو تبسم عمر شيئا.

و الظاهر هو: أن ثمة تصرفا و حذفا متعمدا، و يدل عليه ما رواه

---

(۱) الكافى ج ۳ ص ۶۶ و البحار ج ۲۱ ص ۱۳۴ و ۱۱۳ و ۱۱۷ و ج ۶۴ ص ۱۷۸ عنه و عن تفسير القمى ج ۲ ص ۳۶۴، و الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ۲۰ ص ۲۱۱ و تفسير الصافى ج ۵ ص ۱۶۶ و تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۳۰۷ و تفسير الميزان ج ۱۹ ص ۲۴۶ و تحف العقول (ط ۲) ص ۴۵۷ عن أبى جعفر.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۶.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۶

الطبرسى و غيره، قال:

«فقال: و لا تزنين.

فقالت هند: أو تزنى الحرة؟

فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينها و بينه فى الجاهلية.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: و لا تقتلن أولادكن.

فقالت هند: ربيناهم صغارا، و قتلتموهم كبارا، فأنتم و هم أعلم.

و كان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قتله على بن أبى طالب «عليه السلام» يوم بدر.

فضحك عمر حتى استلقى، و تبسم النبى «صلى اللّه عليه و آله» ..» «۱».

و لكن النص الذى أورده الديار بكرى قد حرّف الحقيقة، و أصبح بحيث يوحى: بأن ضحك النبى «صلى اللّه عليه و آله» إنما كان لأجل أنه عرفها و هى متنقبة و متنكرة، فقد قال: «فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح، فإن أصبت من ماله هناة؟

فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال.

فضحك النبى «صلى اللّه عليه و آله» و عرفها، و قال لها: و إنك لهند؟!

فقالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبى اللّه، عفا اللّه عنك» «۲».

إلا أن يقال: إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد ضحك لما عرفها، فلا مانع من أن يضحك مرة أخرى حين قالت ما قالت من أجل ما يعرفه عنها.

---

(۱) مجمع البيان ج ۹ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ و البحار ج ۲۱ ص ۹۸.

(۲) تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۷

مع تذكيرنا القارئ الكريم بأننا لا نوافق على زعمهم: من أنه «صلى اللّه عليه و آله» لم يعرفها فى بادئ الأمر.

بل نقول:

إنه قد ضحك منها، لظنها أنه لم يكن قد عرفها.

أو تزنى الحرة؟!:

إننا لا نحب أن نذكر بعض الأمور التى قد يسعى البعض لتصنيفها فى عداد الأمور الشخصية، التى يحسن التستر عليها ما دام أنها لا فائدة من إثارة الحديث حولها، لا من الناحية التربوية و السلوكية، و لا من الناحية الإيمانية و الإعتقادية، كما لا أثر لها فى استفادة المعنى و المفهوم الذى يفيد فى تحديد النهج، أو يؤثر على المسار السياسى، أو ما إلى ذلك.

غير أننا نقول:

إن هناك ميزات أو حالات شخصية لبعض الأفراد يفيد التعرف عليها فى وضوح المفهوم العقائدى أحيانا، و ربما يؤثر على المسار و السلوك حتى فى النواحى السياسية لأمة بأسرها. من حيث إنه يطبعه فى إطار تلك الخصوصية بطابع الشرع و التدين و الإعتقاد، و الممارسة السياسية و غيرها ..

و يأتى موضوع هند بنت عتبة فى هذا السياق .. لأن هندا هى أم معاوية مؤسس الدولة الأموية، التى حكمت الأمة عشرات السنين باسم خلافة النبوة، و باسم الدين و الشرع.

فإذا أثبتت الأحداث و النصوص: أن معاوية كان من الطلقاء ..

و أثبتت وجود شكوك و شبهات فى طهارة مولده، من خلال ما ينسب

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۸

لأمه، فإن تصديه لأمر الخلافة، بل لأى مقام هو أقل من ذلك بمراتب، يصبح بلا مبرر حتى بنظر من لا يرون أن الإمامة إنما تجب بالنص و التعيين من اللّه و رسوله ..

بالإضافة إلى آثار أخرى تترتب على ظهور هذه الشكوك ..

من أجل ذلك نقول:

إن النصوص حول هذا الموضوع كثيرة نختار منها ما يلى:

قالوا:

۱- كانت هند تذكر فى مكة بفجور و عهر «۱».

۲- كانت كما يقول الكلبى: مغيلمة (أى تغلبها شهوتها)، و كانت تميل إلى السودان من الرجال «۲».

۳- قد اعترف معاوية نفسه: بأن بعض قريش فى الجاهلية يزعمون: أن معاوية للعباس بن المطلب .. و قد عرّض إسحاق بن طلحة بذلك ليزيد بن معاوية «۳».

۴- و قد كتب زياد بن أبيه لمعاوية: «و أما تعييرك لى بسمية، فإن كنت ابن سمية، فأنت ابن جماعة» «۴».

۵- و قال الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية: «و قد علمت الفراش

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۳۳۶ الخطبة رقم (۲۵) و البحار ج ۳۳ ص ۲۰۰ و الغدير ج ۱۰ ص ۱۷۰.

(۲) راجع: الغدير (ط سنة ۱۴۲۴ ه) ج ۱۱ ص ۲۴۲ و تذكرة الخواص ص ۲۰۳.

(۳) ربيع الأبرار ج ۳ ص ۵۵۱ و تذكرة الخواص ص ۲۰۳ و الغدير ج ۱۰ ص ۱۷۰.

(۴) شرح النهج للمعتزلى ج ۱۶ ص ۱۸۳.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۲۹۹

الذى ولدت عليه» «۱».

۶- و تقدم: أن عمر تبسم حين قالت: أو تزنى الحرة، لما جرى بينه و بينها فى الجاهلية «۲».

إسلام هند بعد أبى سفيان بليلة:

قالوا: «و فى إسلام أبى سفيان قبل هند، و إسلامها قبل انقضاء عدتها، أى لأنها أسلمت بعده بليلة واحدة، و إقرارها على نكاحهما حجة لشافعى ..» «۳».

و نقول:

قد تقدم: أنه «صلى اللّه عليه و آله» قد أرجع زينب على أبى العاص حين أسلم قبل انقضاء عدتها.

كما أن من الواضح: أن مئات من الناس قبل إسلام هند و أبى سفيان قد أسلموا قبل إسلام نسائهم، و لم يفرق النبى «صلى اللّه عليه و آله» بينهم لأنهن أسلمن قبل انقضاء عدتهن، فلا حاجة للاستدلال بهند و زوجها.

إنى لا أصافح النساء:

و جاء: أن بعض النساء- و صرح الواقدى بأنها هند- قالت: يا رسول اللّه، نماسحك، أو قالت: هلم نبايعك يا رسول اللّه.

---

(۱) تذكرة الخواص ص ۲۰۱ و ۲۰۲.

(۲) و راجع: تذكرة الخواص ص ۲۰۳.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۶ و ۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۰

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: لا أصافح النساء. و إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة.

و فى نص آخر: لألف امرأة «۱».

و نقول:

لعل طلب النساء منه «صلى اللّه عليه و آله» أن يبايعنه بطريقة المصافحة قد تكرر من قبل عدة نساء، فتكررت الإجابة، فعبر تارة بمائة امرأة، و أخرى بألف ..

و عن عائشة: لم يصافح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» امرأة قط، و إنما كان يبايعهن بالكلام «۲».

و عن الشعبى: بايع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» النساء و على يده ثوب.

و قيل: إنه غمس يده فى إناء، و أمرهن فغمسن أيديهن فيه. فكانت هذه البيعة.

قال ابن الجوزى: و القول الأول أثبت «۳».

و نقول:

لقد كانت هناك عدة بيعات للنساء مع رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۷ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۱۴۸ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۵۰ و ۸۵۱.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۹۸ و مجمع البيان ج ۹ ص ۲۷۵ و ۲۷۶ عن صحيح البخارى.

(۳) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۷ و البحار ج ۲۱ ص ۹۸ و مجمع البيان ج ۹ ص ۹۹ و ۲۷۶ و المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۵۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۱

إحداها: يوم الفتح.

و بيعة أخرى: حين قدم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» المدينة، فقد روت أم عطية: أنه «صلى اللّه عليه و آله» جمع نساء الأنصار فى بيت، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، فقام على الباب، فسلم، فردد عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إليكن، يبايعكن على أن لا تشركن باللّه شيئا .. و قرأ إلى قوله تعالى: .. فِي مَعْرُوفٍ .. «۱».

فقلن: نعم.

فمد يده من خارج، و مددن أيديهن من داخل البيت، ثم قال: اللهم اشهد.

قال الحلبى: و لعل ذلك كان بحائل، و الفتنة مأمونة «۲».

و الخلاصة: أن البيعة قد تكررت قبل الهجرة و بعدها، و فى يوم الفتح، و فى غيره، فلعله «صلى اللّه عليه و آله» بايعهن مرة بواسطة غمس اليد فى الإناء، و أخرى بالكلام ..

و أما البيعة بالمصافحة من وراء الثوب، فنحن لا نستطيع أن ننسبها إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و قد تقدم التصريح بأنه لا يصافح النساء، و لعل عمر هو الذى فعل ذلك، فنسب ذلك إلى النبى «صلى اللّه عليه و آله»، لأنه زعم لهن أنه مرسل من قبله «صلى اللّه عليه و آله».

و دعوى ذلك من قبل الشعبى، الذى قد يتهم: بأنه يريد تبرير فعل

---

(۱) الآية ۱۲ من سورة الممتحنة.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۷.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۲

بعض من كان يسعى لتأييد سلطانهم، و إحكام بنيانهم، تبقى غير قابلة للإعتماد، فإن الشعبى لم يكن فى زمان النبى «صلى اللّه عليه و آله»، و لا ندرى عمن نقل هذه الكذبة الظاهرة.

جرأة هند:

أما ما أظهرته هند من جرأة فى محضر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ..

حتى إنها كانت تعقب على كل كلمة قالها، و كل شرط أخذه «صلى اللّه عليه و آله» على النساء، فقد يحسب البعض أنه أمر تستحق المدح و الثناء عليه، كما أنه يشير إلى أنها تعيش معنى الحرية بمفهومها الأوسع ..

و يؤيد ذلك: أننا لم نجد من النبى «صلى اللّه عليه و آله» ما يشير إلى أى تبرم، أو تضايق، أو اعتراض على أقوالها و مداخلاتها ..

غير أننا نقول:

إن هذا الذى فعلته هند إن دل على شىء، فإنما يدل على أنها لا توقر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لا تلتزم بحدود الآداب معه، بل فى كلماتها ما يدل على حقدها الدفين، و بغضها الراسخ لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فلاحظ ما يلى:

۱- إنها تقول: «و اللّه إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال» و هذا يمثل محاولة منها للتشكيك بإنصاف رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و عدله .. بل هى تريد الإيحاء بأنه «صلى اللّه عليه و آله» قاس و ظالم، و لا ينطلق فى ممارساته من موازين العدل، و لا مما تقضى به الفطرة، و يحكم به العقل، لأنه يأخذ على النساء ما لا يأخذه على الرجال .. مع أن الرجال

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۳

أقوى من النساء.

۲- ثم إنه لما قال «صلى اللّه عليه و آله»: «و لا تقتلن أولادكن». قالت:

«ربيناهم صغارا، و قتلتهم كبارا، فأنت و هم أعلم».

فقد تضمن كلامها هذا: التلويح بثاراتها عند رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و التصريح بأن النبى قاتل الأبناء و الأحبة، حين كبروا.

و التشكيك فى أن يكون محقا فى قتله إياهم، حيث قالت: فأنت و هم أعلم.

و هل نسيت هند: أنها و زوجها، و أهلها، و عشيرتها كانوا باستمرارهم الذين يهاجمون رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و يسعون فى محو ذكره، و إبطال أمره، و استئصال شأفته؟!

و هل نسيت هند: كبد الحمزة حين حاولت أن تأكلها، فلاكتها و لم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، حتى سميت بآكلة الأكباد؟!

و أخيرا، فإننا نلاحظ: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد تجاهل هذه المرأة تجاهلا تاما، و لم يعلق على كلماتها بشىء، رغم أنها كانت جارحة له، حسبما أوضحناه.

و ذلك هو الخلق النبيل، و تلك هى سعة الصدر، و السماحة، و الصفح، و العفو عند المقدرة. و من أولى من رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بذلك كله؟

عمر فى بيعة النساء:

و زعموا: أن عمر بن الخطاب كان يبايع النساء بأمره «صلى اللّه عليه

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۴

و آله»، و يبلغهن عنه ..

و لا نجد حاجة لأمر كهذا، و لو احتاج النبى «صلى اللّه عليه و آله» إلى من يعينه فى بيعة النساء، فلما ذا لا يحتاج إلى مثل هذا المعين فى بيعة الرجال؟

فإنه لا فرق بين الجنسين من حيث كثرة العدد، و لا فى أى شىء يوجب المعونة هنا، و الإستغناء عنها هناك. الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج۲۲ ۳۰۴ عمر فى بيعة النساء: ..... ص : ۳۰۳

فلعل عمر قد حشر نفسه فى هذا الأمر، و حاول أن يعيد كلمات النبى «صلى اللّه عليه و آله» على مسامعهن، ليظهر لهن أن له موقعا، أو يوهم الناس أنه يقوم بعمل ما فى هذا الفتح العظيم، الذى لم نجد له فيه مكانا، و لا سمعنا له فيه صوتا، لا فى تحطيم الأصنام، و لا فى ملاحقة المطلوبين للعدالة، الذين أهدر رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» دمهم .. بل وجدناه فقط مع النساء كما يقولون.

و عمر رجل مغرم بالنساء بصورة غير عادية، و قد ذكرنا فى موضع سابق من هذا الكتاب: أنه كان إذا أراد الحاجة تقول له زوجته: تذهب إلى بنات فلان تنظر إليهن «۱».

و هو الذى يقول: إنه لم يبق فيه شىء من أمر الجاهلية، إلا أنه لا يبالى أى الناس نكح، و أيهم أنكح «۲».

و قصته مع عاتكة بنت زيد، التى كانت جميلة، و مات زوجها فخطبها

---

(۱) راجع: المصنف لعبد الرزاق ج ۷ ص ۳۰۳ و مجمع الزوائد ج ۴ ص ۳۰۴ عن الطبرانى.

(۲) طبقات ابن سعد (ط بيروت سنة ۱۳۷۷ ه) ج ۳ ص ۹۸۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۵

عمر، فرفضته، فعقد لنفسه- بزعمه- ثم ذهب إليها فعاركها حتى وطأها أشهر من أن تذكر «۱».

بيعة معاوية .. و إسلامه!!:

و كان من جملة من بايع النبى «صلى اللّه عليه و آله» معاوية.

فقد روى عنه قوله: لما كان عام الحديبية وقع الإسلام فى قلبى، فذكرت ذلك لأمى.

فقالت: إياك أن تخالف أباك، فيقطع عنك القوت.

فأسلمت، و أخفيت إسلامى.

فقال لى يوما أبو سفيان، و كأنه شعر بإسلامى: أخوك خير منك، و هو على دينى.

فلما كان عام الفتح أظهرت إسلامى، و لقيته «صلى اللّه عليه و آله»، فرحب بى الخ .. «۲». ثم يستمر الحلبى فى ذكر فضائل معاوية و مآثره ..

و نقول:

أولا: إن هذا الحديث مروى عن معاوية نفسه، و هو غير مأمون على الرواية مطلقا، فكيف إذا كان يحدث عن نفسه، و يريد أن يثبت لها فضيلة، أو يدفع عنها رذيلة؟

ثانيا: إن هذا الكلام غير صحيح، إذ إن معاوية لو كان قد أسلم قبل ذلك لم يصح أن يعتبره المسلمون من الطلقاء. و قد تقدمت طائفة من

---

(۱) طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ۸ ص ۱۹۴ و كنز العمال ج ۱۳ ص ۶۳۳.

(۲) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۹۴ و ۹۵.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۶

النصوص التى تصرح بذلك، و هى مروية عن: عمر بن الخطاب، و على بن أبى طالب «عليه السلام»، و ابن عباس، و المسور بن مخرمة، و سعنة بن عريض، و صعصعة بن صوحان، و عبد الرحمن بن غنم .. فراجع ما قدمناه فى فصل سابق، فى فقرة بعنوان: «الطلقاء .. و الخلافة».

و الذى يبدو لنا: أن معاوية قد أراد أن يتخلص من وصمة العار هذه، فاخترع لنفسه هذا الحديث ..

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۷

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات

اشارة

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۰۹

لا هجرة بعد الفتح:

قالوا: إن مكة شرفها اللّه تعالى كانت قبل الفتح دار حرب، و كانت الهجرة منها واجبة إلى المدينة، فلما فتحت مكة صارت دار إسلام، فانقطعت الهجرة منها.

و عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يوم فتح مكة: «لا هجرة بعد الفتح، و لكن جهاد و نية، و إذا استنفرتم فانفروا» «۱».

و عن عطاء بن أبى رباح قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثى، و هى مجاورة بثبير، فسألها عن الهجرة، فقالت: «لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى اللّه و رسوله، مخافة أن يفتن عنه.

فأما اليوم فقد أظهر اللّه تعالى الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث كان، و لكن جهاد و نية» «۲».

البيعة على الجهاد:

و عن يعلى بن صفوان بن أمية قال: جئت بأبى يوم الفتح، فقلت: يا

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن البخارى، و مسلم.

(۲) المصدر السابق.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۰

رسول اللّه بايع أبى على الهجرة.

فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «بل أبايعه على الجهاد فقد انقضت الهجرة» «۱».

عن مجاهد مرسلا، قال: جاء يعلى بن صفوان بن أمية بعد الفتح، فقال:

يا رسول اللّه، اجعل لأبى نصيبا فى الهجرة.

فقال: «لا هجرة بعد اليوم».

فأتى العباس، فقال: يا أبا الفضل، ألست قد عرفت بلائى؟

قال: بلى، و ما ذا؟

قال: أتيت رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بأبى ليبايعه على الهجرة فأبى، فقام العباس معه فى قيظ ما عليه رداء، فقال لرسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: أتاك يعلى بأبيه لتبايعه على الهجرة فلم تفعل.

فقال: «إنه لا هجرة اليوم».

قال: أقسمت عليك يا رسول اللّه لتبايعه.

فمد رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يده فبايعه، فقال: «قد أبررت عمى و لا هجرة» «۲».

و نقول:

إن لنا ههنا وقفات للتوضيح و البيان و هى التالية:

۱- قد ذكرنا حين الكلام حول هجرة العباس و إسلامه:

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ عن أحمد، و النسائى

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۰ و ۲۶۱ عن ابن أبى أسامة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۱

أن الهجرة باقية ما دام هناك خوف على النفس من أعداء اللّه تعالى و أعداء أهل الإيمان، و قد صرح بذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» فى خطبة له، قرر فيها «عليه السلام»: أن الهجرة من أرض يضطهد فيها أهل الإيمان باقية و قائمة.

و صرح أيضا «عليه السلام»: بأن الهجرة هى لمن عرف حجة اللّه فى الأرض، و ليست لأهل الضلال و الإنحراف، و من آمن ببعض الكتاب و كفر ببعض، و تعصب و كابر «۱».

۲- إن الهجرة التى نفاها رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» هى الهجرة من مكة بعد فتحها، و لم يرد نفى موضوع الهجرة، و قد أوضح حديث عائشة المتقدم ذلك.

۳- إن الذين كانوا يأتون إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» بعد الفتح، و يصرون أن يبايعوه على الهجرة إنما كانوا يفعلون ذلك لأنهم عرفوا أن للهجرة قيمة فى الإسلام، و أن للمهاجر مقاما منيفا، و موقعا رفيعا و شريفا. فأرادوا أن ينالوا شرفا ليس فيهم، و مقاما ليس لهم، فمنعوا من ذلك على لسان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، و لذلك صاروا يوسطون الآخرين للحصول على ما منعوا منه، فلم تنفعهم الوساطات شيئا.

و لكن إذا كان أهل الحق و الصدق يواجهون فى بلد آخر ضغوطا و اضطهادا من أجل دينهم، ثم هاجروا فرارا بدينهم إلى بلد الإسلام،

(۱) راجع: خطبة رقم ۱۸۷ فى نهج البلاغة، و البحار ج ۶۶ ص ۲۲۷ و الإيجاز و الإعجاز للثعالبى ص ۳۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۲

و حيث يحميهم النبى «صلى اللّه عليه و آله» أو الإمام «عليه السلام»، فإن لهم مقام المهاجر إلى اللّه و رسوله، و أجره، و شرفه، و عزته ..

إن ظهر النبى صلّى اللّه عليه و آله على مكة آمن به:

عن ابن إسحاق السبيعى قال: قدم ذو الجوشن الكلابى على رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال له: «ما يمنعك من الإسلام»؟.

قال: رأيت قومك كذبوك، و أخرجوك، و قاتلوك، فانظر، فإن ظهرت عليهم آمنت بك و اتبعتك، و إن ظهروا عليك لم أتبعك.

فقال له رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «يا ذا الجوشن، لعلك إن بقيت قليلا أن ترى ظهورى عليهم».

قال: فو اللّه إنى لبضرية «۱»، إذ قدم علينا راكب من قبل مكة، فقلنا ما الخبر؟

قال: ظهر محمد على أهل مكة. فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

قلت: و أسلم بعد ذلك، و روى عن النبى «صلى اللّه عليه و آله» «۲».

و قال الحسن البصرى: «لما فتح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة، قالت العرب: أما ظفر محمد بأهل الحرم، و قد أجارهم اللّه من أصحاب

(۱) ضرية: اسم مكان. قرية فى طريق مكة، من البصرة من نجد (معجم البلدان).

(۲) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۶۱ عن ابن سعد، و فى هامشه عن: مسند أحمد ج ۴ ص ۶۸ و المصنف لابن أبى شيبة ج ۱۴ ص ۳۷۵ و الطبقات لابن سعد ج ۶ ص ۳۱.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۳

الفيل، فليس لكم به يد. فكانوا يدخلون فى دين اللّه أفواجا، بعد أن كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا، و اثنين. فصارت القبيلة تدخل بأسرها فى الإسلام» «۱».

و نقول:

إن لنا الحق فى أن نسجل بعض الملاحظات، التى نوجزها كما يلى:

إسلام العرب:

۱- إن ما تقدم يوضح لنا حقيقة هامة هى: أن إسلام العرب لم يكن عن قناعة، و إنما لأنه لم يعد لهم بمحمد يد. أى أنهم كانوا يتوقعون أن تتمكن قريش من التغلب عليه، و إذ بها قد عجزت عن ذلك. فجاءهم ما لا قبل لهم به، فاضطروا إلى إظهار الإسلام.

۲- و من الواضح: أن المقصود بالعرب هو: قسم منهم، و لعلهم الأعراب الذين حكى اللّه عنهم هذا المعنى، فقال: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ .. «۲».

و إلا فقد كان فى العرب طوائف كبيرة دخلت فى الإسلام طوعا، قبل فتح مكة، و حيث لم يكن هناك ما يدعو إلى الخوف منه، بل لأنهم وجدوا فى الإسلام ضالتهم، و ما بهر عقولهم، و ما من شأنه أن يحل مشاكلهم.

۳- و فى حديث ذى الجوشن الكلابى دلالة ظاهرة على موقع القوة التى تصنع النصر فى تفكير ذلك الرجل، و اعتبارها هى المعيار. و إليها

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۹۹ و مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۵۴.

(۲) الآية ۱۴ من سورة الحجرات.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۴

يستند القرار بالإيمان و الكفر، مع أن القوة المادية قد تتوفر للحق و أهله، و قد لا تتوفر لهم، بل تكون لدى أهل الباطل. فالقوة لا تستطيع أن تعطى الإنسان أية فرصة لتمييز الحق من الباطل، كيف و قد قتل الأقوياء أنبياء اللّه و أوصياءهم، و اعتدوا على الضعفاء، و على النساء و الصبيان و قتلوهم؟

۴- إنه «صلى اللّه عليه و آله» قد قدم لذى الجوشن دليلا على صحة نبوته، تمثّل فى إخباره الغيبى القريب عن ظهوره و انتصاره على أهل مكة، فقال له «صلى اللّه عليه و آله»: «لعلك إن بقيت قليلا أن ترى ظهورى عليهم».

هذا عدا عن أنه قد رأى كما رأى غيره معجزات و كرامات كثيرة له «صلى اللّه عليه و آله» لا تبقى أمام عقله أى فرصة للتهرب من الإعتراف بنبوته ..

أذان بلال فوق الكعبة:

و عن ابن عباس، و رواه عن بعض أهل العلم، و عن عروة، و عن أبى سلمة، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، و عن ابن أبى مليكة، و محمد بن عمر عن شيوخه: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما حان وقت الظهر أمر بلالا أن يؤذن بالظهر يومئذ فوق الكعبة،

ليغيظ بذلك المشركين، و قريش فوق رؤوس الجبال، و قد فرّ جماعة من وجوههم و تغيبوا.

(قال الواقدى: خوفا أن يقتلوا، فمنهم من يطلب الأمان، و منهم من قد أومن).

و أبو سفيان بن حرب، و عتّاب- و لفظ ابن أبى شيبة: خالد بن أسيد،

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۵

و الحارث بن هشام- جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتّاب- أو خالد- بن أسيد: لقد أكرم اللّه أسيدا أن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيظه.

و قال الحارث: أما و اللّه، لو أعلم أنه محق لا تبعته.

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا.

و قال بعض بنى سعيد بن العاص: لقد أكرم اللّه سعيدا إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة.

و قال الحكم بن أبى العاص: هذا و اللّه الحدث العظيم، أن يصيح عبد بنى جمح على بنية أبى طلحة.

و قال الحارث بن هشام: إن يكن اللّه تعالى يكرهه فسيغيره.

و فى رواية: أن سهيل بن عمرو قال مثل قول الحارث.

فأتى جبريل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فأخبره خبرهم، فخرج عليهم رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال: «قد علمت الذى قلتم».

فقال الحارث و عتاب: نشهد إنك رسول اللّه، ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول: أخبرك «۱».

و فى رواية: أن الحارث بن هشام قال: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟!

---

(۱) دلائل النبوة للبيهقى ج ۵ ص ۷۸ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۸ و ۲۴۹ عن أى يعلى، و ابن هشام، و البيهقى عن ابن إسحاق، و ابن أبى شيبة، و الأزرقى و الواقدى، و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱ و ۱۰۲ و راجع: المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۶ و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۷ و ۸۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۶

و لا مانع من وجود الأمرين منه، أى و تقدم فى عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من جماعة لما أذن بلال رضى اللّه عنه على ظهر الكعبة أيضا.

أى و قال غير هؤلاء من كفار قريش: لقد أكرم اللّه فلانا- يعنى أباه- إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة.

إلى أن قال: فخرج عليهم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فقال لهم: لقد علمت الذى قلتم.

ثم ذكر ذلك لهم، فقال: أما أنت يا فلان فقد قلت كذا، و أما أنت يا فلان فقد قلت كذا، و أما أنت يا فلان فقد قلت كذا.

فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول اللّه فما قلت شيئا، فضحك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله».

فقالوا: نشهد أنك رسول اللّه، و اللّه ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك «۱».

.. و صار بعض قريش يستهزئون و يحكون صوت بلال غيظا، و كان من جملتهم أبو محذورة، و كان من أحسنهم صوتا، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فأمر به، فمثل بين يديه، و هو يظن أنه مقتول.

فمسح رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» ناصيته و صدره بيده الشريفة، قال: فامتلأ قلبى و اللّه إيمانا و يقينا، فعلمت أنه رسول اللّه.

فألقى عليه «صلى اللّه عليه و آله» الأذان، و علمه إياه، و أمره أن يؤذن

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۱ و ۱۰۲.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۷

لأهل مكة، و كان سنه ست عشرة سنة، و عقبه بعده يتوارثون الأذان بمكة.

و تقدم: أن أذان أبى محذورة و تعليمه الأذان كان مرجعه «صلى اللّه عليه و آله» من حنين، و تقدم طلب تأمل الجمع بينهما «۱».

و عند الراوندى: أنه «صلى اللّه عليه و آله» أمر بلالا عند وقت صلاة الظهر، فصعد على الكعبة، فقال عكرمة: أكره أن أسمع صوت أبى رباح ينهق على الكعبة.

و حمد خالد بن أسيد اللّه على أن أبا عتاب توفى و لم ير ذلك.

و قال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو نطقت لظننت أن هذه الجدر ستخبر به محمدا.

فبعث إليهم النبى «صلى اللّه عليه و آله»، فأتى بهم، فقال عتاب: نستغفر اللّه و نتوب إليه، قد و اللّه يا رسول اللّه قلنا، فأسلم و حسن إسلامه، فولاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة «۲».

و فى نص آخر: أنه لما بلغ بلال: «أشهد أن محمدا رسول اللّه» قالت جويرية بنت أبى جهل: قد لعمرى رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلى، و اللّه لا نحب من قتل الأحبة أبدا. و لقد كان جاء أبى بالذى جاء به محمدا من النبوة فردها، و لم يرد خلاف قومه «۳».

قالوا أيضا: دخل النبى «صلى اللّه عليه و آله» مكة، و كان وقت الظهر،

---

(۱) السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۲.

(۲) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۸ و ۱۱۹ و ۱۳۳ عن الخرائج و الجرائح، و عن إعلام الورى.

(۳) المغازى للواقدى ج ۲ ص ۸۴۶ و السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۲ عن تاريخ الأزرقى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۸

فأمر بلالا فصعد على ظهر الكعبة فأذن، فما بقى صنم بمكة إلا سقط على وجهه، فلما سمع وجوه قريش الأذان قال بعضهم فى نفسه: الدخول فى بطن الأرض خير من سماع هذا.

و قال آخر: الحمد للّه الذى لم يعش والدى إلى هذا اليوم.

فقال النبى «صلى اللّه عليه و آله»: «يا فلان قد قلت فى نفسك كذا و يا فلان قلت فى نفسك كذا».

فقال أبو سفيان: أنت تعلم أنى لم أقل شيئا.

فقال «صلى اللّه عليه و آله»: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» «۱».

و نقول:

قد تكلمنا حول هذه النصوص فى عمرة القضاء، و أكثرها بعمرة القضاء أنسب، و لسياقها أقرب. و إنما أوردناها هنا مجاراة لكتّاب السيرة.

و سوف لا نعلق عليها ههنا بشىء، بل نكتفى بما ذكرناه هناك، و نقتصر هنا على الإشارة التالية:

و قد ذكر النص المتقدم، و تقدم أيضا عن مصادر عديدة: أن النبى «صلى اللّه عليه و آله» دخل البيت يوم الفتح وقت الظهر «۲».

فإذا كان الوقت ظهرا، و كان على «عليه السلام» فى هذا الوقت على ظهر الكعبة، فمن أولى منه بالأذان على ظهرها، أو ما هى الحاجة لإصعاد بلال على ظهر الكعبة من جديد، من أجل الأذان؟!

---

(۱) البحار ج ۲۱ ص ۱۱۹ عن الخرائج و الجرائح.

(۲) راجع ما ذكرناه تحت عنوان: إزالة الصور و التماثيل من داخل الكعبة.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۱۹

و لذلك نقول: إنه قد روى يزيد بن قعنب، عن فاطمة بنت أسد: أنها لما ولد على «عليه السلام» فى جوف الكعبة، و أرادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمة سميه عليا، فهو على ..

إلى أن قال عن على «عليه السلام»: «و هو الذى يكسر الأصنام، و هو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى الخ ..» «۱».

فالذى أذن فوق ظهر الكعبة حين دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» إليها، هو على بن أبى طالب «عليه السلام».

و لكن ذلك لا يمنع من أن يكون بلال قد أذن فى المسجد الحرام، أو على ظهر الكعبة فى سائر الأوقات، فأغاظ المشركين.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يعود إلى مكة:

عن أبى هريرة: أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» لما فرغ من طوافه، أتى الصفا فعلا منه حتى يرى البيت، فرفع يديه، و جعل يحمد اللّه تعالى و يذكره، و يدعو ما شاء اللّه أن يدعو. و الأنصار تحته، فقال بعضهم لبعض:

أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته، و رأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة: و جاء الوحى، و كان إذا جاء لم يخف علينا: فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى يقضى، فلما قضى الوحى، قال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: «يا معشر الأنصار».

قالوا: لبيك يا رسول اللّه.

---

(۱) إحقاق الحق (الملحقات) ج ۵ ص ۵۷ عن بشائر المصطفى، و عن تجهيز الجيش للدهلوى العظيم آبادى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۰

قال: «قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته، و رأفة فى عشيرته».

قالوا: قد قلنا ذلك يا رسول اللّه.

قال: «فما أسمّى إذن!! كلا، إنى عبد اللّه و رسوله، هاجرت إلى اللّه و إليكم، المحيا محياكم، و الممات مماتكم».

فأقبلوا إليه يبكون، يقولون: و اللّه يا رسول اللّه، ما قلنا الذى قلنا إلا الضن باللّه و برسوله.

فقال رسول اللّه: «فإن اللّه و رسوله يعذرانكم و يصدقانكم» «۱».

و نقول:

إن الأنصار حين قالوا، أو قال بعضهم: أدركته رغبة فى قريته، و رأفة فى عشيرته، قد جروا على مقتضيات الطبع البشرى الإنسانى، الذى يختزن الحنين إلى الأوطان، و الرحمة، و الرأفة بذوى الأرحام، و قد غفلوا عن أن رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» قد صنعه اللّه تعالى على عينه، و أصبح فانيا فى الطاعة و العبودية له تعالى، يرى ما يرى، و يرضيه ما يرضيه، و يغضبه ما يغضبه، و لا يريد إلا ما يريد.

و هو أيضا رسوله الذى جاءهم بالهدى و دين الحق، الذى لا يحابى قومه على حساب دينه و عقيدته، و لا يحن إلى شىء إلا إذا كان فى ذلك الحنين رضا اللّه و طاعته.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۶ عن الطيالسى، و ابن أبى شيبة، و مسلم، و أحمد.

و أشار فى هامشه إلى: مسلم ۳/ ۱۴۰۷ فى الجهاد و السير باب فتح مكة ۸۶ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۵ ص ۵۶ و معانى الآثار ج ۳ ص ۳۲۵. و راجع: تاريخ الخميس ج ۲ ص ۸۹.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۱

و هو حين هاجر، إنما هاجر إلى اللّه، و اللّه أحب إليه من عشيرته، و ذوى رحمه، و بلده ..

و لتكن هذه العناصر الثلاثة: عبوديته للّه تعالى، و رسوليته الهادية إلى طريق الحق و الخير، و هجرته إلى اللّه تعالى، هى الأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة على أنه لا يرغب إلا بأن يكون مع اللّه، و فى دار هجرته إليه، لا فى بلده، و لا مع قومه، و لا يتخذ عشيرته و ذوى رحمه بطانة من دون المؤمنين ..

بل المؤمنون هم أهله، و عشيرته، دون الناس كلهم.

إذن يخزيك اللّه:

عن أبى إسحاق السبيعى، عن ابن عباس قالا: رأى أبو سفيان رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» يمشى و الناس يطأون عقبه، فقال بينه و بين نفسه:

لو عاودت هذا الرجل القتال، و جمعت له جمعا؟

فجاء رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» حتى ضرب بيده فى صدره، فقال: «إذن يخزيك اللّه».

فقال: أتوب إلى اللّه تعالى، و أستغفر اللّه مما تفوهت به، ما أيقنت أنك نبى حتى الساعة، إنى كنت لأحدث نفسى بذلك «۱».

عن سعيد بن المسيب قال: لما دخل رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» مكة ليلة الفتح، لم يزالوا فى تكبير و تهليل، و طواف بالبيت حتى أصبحوا،

---

(۱) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۶ ص ۴۰۶ و دلائل النبوة للبيهقى ج ۴ ص ۱۰۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۶ عن ابن سعد، و عن الحاكم فى الإكليل، و عن البيهقى.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۲

فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من اللّه؟

قالت: نعم، هذا من اللّه.

قال: ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»، فقال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله»: قلت لهند: أترين هذا من اللّه؟!

قالت: نعم هذا من اللّه.

فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد اللّه و رسوله، و الذى يحلف به ما سمع قولى هذا أحد من الناس إلا اللّه عز و جل و هند «۱».

عن عبد اللّه بن أبى بكر بن حزم قال: خرج رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» و أبو سفيان جالس فى المسجد، فقال أبو سفيان: ما أدرى بما يغلبنا محمد؟

فأتاه رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» فضرب صدره و قال: «باللّه تعالى نغلبك».

فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول اللّه «۲».

و عن ابن عباس قال: لقى رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» أبا سفيان بن حرب فى الطواف، فقال: «يا أبا سفيان، هل كان بينك و بين هند كذا و كذا»؟

فقال أبو سفيان: فشت على هند سرى، لأفعلن بها و لأفعلن.

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۶ و ۱۴۷ عن الذهلى فى كتابه: جمع حديث الزهرى.

(۲) معانى الآثار ج ۴ ص ۳۱۴ و راجع: السيرة الحلبية ج ۳ ص ۱۰۲ و سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ عن ابن سعد، و الحارث بن أبى أسامة، و ابن عساكر، و الضعفاء للعقيلى ج ۱ ص ۲۲۶ و ج ۳ ص ۵۷ و تهذيب تاريخ دمشق ج ۶ ص ۴۰۶ و لسان الميزان ج ۴ ص ۱۷۸.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۳

فلما فرغ رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» من طوافه لحق بأبى سفيان فقال: «يا أبا سفيان، لا تكلم هندا، فإنها لم تفش من سرك شيئا». فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» «۱».

مع ما سبق: أبو سفيان و الإيمان:

۱- إن من يراجع حياة أبى سفيان يخرج بحقيقة مفادها: أن هذا الرجل بما تصدى له من أعمال، و فيما كان له من ممارسات قد عاين الكثير الكثير من دلائل النبوة الظاهرة، و معجزاتها القاهرة، و آياتها الباهرة.

و لكنه كان يصر على رفضها، و يتعمد تجاهلها، و يسير فى طريق اللجاج، و المكابرة، و العناد، و الجحود للحق، و السعى لطمسه، و مواصلة الحرب مع أهله ..

و الذى ذكر فى الروايات آنفا ما هو إلا رشحة يسيرة من تلك الدلالات، و العبر و العظات.

و هذا يؤكد لنا حقيقة هامة، و هى:

أن هذا الصلف و العناد للحق يدعونا إلى تصديق تلك الطائفة من النصوص المختلفة و الكثيرة، التى تؤكد: أنه لم يغير نهجه، و أنه لم يسلم، و إنما استسلم، و لما يدخل الإيمان فى قلبه، و أنه لم يزل كهفا لأهل النفاق، و أنه كان يحلف: أنه ما من جنة و لا نار، و إنما هو الملك و الدنيا «۲».

---

(۱) سبل الهدى و الرشاد ج ۵ ص ۲۴۷ عن العقيلى، و ابن عساكر.

(۲) راجع: ترجمة أبى سفيان فى الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة)، و فى قاموس الرجال، و غير ذلك.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۴

۲- أما قول أبى سفيان: «ما أيقنت أنك نبى حتى الساعة» فمعناه: أنه كان إلى تلك اللحظة يتخذ سبيل النفاق، و أنه لم يكن قد أسلم قبل ذلك، رغم نطقه بالشهادتين فى مرّ الظهران قبل دخول النبى «صلى اللّه عليه و آله» مكة ..

فإذا جاء بعد النطق بالشهادتين ما دل على ما يوجب الحكم بخروجه من الدين، فلا شىء يمكن ان يثبت عودته إلى الإسلام بصورة يقينية، و يبقى الأمر رهنا بما يصدر عنه من دلالات و شواهد تؤيد هذا الإحتمال، أو ذاك.

فإن بلغ الأمر إلى درجة اليقين بعودته إلى الإسلام، فذلك هو المطلوب، و إلا، فإن مجرد الاحتمالات لا تفيد شيئا فى إثبات إسلامه.

۳- إن ما حدّث به أبو سفيان نفسه من الرغبة بالعودة إلى قتال رسول اللّه «صلى اللّه عليه و آله» إنما جاء على سبيل الحسد للنبى «صلى اللّه عليه و آله»، لما رآه من عزته «صلى اللّه عليه و آله» و عظمته، و خضوع الناس لأمره و نهيه، و سعيهم للتقرب إليه، و لم يعرض لأبى سفيان ما يزيل هذا الحسد من نفسه.

و لعل ما كان يراه من مزيد شوكته، و تأكد عظمته من شأنه: أن يزيد من تأجج نار الحسد فى قلبه، و يلهب صدره حنقا و غيظا، و

يملأ قلبه حقدا و بغضا.

الم. غلبت الروم:

و بعد .. فلا شك فى أن فتح مكة كان من أعظم النعم التى حبا اللّه بها

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۵

نبيه و أوليائه، إذ بذلك سقط الشرك و انتهى أمره، و خضدت شوكته فى الجزيرة العربية كلها، و أفسح المجال لدخول الناس فى الإسلام أفواجا.

و فرح المسلمون بنصر اللّه تبارك و تعالى أعظم الفرح. و كان ذلك فى السنة التى غلبت الروم على فارس .. و ظهر مصداق قوله تعالى: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ «۱».

و قد جاءت هذه البشارة فى أوائل الهجرة حيث كانت فارس قد غلبت الروم. فبشر اللّه فى هذه الآيات بفتح مكة و بنصر اللّه لهم على الشرك منذئذ.

و ذلك لأن معظم الناس سوف يقلبون على هذا الدين، و يحتاجون إلى الإيمان به و بالنبوة إلى المعجزة الميسورة و الواضحة، التى لا تحتاج إلى فكر و دراسة و تأمل، و لا تحتمل التأويل، و لا يمكن ألقاء الشبهة فيها ..

و أكثرهم يعيش البساطة، و لا يملك من العلم و الفكر، ما يمكنه من أدراك حقائق القرآن العالية، أو ما يجعله يتفاعل مع الإستدلالات العلمية المعمقة. و هم لا يعرفون شيئا عن مصطلحات الفلاسفة، و أساليب استدلالهم، فجاء هذا الإخبار الغيبى ليسهل عليهم هذا الإيمان، و ليرسخه فى نفوسهم، و يعمقه فى وجدانهم، و ضميرهم. و هو من مفردات الرحمة الآلهية لهم.

---

(۱) الآيات ۱- ۷ من سورة الروم.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۶

و أما ادّعاء أن المقصود بالآية فرح المسلمين بنصر الروم لأنهم أهل كتاب على المشركين لأنهم مجوس، فهو غير مقبول .. فإن المجوس أهل كتاب أيضا، و إن كانوا قد ضيعوه كما ورد فى بعض الروايات «۱».

---

(۱) الكافى ج ۳ ص ۵۶۷ السنن الكبرى للبيهقى ج ۹ ص ۱۸۸ و الأمالى للصدوق ص ۴۲۴ و التفسير الصافى ج ۲ ص ۳۳۴ و تفسير نور الثقلين ج ۲ ص ۲۰۲ و ج ۳ ص ۴۷۵ و تفسير الميزان ج ۹ ص ۲۵۳ و راجع: الخلاف ج ۵ ص ۵۴۲ و المبسوط ج ۲ ص ۳۷ الوسائل (آل البيت) ج ۲۰ ص ۳۶۵ و تذكرة الفقهاء (ط. ج) ج ۹ ص ۲۷۹ و مصادر ذلك كثرة اقتصرنا على ذكر بعضها.

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۷

الفهارس

اشارة

۱- الفهرس الإجمالى ۲- الفهرس التفصيلى

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۲۹

۱- الفهرس الإجمالى

الباب الثانى: فتح مكة الفصل الأول: هكذا تحرك من مر الظهران ۷- ۵۴

الفصل الثانى: دخول مكة ۵۵- ۸۰

الفصل الثالث: القتال فى مكة ۸۱- ۱۲۴

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى ۱۲۵- ۱۵۶

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافة ۱۵۷- ۱۷۸

الفصل السادس: طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله و تحطيم الأصنام ۱۷۹- ۲۱۸

الفصل السابع: النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبة ۲۱۹- ۲۴۴

الفصل الثامن: الخطبة الأولى فى مكة ۲۴۵- ۲۷۴

الفصل التاسع: مفتاح الكعبة .. و البيعة فى مكة ۲۷۵- ۳۰۶

الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات ۳۰۷- ۳۲۶

الفهارس ۳۲۷- ۳۴۰

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۱

۲- الفهرس التفصيلى

الباب الثانى: فتح مكة الفصل الأول: هكذا تحرك من مرّ الظهران الإعلان بالأمان: ۹

هل هذا تشريف لأبى سفيان؟!: ۱۲

إستجداء بعد الإستغناء: ۱۳

حفظ حرم اللّه تبارك و تعالى: ۱۳

وضوء و صلاة أبى سفيان: ۱۴

الدعاة الجدد إلى الإسلام: ۱۴

أبو سفيان يرصد كتائب الفتح: ۱۵

كتائب الإسلام إلى مكة: ۱۷

العباس هو المشير أم أبو بكر؟!: ۲۸

أهداف حضور العرض: ۲۹

أبو سفيان يصر على أن ما يراه (ملك): ۳۰

أغدرا يا بنى هاشم؟!: ۳۰

العدة و العدد: ۳۲

كتائب أم قبائل: ۳۲

من هؤلاء: ۳۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۲

خالد .. غلام!!: ۳۴

اللواء و الراية: ۳۶

الرايات السود: ۳۷

لقد عزّ عمر بعد قلة و ذلة: ۳۸

أبو سفيان يصر على موقفه: ۳۹

و لكنه أمر حتم: ۳۹

بنو بكر أهل شؤم: ۴۳

موقف النبى صلّى اللّه عليه و آله من كلام سعد: ۴۴

يوم المرحمة و يوم عزّ قريش: ۴۵

أخذ الراية من سعد: ۴۶

سعد لم يكن ينوى البطش بأهل مكة: ۴۷

على عليه السّلام صاحب اللواء: ۴۸

عمر بن الخطاب يتعاطف مع قريش: ۴۹

أبو سفيان يقبّل غرز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۵۱

تأثير المرأة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله!!: ۵۲

إيحاءات لا تجدى شيئا: ۵۲

أسلم بنا: ۵۴

الفصل الثانى: دخول مكة أدوار مخترعة للعباس رحمه اللّه: ۵۷

خوف النبى صلّى اللّه عليه و آله على العباس: ۵۹

سهم العباس فى عكاظ .. أكذوبة أخرى: ۶۲

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۳

كيف دخل النبى صلّى اللّه عليه و آله مكة؟!: ۶۵

النبى صلّى اللّه عليه و آله يقرأ سورة الفتح: ۷۱

الفتح جائزة المذنب: ۷۲

العيش عيش الآخرة: ۷۳

تواضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تخشعه لربه: ۷۴

راية الزبير: ۷۶

الأمر لسعد، و الراية لقيس: ۷۷

النساء يلطمن وجوه الخيل: ۷۸

كيفية الدخول و الخروج من مكة: ۷۸

الفصل الثالث: القتال فى مكة خالد يقاتل فى مكة!!: ۸۳

من الخندمة إلى البحر: ۹۱

أوقف الطلب: ۹۳

كفوا السلاح إلا خزاعة: ۹۳

احصدوهم حصدا: ۹۵

المهاجرون يظنون أن خالدا قوتل: ۹۶

خالد لا يعصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۹۶

كل الجنود لم يلقوا جنودا غير خالد: ۹۷

قضاء اللّه خير: ۹۷

لم يسب صلّى اللّه عليه و آله لقريش ذرية: ۹۸

الأنصارى الخائن: ۹۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۴

أردت أمرا، و أراد اللّه غيره: ۱۰۲

نهى أن يقتل من خزاعة أحد: ۱۰۳

شعار النبى صلّى اللّه عليه و آله فى فتح مكة: ۱۰۴

فتحت مكة عنوة لا صلحا: ۱۰۹

إستدلالات و تأويلات: ۱۱۱

الشهداء من المسلمين: ۱۱۵

لا غنائم فى يوم الفتح: ۱۱۶

قريش لا تقتل صبرا و لا تغزى: ۱۱۸

لعل المقصود هو الإخبار لا الإنشاء: ۱۲۰

هذا ما وعدنى ربى: ۱۲۱

الفصل الرابع: منزل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و جوار أم هانى أين نزل النبى صلّى اللّه عليه و آله فى مكة؟!: ۱۲۷

هذا منزلنا يا جابر: ۱۲۹

الحكمة فى اختيار موضع النزول: ۱۳۰

النبى صلّى اللّه عليه و آله يصل الماضى بالحاضر: ۱۳۱

أين نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!: ۱۳۲

إرث عقيل لأبى طالب دون على و جعفر: ۱۳۲

الإخبار بالغيب عن موضع نزوله صلّى اللّه عليه و آله: ۱۳۵

لا ينزل النبى صلّى اللّه عليه و آله بيوت مكة: ۱۳۵

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يدخل دور مكة: ۱۳۶

تكريم النبى صلّى اللّه عليه و آله لأم هانى: ۱۳۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۵

على عليه السّلام و أم هانى: ۱۴۰

الأمان .. و الجوار: ۱۴۵

من الذين آوتهم أم هانى؟!: ۱۴۷

لقاء على عليه السّلام بأم هانى: ۱۴۸

خوف الجبناء: ۱۴۹

لم تصرح أم هانى بما تطلب: ۱۴۹

موقف الزهراء عليها السّلام من أم هانى: ۱۵۰

أم هانى لا تجير على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۵۰

ما مثلك يجهل الإسلام: ۱۵۱

خوف المشركين من عمر: ۱۵۲

رنة إبليس .. و حديث نائلة و ..: ۱۵۲

الفصل الخامس: ما جرى لأبى قحافة إسلام أبى قحافة: ۱۵۹

الحديثان الأخيران: ۱۶۳

أبو بكر يريد طوق أخته: ۱۶۵

أربعة أسلموا هم و آباؤهم: ۱۶۶

إسلام أبوى أبى بكر: ۱۶۷

آيات فى بر أبى بكر بأبويه: ۱۶۸

أبو بكر يضرب أباه: ۱۷۲

أسلم تسلم: ۱۷۴

مفارقات لا علاج لها: ۱۷۵

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۶

الأمانة اليوم قليل: ۱۷۵

إسلام أبى طالب أقر لعينيه من إسلام أبيه: ۱۷۶

أبو قحافة أول مخضوب فى الإسلام: ۱۷۶

الفصل السادس: طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله و تحطيم الأصنام طواف النبى صلّى اللّه عليه و آله بالبيت: ۱۸۱

تحطيم الأصنام فى المسجد الحرام: ۱۸۲

إحالات على ما سبق: ۱۸۵

ألف: المسلمون يبتدرون وضوء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۸۵

ب: ما رأينا و لا سمعنا ملكا بلغ هذا: ۱۸۶

ج: أبو بكر قائم بالسيف على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۸۶

د: المشركون فوق الجبال ينظرون: ۱۸۶

تأسى عمر برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۸۷

استلام الركن بالمحجن: ۱۹۰

استلم الحجر ثم ركب راحلته: ۱۹۱

محاولة اغتيال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ۱۹۲

أين كان مقام إبراهيم عليه السّلام؟!: ۱۹۴

لقد كدت تركن إليهم: ۱۹۵

صنم لكل قبيلة، و حيّ، و بيت!!: ۲۰۲

كف حصى يرمى به الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۲۰۳

على عليه السّلام يكسر أصنام الكعبة: ۲۰۵

على عليه السّلام يكسر الأصنام: ۲۰۸

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۷

تحطيم الأصنام قبل الهجرة، و يوم الفتح: ۲۱۰

لماذا التعرض للأصنام سرا؟!: ۲۱۱

على عليه السّلام ينوء بثقل النبوة: ۲۱۲

هل خيّل إلى على عليه السّلام؟!: ۲۱۴

تعمل للحق، و أحمل للحق: ۲۱۴

لماذا لم يباشر النبى صلّى اللّه عليه و آله تحطيم الأصنام؟!: ۲۱۵

لو نزع دلوا من زمزم: ۲۱۶

النداء بتكسير الأصنام فى البيوت: ۲۱۷

عكرمة يكسر الأصنام: ۲۱۸

الفصل السابع: النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبة مفتاح الكعبة مع النبى صلّى اللّه عليه و آله: ۲۲۱

مفتاح الكعبة أخذ قهرا: ۲۲۳

إزالة الصور و التماثيل من داخل الكعبة: ۲۲۵

صلاة النبى صلّى اللّه عليه و آله داخل الكعبة و خارجها: ۲۲۹

النبى صلّى اللّه عليه و آله لم يدخل الكعبة إلا يوم الفتح: ۲۳۱

إزالة الصور من داخل الكعبة: ۲۳۲

التكبير فى زوايا الكعبة: ۲۳۵

صلاة النبى صلّى اللّه عليه و آله فى داخل الكعبة: ۲۳۵

سؤال .. و جوابه: ۲۳۷

أبو بكر و عمر لم يدخلا الكعبة: ۲۳۷

لا نريد الحديث عن التناقضات: ۲۳۹

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۸

هذا تأويل رؤياى: ۲۳۹

عثمان بن طلحة فى فتح مكة: ۲۴۱

آية: أداء الأمانات إلى أهلها: ۲۴۲

لمن هذا التهديد؟!: ۲۴۲

الفصل الثامن: الخطبة الأولى فى مكة خطبة الرسول صلّى اللّه عليه و آله فى مكة: ۲۴۷

نص آخر للخطبة: ۲۵۲

وقفات مع الخطبة الشريفة: ۲۵۴

عتقهم دليل فتح مكة عنوة: ۲۵۴

الطلقاء .. و الخلافة: ۲۵۵

تعظيم بيت اللّه: ۲۵۷

كلكم لآدم، و آدم من تراب: ۲۵۸

السلاح فى مكة فى عام الفيل و يوم الفتح: ۲۵۹

لا ينفر صيدها!! و لا يختلى شوكها!!: ۲۶۱

الإعلان الأول: التوحيد: ۲۶۲

لك بها دار فى الجنة: ۲۶۲

صدق وعده، و نصر عبده: ۲۶۵

إلا الإذخر: ۲۶۶

اجتهاد الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۲۶۹

كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر: ۲۷۲

اكتبوا لأبى شاة: ۲۷۴

الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۳۹

التبرك بالرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۲۷۴

الفصل التاسع: مفتاح الكعبة .. و البيعة فى مكة مفتاح الكعبة مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله: ۲۷۷

مفتاح الكعبة لبنى شيبة: ۲۷۸

السقاية: ۲۸۴

توضيح أكرهت و آذيت: ۲۸۴

أعطيتكم ما ترزؤون: ۲۸۵

اللّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات: ۲۸۶

على عليه السّلام لا يطلب الحجابة: ۲۸۷

طريقة جمع فاشلة: ۲۸۸

السدانة و السقاية مردودتان إلى أهليهما: ۲۸۹

أعطينا النبوة و السقاية و الحجابة: ۲۹۰

البيعة فى فتح مكة: ۲۹۱

ما الذى أضحك عمر بن الخطاب؟!: ۲۹۵

أو تزنى الحرة؟!: ۲۹۷

إسلام هند بعد أبى سفيان بليلة: ۲۹۹

إنى لا أصافح النساء: ۲۹۹

جرأة هند: ۳۰۲

عمر فى بيعة النساء: ۳۰۳

بيعة معاوية .. و إسلامه!!: ۳۰۵
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۲،ص:۳۴۰
الفصل العاشر: أحداث .. و متابعات لا هجرة بعد الفتح: ۳۰۹
البيعة على الجهاد: ۳۰۹
إن ظهر النبى صلّى اللّه عليه و آله على مكة آمن به: ۳۱۲
إسلام العرب: ۳۱۳
أذان بلال فوق الكعبة: ۳۱۴
النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يعود إلى مكة: ۳۱۹
إذن يخزيك اللّه: ۳۲۱
مع ما سبق: أبو سفيان و الإيمان: ۳۲۳
الم، غلبت الروم: ۳۲۴
الفهارس:
۱- الفهرس الإجمالى ۳۲۹
۲- الفهرس التفصيلى ۳۳۱
الصحيح من السيرة النبى الأعظم، مرتضى العاملى ،ج۲۳،ص:۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹